اوائل العرب
عبر العصور والحِقَبْ

الجزء الرابع

العصر العباسي

طاهر جليل حبوش

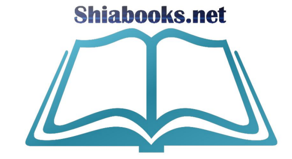
اوائل العرب
عبر العصور والحقب



اوائل العرب
عبر العصور والحقب

الجزء الرابع
العصر العباسي

تأليف
طاهر جليل حبوش





ابو العباس السفاح (*)

هو اول خليفة من خلفاء الدولة العباسية

عندما آلت الخلافة الأموية الى مروان بن محمد آخر خلفائها استفحل أمر الدعوة العباسية وانتقض أمر البربر في الشمال الافريقي وكثر الخارجون على الدولة الاموية فكان كل هذا من المشجعات للعباسيين ان

(*) هو ابو العباس عبدالله بن محمد بن علي السجاد بن عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي. ويقال له المرتضى، والقاسم ايضاً، أمه ريطة بنت عبيدالله بن عبدالله بن عبدالدار الحارثي. ولد بالحميمة من ناحية البلقاء بأرض الشام سنة ثمان ومائة هجرية. ونشأ هناك ثم انتقل الى الكوفة بعد أخذ مروان بن محمد آخر الخلفاء الامويين أخاه ابراهيم وقتله وكان ابراهيم قد عهد الى أخيه ابي العباس بالخلافة فبايعه الناس بالكوفة في حياة مروان يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الاول سنة اثنتين وثلاثين ومائة هجرية، وصلى بالناس الجمعة وخطب فيهم، وخرج مروان لقتاله عندما سمع بمبايعة الناس له لكنه خسر المعركة ودالت بمقتله دولة الامويين وقامت بعدها دولة العباسيين على يد أول خلفائها ابي العباس السفاح. كان السفاح أبيض طويلاً جميلاً جعد الشعر حسن اللحية فصيح الكلام حسن الرأي جيد البديهة، نفسه كريمة سخية، شديد الصولة على من عاداه، لا يعد وعداً إلا أوفاه بلا تأخير، ومن سخائه ان عبدالله بن حسن قال له مرة: سمعت بألف الف درهم وما رأيتها قط، فأمر بها السفاح فاحضرت وأمر بحملها معه الى منزله، كان نقش خاتمه: (الله ثقة عبدالله وبه يؤمن). ومن أقواله المشهورة عنه: «اذا عظمت القدرة قلت الشهوة وقل تبرع الا معه حق مضاع». وكان ابسط الناس وجهاً اذا حضر طعامه واجتمع عليه الناس حتى ان احد جلسائه وهو ابراهيم بن مخرمة الكندي كان لا يطلب الحاجات منه إلا عند حضور الطعام وذلك لطلاقة وجه السفاح وقتذاك. وقد روى السفاح الحديث النبوي الشريف عن أخيه ابراهيم وروى عنه عمه عيسى بن علي، وفي بشارته بالخلافة، اخرج احمد في سنده عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله محمد(ﷺ) قال: «يخرج رجل من أهل بيتي عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن، يقال له السفاح فيكون اعطاؤه المال حثياً»، ودامت خلافة السفاح اربع سنوات وتسعة أشهر، حيث توفي بمرض الجدري في الانبار يوم الاحد الحادي عشر من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وله من العمر ثلاثون سنة تقريباً.

انظر في ترجمته: الشذرات ١/١٩٥، تاريخ الخلفاء ٤٠٩، البداية والنهاية ١٠/٥٨.

يقوموا بدورهم في الاستيلاء على الخلافة، وكان حامل راية الدعوة آنذاك محمد بن علي الامام، فبعث البعوث الى المشرق لمناصرة العباسيين ولم يلبث ان مات وكان قد عهد قبل موته الى ابنه ابراهيم فبلغ خبره مروان فارسل اليه وسجنه ثم قتله، فبايع الناس أخاه عبدالله وهو ابو العباس السفاح في مدينة الكوفة في الثالث من ربيع الاول سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، فصلى السفاح الجمعة بالناس وخطب فيهم مبتدئاً بقوله: «الحمد لله الذي اصطفى الاسلام لنفسه، فكرمه وشرفه وعظمه واختاره لنا وأيده بنا وجعلنا اهله وكهفه وحصنه والقوامين به والذابين عنه» وهي خطبة طويلة استحضر فيها آل البيت ومآثرهم، فاستقطب قلوب الناس ضد الامويين وحثهم على القتال. فلما بلغ مروان مبايعة السفاح خرج لقتاله سنة اثنتين وثلاثين ومائة هجرية والتقى الجمعان قرب الموصل شمال العراق فانكسر مروان ورجع الى الشام فتبعه عبدالله ففر مروان الى مصر فتبعه صالح أخو عبدالله فالتقيا بقرية بوصير فقتل مروان بها في ذي الحجة من السنة الآنفة الذكر، وعند فرار مروان ومقتله انتهت دولة بني أمية وقامت دولة بني العباس وكان أول خلفائها ابوالعباس السفاح[1].

---

(1) تاريخ الخلفاء ٤١٠ ، البداية والنهاية ١٠/٤٨ .

ابو جعفر المنصور(*)

هو اول خليفة عباسي ترجمت له الكتب السريانية والاعجمية بالعربية

كان عصر أبي جعفر المنصور في الدولة العباسية بداية التوسع

(*) هو عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم المعروف بأبي جعفر المنصور، أمه أم ولد اسمها سلامة البربرية، ولد في صفر سنة خمس وتسعين هجرية، في الحميمة وأدرك جده ولم يرو عنه شيئاً، وروى عن أبيه وعن عطاء بن يسار وروى عنه ولده المهدي، بويع له بالخلافة بعهد من أخيه في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وعمره يومذاك احدى واربعون سنة، كان أسمر اللون خفيف اللحية أقنى الانف كأن عينيه لسانان ناطقان، ويعتبر فحل بني العباس هيبة وشجاعة وحزماً ورأياً وجبروتاً، جماعاً للمال وغاية في الحرص حتى لقب بالدوانيقي وبأبي الدوانيق لمحاسبته العمال والصناع على الدوانيق جمع الدانق وهو أقل من الدرهم او ما يعادله، ولما كان هذا شأنه فقد عرف عنه الاضراب عن اللهو واللعب ووصف بكمال العقل وجودة المشاركة في العلم والادب وفقه النفس، وكان فصيحاً بليغاً مفوهاً خليقاً بالامارة ولائقاً لها قيل انه رأى في المنام رسول الله (ﷺ) يقلده عمامة الخلافة ويدعوه أبا الخلفاء، ولما استولى على جوامع الامور شد نفسه على الموالي من غير العرب الذين تخشى سطوتهم على الخلافة فأول عمل قام به قتل أبي مسلم الخراساني لأنه رأى فيه دعوة السوء ومناصرة غير المسلمين، وفي زمانه كان هروب عبدالرحمن بن معاوية الاموي من المشرق الى بلاد الاندلس وتأسيس الدولة الاموية هناك سنة مائة وثمان وثلاثين هجرية فلقبه المنصور بصقر قريش، واعظم مآثر ابي جعفر المنصور الخالدة بناؤه مدينة بغداد التي صارت حاضرة العالم في حضارتها، حيث شرع ببنائها سنة مائة واربعين هجرية بهندسة الحجاج بن أرطاة وأتمها سنة مائة وخمس وأربعين ونزل بها عاصمة له بدلاً من الهاشمية، ومن مآثره ايضاً تشجيعه للحركة العلمية والحضارية، حيث ترجمت في أيامه الكتب الى العربية ودونت العلوم الشرعية من اصحابها كالفقه والحديث والتفسير وغيرها، وكانت مدة خلافته فاتحة خير على دولة بني العباس لقضائه على المناوئين وتوطيده الامور لمن جاء بعده، ودامت خلافته الى سنة مائة وثمان وخمسين، حيث توفي وهو في طريقه الى الحج وله من العمر ثلاث وستون سنة.

انظر في ترجمته: البداية والنهاية ١٠/١٢١، تاريخ الخلفاء ٤٤، الشذرات ١/٢٤٤.

العمراني والتقدم الحضاري الذي شهدته بغداد فيها بعده على يد الخلفاء اللاحقين ، فقد عرف عن هذا الخليفة حب العلم والعلماء والادب والادباء وحفظت كتب التاريخ له مشاهد ومواقف مع الزهاد والعباد واستماعه لهم ولما يلقون من مواعظ برغم ما كان يشتهر به من جبروت وقسوة ضد من يقف في طريقه ، ولهذا الحب الذي علق بنفس المنصور للعلوم والادب ، فقد دونت في زمنه العلوم الشرعية وغيرها من الفنون والآداب وخير شاهد على هذا انه أمر بتدوين الموطأ للامام مالك وأراد ان يحمل الناس عليه لولا ان الامام لم يرض بهذا فتراجع المنصور وترك للناس حريتهم فيما يختارون من مذاهب، ولم يكتف المنصور بتدوين العلوم التي داخل مملكته فحسب، وانما أمر بترجمة الكتب غير العربية في العلوم والآداب الى اللغة العربية ، مثال ذلك كتاب كليلة ودمنة وكتاب إقليدس في الرياضيات ، فكان بعمله هذا اول من فتح باب الترجمة من الخلفاء العباسيين .

قال السيوطي في تاريخه :

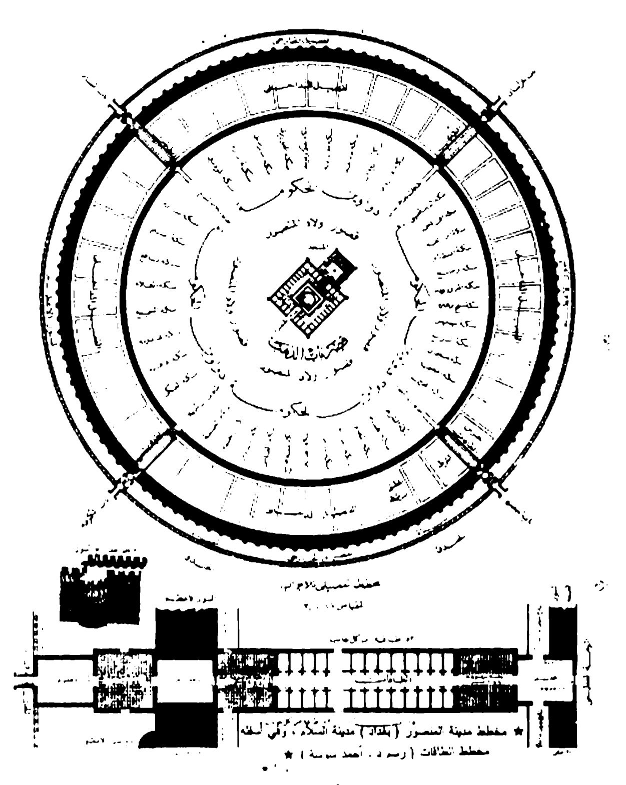
المنصور أول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والاعجمية بالعربية ككتاب كليلة ودمنة واقليدس[1] .

وجاء في كتاب (دراسات في تاريخ العلوم عند العرب) ما يشير الى حقيقة بداية الترجمة في عصر المنصور وان ما جاء بعده يعتبر امتداداً له :

ومنذ خلافة أبي جعفر المنصور (ت ١٥٨هـ/٧٧٥م) اهتمت الدولة بحركة الترجمة ورعتها وساعدت عليها وسار على هذا النهج هارون الرشيد وابنه المأمون ، وفي زمن المنصور كان قد وفد الى بغداد سنة

---

(١) تاريخ الخلفاء / ٤٣٠ .



مخطط مدينة بغداد المدورة التي أسسها الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور



(١٥٤هـ/ ٧٧٠م) وفد هندي يرافقه رجل ماهر في علم الفلك على مذهب الهند وخصوصاً على مذهب كتاب باللغة السنسكريتية (الهندية القديمة) ألفه العالم الفلكي الرياضي (براهما كبنت) سنة (٧هـ/٦٢٨م) فكلف المنصور ذلك الرجل واسمه (براهمس) بـاملاء مختصـر للكتاب ثم أمـر بترجمته الى العربية، وباستخراج كتاب منه يسير العرب عليه في حساب حركات الكواكب ، وقام بذلك محمد بن ابراهيم الفزاري وعمل زيجاً استمر العمل به حتى ايام الخليفة المأمون، حيث ابتدأ مذهب بطليموس في الحساب والجداول الفلكية ويسمى هذا الكتاب بالسند هند[1] .

هو اول خليفة اهتم بالفلك
وقرب المنجمين وعمل باحكام النجوم

لم يكن خلفـاء بني أميـة من المهتمـين بحـركـات النجـوم وسـير الافلاك ، لذلك فقد ابتعدوا عن أهل هذا الفن، لانهم كانوا منهمكين في حركات الفتوح وتوطيد اركان المملكة الاسلامية، ولما آلت الخلافة الى بني العباس وتولى ابو جعفر المنصور كانت الحياة العامة للدولة قد ركنت الى تشجيع العلماء وشحذ العلوم من الامم والممالك وتطويرها من قبل العقـول العربيـة المسلمة ، وهـذا المسار كـانت بدايتـه في زمن الخليفة المنصور ، حيث حاز هذا الخليفة الاولوية في هذا المضمار على حد قول السيوطي في تاريخه :

«المنصور اول خليفة قـرب المنجمين وعمـل باحكـام النجوم»[2]

---

(١) دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ١٦ ـ ١٧ .

(٢) تاريخ الخلفاء/ ٤٣٠ .

والحقيقة ان اهتمام المنصور بهذا النهج كانت له اسباب اهمها :

١) انه كان من المشغوفين بالعلوم والمعارف واجتلابها الى الديار التي يحكمها تكريماً وتشريفاً للعقول التي ستحملها وتهديها للاجيال اللاحقة ، وقد عرف عنه هذا الحب والشغف من خلال أقوال المؤرخين .

قال الصولي: كان المنصور أعلم الناس بالحديث والانساب مشهوراً بطلبهما(١).

ومن نصائحه لابنه المهدي قوله:

يا بني لا تجلس مجلساً الا وعندك من أهل الحديث من يحدثك فان الزهري قال: علم الحديث ذكر لا يحبه الا ذكران الرجال ولا يكرهه إلا مؤنثوهم ، وصدق أخو زهرة.

وقد كان المنصور في شبيبته يطلب العلم من مظانه والحديث والفقه فنال جانباً جيداً وطرفاً صالحاً، قيل له يوماً: ياأمير المؤمنين هل بقي شيء من اللذات لم تنله؟ قال: شيء واحد، قالوا: وماهو؟ قال: قول المحدث للشيخ: من ذكرت رحمك الله، فاجتمع كتابه ووزراؤه وجلسوا حوله وقالوا: ليمل علينا امير المؤمنين شيئاً من الحديث ، فقال: لستم بهم، وانما هم الدنسة ثيابهم، المشققة أرجلهم، الطويلة شعورهم، رواد الآفاق وقطاع المسافات، تارة بالعراق وتارة بالحجاز وتارة بالشام وتارة باليمن فهؤلاء هم نقلة الحديث(٢) .

ان خليفة هذا شأنه في حب العلوم والمعارف وانشغاله بها لا شك انه لا يكتفي بما في داخل مملكته من الكتب والمدونات والعلماء ، وانما

---

(١) تاريخ الخلفاء/ ٤٣١ .

(٢) البداية والنهاية ١٠/ ١٢٦ .

يطمح الى المزيد من ذلك لأجل رفعة البلاد وتعليم العباد، فلا عجب ان رأيناه يقرب أهل الفلك والتنجيم وما يحملونه من العلوم الرياضية والفلكية التي لا يشك باحث عاقل في نفعها وجدواها للتقدم الحضاري المطلوب.

٢) مرض المنصور في معدته على ما ذكرت كتب التاريخ واعتقاده بآثار هذه العلوم على حياة الانسان وملكه ، وهي فكرة لا زالت قائمة في أذهان كبار الناس حتى وان بلغ اعلى مراقي العلم ذلك لأنها فكرة تعيش في داخل الانسان وكامنة بين جنباته بسبب خوفه من المجهول ، الامر الذي يضطره للتشبث بوسائل مادية خارقة تشفي غليله ونهمه في استكناه ما يجهله، وقد ورد في كتب التاريخ ما يؤيد هذه الحقيقة عن الخليفة المنصور.

جاء في كتاب (دراسات في تاريخ العلوم عند العرب).

فالخليفة المنصور كان مصاباً بمعدته ، بالاضافة الى اعتقاده بأمور التنجيم وعلاقة النجوم بحياة الانسان ومصيره ، فاستقدم الاطباء والمنجمين واصبح الطب والتنجيم من الامور التي تعتني بها الدولة وتدار من قبل رجال رسميين[١] ومن الاطباء الذين جلبهم المنصور الطبيب المشهور جورجيس بن بختيشوع النسطوري الذي عالجه وأبرأه من داء المعدة الذي كان يعانيه ، ثم ظل هذا الطبيب في خدمة المنصور حتى رحيله من بغداد فخلف للمنصور تلميذه الطبيب عيسى بن شهلا ، وكان جورجيس اثناء مكوثه في بغداد قد قام بتعريب كتب كثيرة في الطب بناء على أمر الخليفة المنصور[٢] .

---

(١) دراسات في تاريخ العلوم عند العرب/٢٦ .

(٢) دراسات في تاريخ العلوم عند العرب/٤٢ .

اما المنجمون فقد قربهم المنصور واستشار بعضهم من الحذاق في أموره، فقد كان المنجم المشهور نوبخت يصحب المنصور دائماً ولما ضعف عن خدمة الخليفة أمره المنصور باحضار ابنه سهل بن نوبخت ليقوم مقامه حتى قيل ان المنصور استشار نوبخت المنجم حينما أراد اختيار موقع مدينة بغداد[1].

هو اول خليفة فتحت الصيدليات العامة في عهده في البلاد العربية

اشتهر الخليفة المنصور بحزمه وتدبيره لشؤون الخلافة، اضافة الى الغزوات والفتوحات التي تمت في عهده، وقد انصرف هذا الخليفة الحازم الى القيام بما تتطلبه حاجة الناس من مرافق ومؤسسات صحية آنذاك ومنها الصيدليات التي تضم الادوية الطبية لمعالجة المرضى. وقد سبق الخليفة المنصور غيره من الخلفاء بهذا الجانب.

قالت المستشرقة الالمانية (سجريد هونكه):

لقد فصل العرب حقل محضر الدواء عن حقل واصفه وأوجدوا مهنة الصيدلاني الذي ارتفع الى مركز عال بفضل علومه ومسؤوليته الخاصة. وكانوا أول من افتتح الصيدليات العامة وذلك في العام الثمانين من القرن الثامن الميلادي في ظل حكم الخليفة المنصور. . كما انهم الحقوا بكل بيمارستان (مستشفى) صيدلية خاصة به، كما كان الوضع في جنديسابور وانشأوا صيدليات خاصة بساحة المعركة كانت تصحب البيمارستانات المحمولة المتنقلة[2].

---

(١) دراسات في تاريخ العلوم عند العرب/١٨٣.

(٢) شمس العرب تسطع على الغرب/٣٣٩.



صورة لصيدلية عربية قديمة

كما وردت في احدى المخطوطات



المهدي محمد بن المنصور(*)

هو اول من امر بتصنيف كتب الجدل في

الرد على الزنادقة والملحدين

استمر الفكر الاسلامي في عصر صدر الاسلام والدولة الاموية نقياً صافياً لم تشبه شائبة، نظراً لاستحواذ العرب على مجامع الامور، ولم تدخل العناصر الدخيلة في سياسة الدولة وتسيير الامور الفكرية، وحينما قامت دولة بني العباس واتسعت رقعة البلاد الاسلامية ودخل غير العرب في

(*) هو محمد بن عبدالله المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس، كنيته ابو عبدالله ولقبه المهدي . . أمه أم موسى بنت منصور بن عبدالله الحميري ، ولد سنة ست وعشرين ومائة هجرية في الحميمة من ارض البلقاء ، كان اسمر اللون طويلاً جعد الشعر على إحدى عينيه نكتة بيضاء ، وولي الخلافة بعد موت أبيه في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة وعمره ثلاث وثلاثون سنة، اذ لما جاءه نعي أبيه كتم الامر يومين ثم نودي في الناس يوم الخميس الصلاة جامعة فقام فيهم خطيباً فاعلمهم بموت أبيه وأخذ منهم العهد على خلافته، فبايعه جميع الناس ، وعرف عن المهدي جوده وملاحته وحب الرعية له وحسن اعتقاده في الدين . . وقد روى الاحاديث النبوية الشريفة عن أبيه وجمع من المحدثين ، وكان في شبابه قد أمّره أبوه على طبرستان وما والاها فتأدب وجالس العلماء وتميز عن غيره مما دفع والده الى ان يعهد له بالخلافة قبل موته، ولما حصل المهدي الخزائن رد المظالم الى اصحابها وفرق الذخائر على مستحقيها وبر أهله ومواليه ، وفي ايام حياته أخذ البيعة بولاية العهد لولديه موسى الهادي ثم من بعده هارون الرشيد، واهتم المهدي بعمارة طريق مكة للحجاج وبناء القصور فيها وانشاء برك المياه ، وغزا الروم عدة غزوات وافتتح الممالك وضمها الى الدولة الاسلامية، وطارد الزنادقة والملحدين واستأصل معظمهم ، وكان يقول الشعر الرقيق الذي ينم عن أدبه وعلمه بالعربية وفنونها، وفي المحرم من سنة تسع وستين ومائة هجرية وفي احدى رحلاته للصيد انطلق خلف صيد فاقتحم الصيد خربة وتبعه الفرس فدق ظهره في بابها فمات لوقته وعمره آنذاك ثلاث واربعون سنة وكانت مدة خلافته عشر سنين وشهراً .

انظر ترجمته: البداية والنهاية ١٠/١٢٩، تاريخ الخلفاء ٤٣٤، الشذرات ١/٢٦٦، الاعلام ٧/٩١.

الاسلام كان منهم الغث والسمين، فظهرت في الافق بوادر الدعوات الشعوبية الهدامة التي كادت للقرآن والسنة النبوية وحاولت النيل من الرجال الافذاذ والقواد العرب الاقحاح من خلال بث روح الفرقة والعداء لأجل اضعاف الدولة الاسلامية ، وكان من آثار هذه الشعوبية المقيتة حركات الزندقة والالحاد الهدامة في الدين ، ولكن وجود الغيارى من الخلفاء والساسة رد كيد تلك الحركات ومن هؤلاء الغيارى الخليفة المهدي الذي دفعه حسن اعتقاده في الدين وغيرته على القرآن والسنة وتاريخ هذه الامة ان يلاحق رؤوس تلك الحركات ويخمد ما فيها من حقد دفين بحد السيف المؤمن ذي الاصالة العربية العريقة فشهد له التاريخ بهذا العمل الجبار انه اسبق من غيره فيه .

جاء في تاريخ الخلفاء :

وكان جواداً ممدحاً مليح الشكل محبباً الى الرعية حسن الاعتقاد تتبع الزنادقة وافنى منهم خلقاً كثيراً، وهو اول من أمر بتصنيف كتب الجدل في الرد على الزنادقة والملحدين ، وفي سنة ثلاث وستين ومائة للهجرة وما بعدها جد المهدي في تتبع الزنادقة وابادتهم والبحث عنهم في الآفاق والقتل على التهمة[1].

هو اول خليفة حمل اليه الثلج الى مكة

اهتم الخليفة المهدي عند توليه الخلافة باصلاح طريق الحج المؤدي الى مكة المكرمة، فأنشأ البرك المائية التي يستقي منها الحجيج ، وكان قد اهتم باصلاح كسوة الكعبة ، ولم يعرف أحد من الخلفاء قبله ايصال الثلج الى مكة معه اثناء سفرة الحج ، لكن المهدي عندما حج بيت الله الحرام في

(١) تاريخ الخلفاء ٤٣٤ ، ٤٣٧ .

خلافته نقلوا له الثلج هناك وهو اول من فعل ذلك .

قال السيوطي :

وفي سنة ستين (أي مائة وستين) فتحت اربد من الهند عنوة ، وفيها حج المهدي فأنهى اليه حجبة الكعبة انهم يخافون هدمها لكثرة ما عليها من الاستار فأمر بها فجردت واقتصر على كسوة المهدي ، وحمل الى المهدي الثلج الى مكة ، قال الذهبي :

لم يتهيأ ذلك لملك قط وكان الذي حمل اليه الثلج الى هناك محمد بن سليمان نائب البصرة آنذاك[1].

هو اول من عمل البريد من الحجاز الى العراق

لم يكن البريد قد نظم بين العراق وبلاد الحجاز قبل خلافة المهدي ، فلما تولى المهدي الخلافة وانتقل من قصر الخلد الذي كان لوالده المنصور الى قصره الجديد أمر بتنظيم البريد بينه وبين بلدان الجزيرة العربية .

ذكر السيوطي في تاريخه :

وفي سنة ست وستين ومائة تحول المهدي الى قصره بعيساباذ وأمر فأقيم له البريد من المدينة النبوية ومن اليمن ومكة الى الحضرة بغالاً وأبلاً ، قال الذهبي : وهو أول من عمل البريد من الحجاز الى العراق[2] .

---

(١) تاريخ الخلفاء ٤٣٦ ، البداية والنهاية ١٠ /١٣٢ .

(٢) تاريخ الخلفاء/٤٣٧ .

هو اول من قال في الخطبة

ان الله وملائكته يصلون على النبي

من السنن إلتي سنها الخليفة المهدي قوله في خطبته للناس الآية الشريفة التي ورد فيها ذكر صلوات الله وملائكته على النبي محمد (ﷺ) ، ولم يكن أحد قبل المهدي ذكرها في خطبه بصورة متواترة كما نعهدها اليوم .

قال السيوطي :

واسند عن الاصمعي قال : سمعت المهدي على منبر البصرة يقول : ان الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته فقال :

﴿ان الله وملائكته يصلون على النبي﴾ الآية ، أثره بها من بين الرسل اذ خصكم بها من بين الامم .

قلت : وهو اول من قال ذلك في الخطبة ، وقد استسنها الخطباء الى اليوم [1].

---

(١) تاريخ الخلفاء/٤٤٣ .

موســى الهادي(*)

هو اول من مشي بين يديه بالسيوف

كان الخليفة موسى الهادي شجاعاً جريئاً جبروتياً شرس الاخلاق تعلوه الهيبة والسطوة والشهامة ، وقد وضع لنفسه حاشيـة من الرجـال يضفون على تلك الشمائل والصفات مظهر الوقار والحشمة وهم يحملون الأسلحة وعدة القتال، وكان له ولع باقتناء السيوف المرهفة التي اشتهر اصحابها بشجاعتهم وجرأتهم ، مثال ذلك السيف المعروف بصمصامة عمرو ، فقد ورد في شذرات الذهب :

حدث عبدالله بن الضحاك عن الهيثم بن عدي قال : وهب المهدي لموسى الهادي سيف عمرو بن معد يكرب الصمصامة فدعا به موسى بعد

(*) هو موسى بن محمد المهدي بن عبدالله المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس . كنيته ابو محمد، ولقبه الهادي، أمه أم ولد بربرية اسمها الخيزران ، ولد بالري سنة سبع واربعين ومائة هجرية، كان حسناً جيلاً طويلاً ابيض قوي الجسم يشب على الدابة وعليه درعان ، وكان أبوه يسميه ريحانتي ، ولي الخلافة في محرم سنة تسع وستين ومائة، ويقال انه لم يل الخلافة أحد قبله في سنه ، كان فصيحاً قادراً على الكلام اديباً تعلوه الهيبة وله سطوة وشهامة ويمتاز بالجبروت في حكمه ، نقش خاتمه (الله ثقة موسى وبه يؤمن) ، وقد اتبع وصية أبيه في مطاردة الزنادقة ، حيث جد في امرهم وقتل منهم خلقاً كثيراً ، واشتهر الهادي بقسوة القلب وشراسة الاخلاق وصعوبة المرام والشجاعة النادرة ومع هذا بالجود والسماحة والندى ، وكان قد حاز من والده سيف الفارس المشهور عمرو بن معديكرب الزبيدي المسمى بالصمصامة ، ومما اشتهر به ايضاً منعه النساء من التدخل في سياسته وتسيير اموره وقد زجر أمه عن ذلك ، ودامت خلافته سنة واحدة وشهراً حيث كان موته في النصف من ربيع الاول سنة سبعين ومائة هجرية وصلى عليه أخوه هارون الرشيد ودفن في قصر بناه لنفسه سماه الابيض بعيساباذ من الجانب الشرقي من بغداد.

انظر : البداية والنهاية ١٠/١٥٩، تاريخ الخلفاء/٤٤٦ ، الشذرات ١/٢٧١ .

ماولي الخلافة فوضعه بين يديه ودعا بمكتل دنانير وقال لحاجبه إئذن للشعراء فلما دخلوا أمرهم ان يقولوا في السيف فبدأهم ابن يامين البصري فقال:

حاز صمصامة الزبيدي عمرو
من جميع الانام موسى الامين
سيف عمرو كان فيما سمعنا
خير ما اغمدت عليه الجفون
أوقدت فوقه الصواعق ناراً
ثم شابت به الزعاف المنون
واذا ما شهرته بهر الشمس ضياء فلم تكد تستبين
وكأن الفرند والجوهر الجاري في صفحتيه ماء معين
ما يبالي اذا الضريبة حانت
اشمال سطت به أم يمين

فقال الهادي: لك السيف والمكتل فخذهما ففرق المكتل على الشعراء وقال: دخلتم معي وحرمتم من أجلي وفي السيف عوض، ثم بعث اليه الهادي فاشترى منه السيف بخمسين الفاً.

ان هذا الولع الذي يكنه الخليفة للسيف جعله لا يرغب عن حمله ورؤيته بديلاً.

وقد ذكر السيوطي انه اول خليفة سن حمل السيوف امامه من قبل رجاله، حيث قال في تاريخه:

وهو اول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف المرهفة والاعمدة والقسيّ الموترة فاتبعه عماله به في ذلك وكثر السلاح في عصره[1].

(١) تاريخ الخلفاء/٤٤٦

هو اول خليفة ركب بنفسه البريد
من جرجان الى بغداد

كان الخليفة موسى الهادي يطلع على شؤون الدولة ويديرها بنفسه ويشغف بالاطلاع على اخبار الناس في الديار البعيدة من مكة، وهذا ما حدا به ان يواكب الامور بنفسه رغبة في التعرف على الاحوال والتقصي عن الاخبار، فكان من ضمن سواكبته انه ركب البريد بنفسه من جرجان الى بغداد ولم يكن احد من الخلفاء سبقه بذلك.

أورد السيوطي في تاريخه :

قال الصولي : لا يعرف خليفة ركب البريد الا الهادي من جرجان الى بغداد[1] .

هو اول خليفة عاقب في جريمة السحاق

السحاق هو عملية زنا المرأة بالمرأة، وقد ذكر السيوطي في وسائله ان اول من قام بهذه الجريمة من النساء هند بنت الخس بن حابس الايادي مع هند المتجردة زوجة النعمان بن المنذر[2].

ولم يذكر المؤرخون عقوبة اتخذت بحق من قام بمثل هذه الجريمة .

وقد حدثت مثل هذه الجريمة في زمن الخليفة موسى الهادي فكان قراره الحازم القاطع بقطع الرقاب هو العلاج الحاسم لها واعتبر اول خليفة يتخذ هذه العقوبة لمثل هذه الجريمة الفاحشة . وفي البداية والنهاية تفصيل لتلك الواقعة . . قال ابن كثير: ذكر عيسى بن دأب قال:

كنت يوماً عند الهادي إذ جيء بطست فيه رأس جاريتين قد ذبحتا

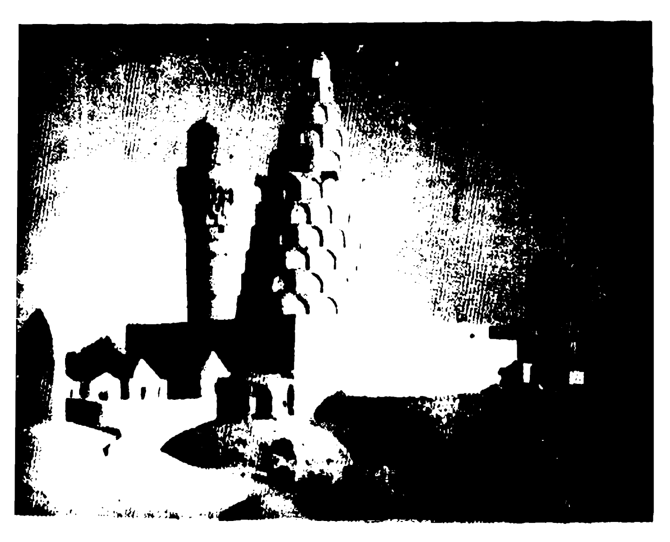
(١) تاريخ الخلفاء/٤٤٨ .

(٢) الوسائل الى مسامرة الاوائل ٥٧ .

وقطعا، لم أر احسن صوراً منهما ولا كمثل شعورهما، وفي شعورهما اللآلي والجواهر منضدة، ولا رأيت مثل طيب ريحهما، فقال لنا الخليفة: أتدرون ما شأن هاتين؟ قلت: لا ، فقال: انه ذكر انه تركب احداهما الاخرى يفعلان الفاحشة، فأمرت الخادم فرصدهما ثم جاءني فقال: انهما مجتمعتان ، فجئت فوجدتهما في لحاف واحد وهما على الفاحشة، فأمرت بحز رقابهما، ثم أمر برفع رؤوسهما من بين يديه ورجع الى حديثه الاول كأنه لم يصنع شيئاً[1].

---

(1) البداية والنهاية ١٠/١٥٩.



المرقد الذي يظن ان الست زبيدة والدة الخليفة هارون الرشيد ترقد فيه



هـارون الرشيد(*)

(*) هو الخليفة هارون الرشيد بن المهدي محمد بن ابي جعفر المنصور بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ابن عبدالمطلب القرشي الهاشمي. كنيته ابو محمد ولقبه الرشيد لرشاد عقله، أمه الخيزران، ولد في شوال سنة ثمان واربعين ومائة حينما كان والده والياً على الري، كان ابيض طويلاً سميناً مليحاً شهماً شجاعاً حازماً جواداً صاحب دين وسنة، يصلي في اليوم الواحد مائة ركعة وظل ملازماً لذلك الى ان مات، وكان يتصدق كل يوم من بيت ماله بألف درهم ويحب أهل العلم ويعظم حرمات الاسلام ويبغض المراء في الدين والكلام في معارضة النص، عرف بتواضعه للعلماء والادباء وخضوعه واحترامه للكبار مع ميله للمزاح وطيب النفس والنكتة، كان يبكي على نفسه وعلى اسرافه وذنوبه، ولا سيما اذا وعظ وقد أحب المديح واجاز الاموال عليه وله ولع بقول الشعر الرقيق، دخل عليه مرة ابن السماك الواعظ فبالغ في احترامه فقال له ابن السماك: تواضعك في شرفك اشرف من شرفك ثم وعظه فأبكاه، وبلغه عن بشر المريسي القول بخلق القرآن فقال: لئن ظفرت به لأضربن عنقه، كانت مبايعته بالخلافة بعد موت اخيه موسى الهادي في ربيع الاول سنة سبعين ومائة بعهد من أبيه المهدي، وذلك ليلة السبت لأربع عشرة بقيت من ربيع الاول، وقال الصولي: هذه الليلة ولد له فيها عبدالله المأمون ولم يكن في سائر الزمان ليلة مات فيها خليفة وقام خليفة وولد خليفة، الا هذه الليلة، ومنذ توليه الخلافة عزم على نفسه الغزو والجهاد، فكان يغزو سنة ويحج اخرى واشتهر بذلك دون غيره من الخلفاء فدوخ الروم من غزواته وحملاته وتوسعت رقعة البلاد الاسلامية في زمانه الى ابعد ما وصلت اليه في سائر الازمان، وقد فرض الجزية على أهل الذمة فاعطوها صاغرين وكان نقش خاتمه (العظمة والقدرة لله)، بلغ من حبه للعلم والعلماء انه لما بلغه موت عبدالله بن المبارك جلس للعزاء وأمر الاعيان ان يعزوه، وقال ابو معاوية الضرير: أكلت مع الرشيد يوماً فصب الماء على يدي رجل لا اعرفه فقال هارون: ياأبا معاوية الدري من يصب على يديك؟ قلت: لا، قال: أنا! قلت: أنت ياأمير المؤمنين؟ قال: نعم اجلالاً للعلم، وهكذا كان شأن الرشيد طيلة حياته وخلافته حتى اجمع المؤرخون انها كانت كلها خيراً على الامة وكأنها من حسنها اعراس. كانت وفاته بطوس يوم السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة هجرية ودامت مدة خلافته ثلاث وعشرون سنة وشهر وثمانية عشر يوماً ودفن بقرية من قرى طوس يقال لها سناباذ.

انظر: البداية والنهاية ١٠/٢١٣، الشذرات ١/٣٣٤، تاريخ الخلفاء ٤٥٢.

هو اول خليفة يرحل بولديه لطلب العلم

كان الخلفاء في العصر الاموي والعباسي يكرمون العلماء ويجلونهم ويسمعون منهم ويأخذون بآرائهم فيما يخص امور المملكة ، وقد اشتهر اونئك الخلفاء بدراستهم للعلوم خاصة الشرعية هم وأولادهم ، الا انهم برغم هذا الحب والولع بالعلوم فانهم كانوا يرسلون الى العلماء من يأتي بهم الى دار الخلافة ولم يكونوا يذهبون اليهم وذلك لانشغالهم بادارة شؤون الدولة ، غير ان الخليفة هارون الرشيد توج حبه وشغفه بالعلم والعلماء انه كان يرحل بنفسه لاكتساب العلم والتأدب من العلماء في مكان سكناهم وذلك ليزيدهم رفعة ومكانة بين الناس، فكان بهذا اول خليفة يرحل لطلب العلم بنفسه . . وقد ورد خبر ذلك في تاريخ الخلفاء ، حيث اورد السيوطي :

قال القاضي الفاضل في بعض رسائله :

ما اعلم ان للملك رحلة قط في طلب العلم الا للرشيد فانه رحل بولديه الامين والمأمون لسماع الموطأ على مالك رحمه الله، وكان أصل سماع الموطأ بسماع الرشيد في خزانة المصريين[1].

وقد اورد ابن العماد الحنبلي خبر رحلة الرشيد في شذراته بطولها : حدث عتيق بن يعقوب الزبيدي قال:

قدم هارون الرشيد المدينة وكان قد بلغه ان مالك بن أنس عنده الموطأ يقرؤه على الناس فوجه اليه البرمكي فقال: أقرئه السلام وقل له يحمل اليّ الكتاب ويقرؤه عليّ فأتاه البرمكي فقال: اقرئه السلام وقل له ان العلم يؤتى ولا يأتي فأتاه البرمكي فاخبره وكان عنده ابو يوسف القاضي

---

(١) تاريخ الخلفاء ٤٦٨ .

فقال: ياأمير المؤمنين يبلغ أهـل العراق انـك وجهت الى مالـك في أمر فخالفك، اعزم عليه، فبينما هو كذلك اذ دخل مالك فسلم وجلس فقال له الرشيد: ياابن ابي‌عامر ابعث اليك وتخالفني؟ فقال: ياأمير المؤمنين اخبرني الزهري عن خارجة بن‌زيد عن أبيه قال: كنت اكتب الوحي بين يدي رسول الله (ﷺ) ﴿لايستوي القاعدون من المؤمنين.....﴾.. الآية، وابن أم‌مكتوم عند النبي (ﷺ) فقال: يارسول الله اني رجل ضرير وقد انزل الله عليك في فضل الجهاد ما قد علمت، فقال النبي (ﷺ) (لاأدري) وقلمي رطب ماجف ثم وقع فخذ النبي (ﷺ) على فخذي ثم اغمي على النبي (ﷺ) ثم جلس النبي (ﷺ) فقال: يازيد اكتب ﴿غير أولي الضرر﴾.. الآية، وياامير المؤمنين حرف واحد بعث فيه جبريل والملائكة عليهم السلام من مسيرة خمسين الف عام الا ينبغي لي ان اعزه وأجله وان الله تعالى رفعك وجعلك في هذا الموضع بعملك فلا تكن انت اول من يضيع عز العلم فيضيع الله عزك، فقام الرشيد يمشي مع مالك الى منزله ليسمع منه الموطأ فاجلسه معه على المنصة فلما اراد ان يقرأه على مالك قال لي تقرؤه عليّ قال ما قرأته على أحد منذ زمان قال فيخرج الناس عنيّ حتى أقرأه أنا عليك فقال: ان العلم اذا منع من العامة لأجل الخاصة لم ينفع الله تعالى به الخاصة فأمر معن بن‌عيسى القزاز ليقرأه عليه فلما بدأ ليقرأه قال مالك لهارون: ياأمير المؤمنين ادركت أهل العلم ببلدنا وانهم ليحبون التواضع للعلم فنزل هارون عن المنصة وجلس بين يديه وسمعه[1].

---

(١) شذرات الذهب في اخبار من ذهب ١ / ٢٩٠.

هو اول خليفة يكرر قيادة الجيش بنفسه لقتال الروم

عندما توسعت رقعة المملكة الاسلامية في مغارب الارض وصارت متاخمة لبلاد الروم، حز في نفوس هؤلاء هذا التوسع الكبير على حساب سلطانهم وملكهم، فكانوا يتحينون الفرص للأغارة على ثغور البلاد الاسلامية القريبة منهم بقصد اضعاف سلطان المسلمين مما جعل الخلفاء المسلمين في حالة تأهب واستعداد لقصم أي اعتداء يقوم به اولئك واذا ما حدث اعتداء فان الخليفة يرسل القواد والامراء على الاجناد للقيام بمهمة الردع والابادة لجيش الروم، ولم يكن الخلفاء يقومون بانفسهم في قيادة الجيوش الى تلك البلاد النائية البعيدة عن مقرات الحكم وانما كان قواد الجيوش هم الذين يقومون بهذه المهمة في اغلب الاحيان، اما الخليفة هارون الرشيد فانه كان يقوم بنفسه بقيادة الجيش الذي حارب به الروم ليس لمرة واحدة فقط، وانما لعدة مرات يكررها بنفسه دون غيره، وأشهر شاهد على اوليته هذه ما ذكرته كتب التاريخ في محاربته نقفور ملك الروم، جاء في كتاب (تراجم اسلامية شرقية واندلسية).

ففي ذلك الحين وقعت في الدولة البيزنطية حوادث داخلية ذات شأن، ذلك ان (ايريني) حينما كبر ولدها (قسطنطين) وحاول ان يستأثر بالسلطة، سخطت عليه ثم دبرت بمعاونة رجالها الخواص مؤامرة لخلعه، فقبض عليه

ونادت بنفسها قيصرة (أوغستا) وذلك سنة ٧٩٧م - ١٨٢هـ، وحكمت ايريني بضعة اعوام بمعاونة اصدقائها وفي مقدمتهم الوزير نيسفوروس (نقفور في الرواية العربية) كبير الخزائن. ثم بدأ لنقفور ان ينتزع العرش لنفسه فاستمال اليه بطانة القيصرة وفوجئت ايريني ذات ليلة فقبض عليها وسجنت واعتلى نقفور عرش القياصرة وذلك في سنة

٨٠٢م ـ ١٨٦هـ . وما كاد الامبراطور يعتلي العرش حتى وجه اهتمامه الى قمع الغزوات الاسلامية التي خربت اراضي دولته وانهكت قواها، وبادر بفسخ المعاهدة التي عقدتها الامبراطورة ايريني وقطع الجزية التي تعهدت بادائها وكتب الى الرشيد كتاباً يقول فيه :

«من نقفور ملك الروم الى هارون ملك العرب ، اما بعد فان الملكة التي كانت قبلي اقامتك مقام الرخ واقامت نفسها مقام البيدق ، فحملت اليك من اموالها ما كنت حقيقاً بحمل اضعافه اليها، لكن ذلك لضعف النساء وحمقهن، فاذا قرأت كتابي هذا فاردد مما حصل لك من اموالها وافتد نفسك بما تقع به المصادرة لك والا فالسيف بيننا وبينك».

ويروى ان الرشيد لما قرأ هذا الكتاب اشتد غضبه وكتب على ظهره رداً شديداً على نقفور قائلاً :

«من هارون الرشيد امير المؤمنين الى نقفور كلب الروم ! قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة !! والجواب ما تراه دون ما تسمعه والسلام!».

ثم بعد هذه الرسالة التهديدية الشديدة اللهجة جهز الرشيد جيشاً ضخماً مقداره مائة وخمسون وثلاثون الفاً سوى الاتباع والمتطوعة وسار هذا الحشد القتالي المهيب يقوده خليفته الميمون حتى وصل (طوانة) فنزل بها واتخذها مركزاً له وابتنى بها مسجداً وتوغل من هناك بنفسه الى «هرقلة» فافتتحها وسبى من اهلها جموعاً عظيمة ، ولما رأى نقفور نفسه عاجزاً عن مقاومة هذا السيل الجارف اذعن لطلب الصلح وبعث الى الرشيد سفارة على رأسها اسقف (سينادا) فعقد السفراء مع الرشيد معاهدة تعهد بها نقفور الا يعيد بناء حصون الحدود التي هدمها المسلمون، وان يدفع جزية سنوية قدرها ثلاثون الف قطعة من الذهب يضاف اليها اربع قطع عن

نفسه وقطعتان عن ولده وذلك رمزاً بخضوع قيصر الرومان وولي عهده لأمير المؤمنين ، وكانت هذه القيادة الاولى للرشيد في هذه الحملة، وقد تكررت قيادته للمرة الثانية في نفس هذه الحملة ، فان الرشيد ما كاد يعود بجيشه عند دخول الشتاء الى الرقة وكانت يومئذ منزله حتى نكث نقفور عهده معتقداً ان الرشيد لن يستطيع العود الى قتاله خلال الشتاء ، ولكنه أخطأ الظن ، فان الرشيد ما كاد يقف على غدر نقفور حتى اعاد ادراجه الى ارض الروم واخترق جبال طوروس وقد غطتها الثلوج وهزم نقفـور في معركة دموية قتل فيها من الروم اربعون الفاً وفر نقفور جريحاً واضطر الى طلب الصلح فاجابه الرشيد الى طلبه وعاد ظافراً ، وفي ذلك يقول شاعر من شعراء العصر وهو عبدالله بن يوسف التيمي :

نقض الـذي اعـطيتـه نقفـور
فـعـليـه دائـرة الـبـوار تـدور

أبـشـر امـير المؤمـنـين فـانـه
فـتـح اتـاك بـه الالـه كـبـير

فتح يـزيـد عـلى الفتـوح يؤمنا
بـالنصـر فيـه لـواؤك المنصـور

ولم يمض الا وقت قليل حتى عاد نقفور الى نكثه وزاد على ذلك ان اغار على الاراضي الاسلامية وكان الرشيد يومئذ بالرقة التي اتخذها مقاماً له في أواخر عهده فاستخلف عليها ولده المأمون وسار الى قتال الروم في جيش ضخم واقتحم آسيا الصغرى من الجنوب الى الشمال واستولى المسلمون على قونية وأفسوس وماسية ونيقية وغيرها ووصلوا في زحفهم حتى ثغر هرقلة الواقع على البحر الاسود واستولوا عليه وهزم الروم في جميع

المواقع ، ولما رأى نقفور عبث المقاومة وما انتهت اليه حال جيوشه ومملكته عـاد الى طلب الصلح وتأكيـد عهده في دفـع الجزيـة وعاد الـرشيد الى مهادنته[1].

هو اول خليفة عباسي خلع على ولاته

والخلعة (بكسر الخاء) هي ما يخلعه الحاكم على ولاته من هبات او عطايا عينية او نقدية ، ولم يكن هذا معروفاً قبل الرشيد فلما تولى الخلافة كان اول خليفة عباسي يقوم باعطاء هذه الخلع الى الولاة الذين يوليهم.

جاء في وسائل السيوطي :

اول من خلع على من ولاه من أهل الدولة الرشيد ، خلع عـلى جعفر البرمكي حين ولاه الوزارة فاقتدى به الناس في ذلك[2].

هو اول من زاد في الكتاب عبارة
(وأسأله ان يصلي على محمد)

كان من عادة الخلفاء والخطباء والكتاب عند الخطبة في الناس او كتابة كتاب ما ان يبدأوا قولهم او كتابهم بحمد الله تعالى وهو ما يعرف بالحمدلة ، وقد اعتبروا هذا التقليد سنة جارية لأن الرسول محمد (ﷺ) سن ذلك لأمته في بداية كل أمر، وما لم يذكر اسم الله تعالى وحمده فيه فهو عمل ابتر، ومن هذا المنطلق اطلقوا على خطبة زيـاد بن ابي سفيان اسم الخطبة البتراء لأنه بدأها دون ذكر الحمدلله.

(١) تراجم اسلامية ١٣ وما بعدها ، تاريخ الخلفاء ٤٥٨ .
(٢) الوسائل الى مسامرة الاوائل ٧٤.

ولم يكتف الخليفة هارون الرشيد بالحمدلة فقط وانما اضاف اليها عبارة الصلاة على النبي محمد(ﷺ) وكان ذلك سنة احدى وثمانين ومائة للهجرة.

قال السيوطي:

اول من زاد في الكتاب بعد الحمدلة (وأسأله ان يصلي على محمد) هارون الرشيد[1].

هو اول خليفة لعب بالصولجان والنشاب والشطرنج

لم يعرف الخلفاء قبل هارون الرشيد اللعب بالصولجان (وهو المحجن أي العصا المعقوفة من آخرها) ولم يألفوا الشطرنج، وكان الخليفة الرشيد هو اول من لعب بذلك، كما اثبته السيوطي في وسائله وتاريخه إذ قال:

قال محمد بن علي: الرشيد اول خليفة لعب بالصوالجة والكرة ورمى النشاب بالبرجاس واول خليفة لعب بالشطرنج من بني العباس.

والبرجاس: غرض ترمى به الحجارة[2].

هو اول خليفة كان يحج سنة ويغزو اخرى

جمعت شخصية الخليفة هارون الرشيد كل صفات ومقومات الانسان الناضج البعيد عن النقائص التي تشين الكثير من بني البشر، وهكذا عرف قبل توليه الخلافة وتمسك بها اكثر عند استخلافه فكان مثالاً

---

(١) الوسائل الى مسامرة الاوائل ١٣٢.

(٢) الوسائل ١٤٧، تاريخ الخلفاء ٤٧٠.

يحتذى في التقوى والورع والخوف من الله تعالى ، يضاف لهذا غرامه وشغفه بالغزو والحروب لأعداء الاسلام وفتح الممالك وضمها الى البلاد الاسلامية حتى اصبحت رقعة بلاد المسلمين اوسع ما كانت عليه في ازمان الخلفاء السابقين واللاحقين، وقد ذكر عنه انه كان يخاطب السحابة العابرة في الافق فوقه قائلاً : (امطري أنىٰ شئتِ فان خراجك سوف يأتيني)، ان مثل هذا القول لا يقوله الا الحاكم المقتدر الواثق من المساحة الكبيرة الشاسعة الابعاد المترامية الاطراف التي عليها مملكته ، والحقيقة التي لا مراء فيها ان البلاد التي هكذا مساحتها وسعتها لا يمكن ان تأتي للخليفة او الحاكم المنشغل بالملاهي والملذات ونسيان الفتوح والغزو في سبيل الله ، وانما يحوزها الخليفة الذي يخشى الله قبل الناس ويعمل جهده ليل نهار في سبيل مرضاته والقيام بالفعال التي تقربه اليه، وهكذا كان الرشيد رحمه الله خليفة يحج كل سنة ويغزو في السنة التي بعدها وقضى حياة الخلافة على هذه السيرة المشرفة التي شهد بها اعداؤه قبل اقربائه واصدقائه والفضل ما شهدت به الاعداء، ان رأينا هذا لا يزيد من قدر الرشيد كما ان الطعن فيه لا ينقصه شروىٰ نقير ذلك لأن جل المؤرخين اثبتوا سيرته المشرفة ومنياته وانصرفوا وفرغوا منها ولا عبرة بالتأويلات والاحتمالات التي تحاك بها الألسن المغرضة والابواق المعادية على هذا الانسان الجليل في تاريخنا العربي الاسلامي ، وما يفعله الانسان دائماً يسجل في تاريخه لا تمحوه الدهور والشهور، وقد عرف عن الخليفة الرشيد انه كان هكذا فعلام التحامل والتشويه، ولماذا الضغط على نصوص التاريخ التي اثبتها المؤرخون الثقات!! أثبت السيوطي في تاريخه ما يشير الى ذلك حيث قال :

وكان من أميز الخلفاء وأجل ملوك الدنيا ، وكان كثير الغزو والحج كما قال فيه ابو المعالي الكلابي :

فـمن يـــطلب لـقــاءك او يـــرده

فبــالحــرمـــين او اقصىٰ الثغـــور

ففي ارض الـعـــدو عـــلى طمـــر

وفي ارض البـــريـــة فـــوق كـــور

ومـــا حـــاز الثغـــور ســـواك خلق

من المتـخلفـــين عـــلى الامـــور[1]

وذكر الطبري في تاريخه ما يشير الى هذه الحقيقة قائلاً :

وكان يتصدق من صلب ماله في كل يوم بألف درهم بعد زكاته وكان اذا حج حج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم واذا لم يحج احج ثلاثمائة رجل بالنفقة السابغة والكسوة الباهرة[2] .

وفي موضع آخر يشير الطبري في احداث سنة مائة وسبعين هجرية بقوله :

وحج بالناس في هذه السنة هارون الرشيد من مدينة السلام فاعطىٰ أهل الحرمين عطاءاً كثيراً وقسم فيهم مالاً جليلاً، وقد قيل : انه حج في هذه السنة وغزا فيها وفي ذلك يقول داود بن رزين :

بهـارون لاح النـور في كـــل بلدة

وقـام به في عـدل سيـرتـه النهـج

امـــام بـــذات الله اصبـــح شغله

واكـثر ما يعنى بـه الغزو والحـج[3]

---

(١) تاريخ الطبري ٨/٤٨٧ ، تاريخ الخلفاء ٤٥٢ .

(٢) تاريخ الطبري ٨/٥٠٠ .

(٣) نفس المصدر ٨/٤٤٣ .

وهكذا تواترت الاخبار على كون الرشيد خليفة مغرماً بالغزو والحج طيلة مدة خلافته وهذا ما لم نعهده في قبله من الخلفاء .

هو اول خليفة كان يصلي مائة ركعة في اليوم الواحد

وصف رجال امتنا من الخلفاء والحكام بتقواهم وورعهم ومحافظتهم على الصلوات الفرائض والنوافل واشتهروا بعبادتهم، وذكر المؤرخون من اشتهر في العبادة منهم كالخليفة عبدالملك بن مروان الذي لقب بحمامة المسجد لملازمته المسجد والصلوات فيه .

والخليفة هارون الرشيد فاق خلفاء بني العباس في قيامه بالفرض والنفل من الصلوات فكان اكثرهم صلاة .

قال الطبري في تاريخه :

ذكر العباس بن محمد عن أبيه عن العباس قال: كان الرشيد يصلي في كل يوم مائة ركعة الى ان فارق الدنيا الا ان تعرض له علة[1] .

وجاء في شذرات الذهب :

وورد انه كان يصلي في اليوم مائة ركعة الى ان مات ، ويتصدق كل يوم من بيت ماله بالف درهم ، وكان يخضع للكبار ويتأدب معهم[2] .

هو اول خليفة يامر بنقل كتاب اقليدس الى العربية

يعتبر الفيلسوف اليوناني اقليدس من الفلاسفة العلماء الذين كتبوا في الهندسة والفلك والموسيقى والضوء ، وأشهر كتبه التي عرف بها هو

(١) المصدر السابق ٨/ ٥٠٠ .

(٢) شذرات الذهب ١ / ٣٣٤ .

كتاب (اصول الهندسة) الذي كان عبارة عن مجموعة كبيرة من الموضوعات الهندسية مبرهناً عليها برهاناً منطقياً مبنياً على بديهات ومسلمات اعتبرها صحيحة في زمانه[1] وظل هذا الكتاب الذي اشتهر بكتاب اقليدس طي الافق اللغوي الاغريقي ولم تعرفه اللغة العربية الا في زمن الخليفة هارون الرشيد .

جاء في كتاب (دراسات في تاريخ العلوم عند العرب) :

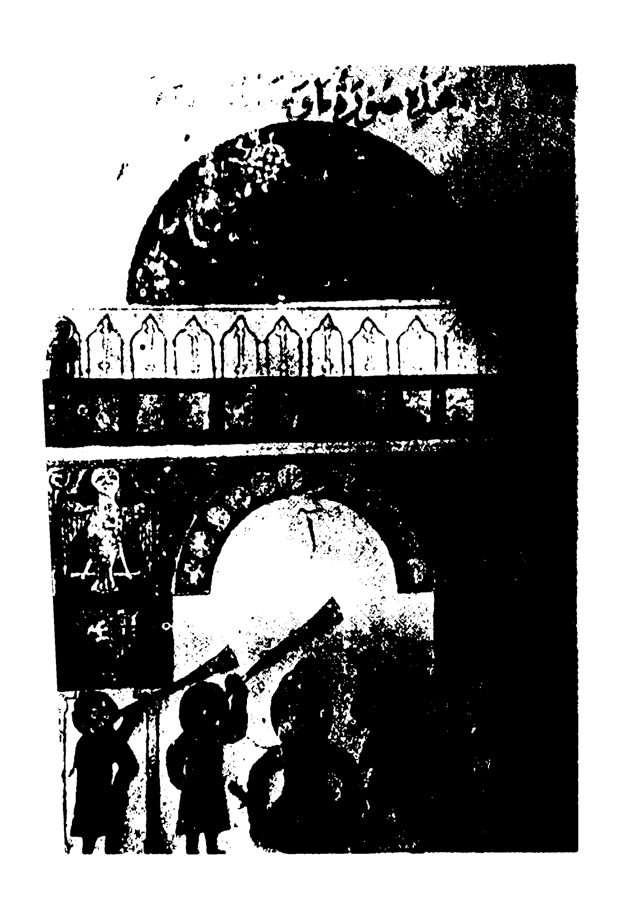
وفي زمن الرشيد نقل ايضاً كتاب اقليدس النقلة الاولى على يد الحجاج بن مطر وسميت ترجمته (الهارونية) تمييزاً لها عن النقلة (المأمونية) التي نقلت ايام المأمون[2] .

هو اول خليفة انشأ بيت الحكمة

بيت الحكمة كما معروف هو البيت الذي انشيء في العصر العباسي لترجمة الكتب العلمية والمعارف الانسانية من لغاتها التي كتبت بها الى اللغة العربية، يضاف الى ذلك تلقي العلوم والمعارف فيه ، وتدريسها من لدن اهلها المختصين بها الى الطلبة والناشئين عليها، وقد اشتهر لدى الناس ان هذا البيت قد أسسه الخليفة المأمون والحقيقة ان المؤسس الاول لهذه الجامعة العلمية هو الخليفة هارون الرشيد الذي يعد بحق واضع نواته وباذر بذرته الاولى في تاريخ العلم. . اما الخليفة المأمون فانما هو الذي وسعه وأتى له بكل ما يحتاجه من العلماء والكتب، ان رأينا هذا يتضح اكثر من كلام ابن النديم في كلامه على اخبار (علّان الشعوبي) حيث قال: «وينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة»، وكذلك عندما تكلم

(١) تاريخ علوم الطبيعة ٥٨ .

(٢) دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ١٧ .



نموذج للساعة العربية القديمة



على (ابي سهل الفضل بن نوبخت) وقال: «كان في خزانة الحكمة لهارون الرشيد. . . .» فنستنتج من هذا ان بيت الحكمة كان موجوداً في زمن الرشيد قبل عصر المأمون ويعمل فيه علماء مختلفو الثقافة والدين ، الا ان المأمون وسعه وجعل فيه الحركة العلمية اكثر نشاطاً وانتاجاً وحيوية حتى اصبحت الدار موئل طالبي العلم من كل حدب وصوب[1].

هو اول خليفة يهدي ساعة الى ملك الروم

كانت الدولة العربية الاسلامية في زمن الخليفة هارون الرشيد تعيش عصرها الذهبي وصارت بغداد حاضرة العالم آنذاك، وبفضل العقول العربية المسلمة ابتكرت المخترعات والآلات العلمية التي لم تكن معروفة لدى العالم بما فيه اوربا التي كانت تعيش فترة صراع دام بين الافكار العلمية الصرفة وبين المقدسات الكهنوتية التي يحرم التقرب منها واختراقها ، وفي تلك الفترة الهارونية الرشيدة استطاع علماء العرب ان يخترعوا الساعات المختلفة وذلك بفضل تشجيع الرشيد وسماحة الفكر الاسلامي الذي ينحو نحو اكتشاف الآفاق ، ومن تلك الساعات التي اخترعها علماء العرب الساعات المائية والساعات الزئبقية والساعات الشمسية التي بهرت العالم بصنعها وعملها الدقيق في تعيين اوقات الصلاة، وكان الخليفة الرشيد قد اهدى ساغة الى امبراطور الفرنج القيصر شارلمان الذي اندهش هو وقومه منها ومن براعة العقل الذي انتجها ، ولم يسبق أحد من الخلفاء هارون الرشيد بهذا الاهداء، وقد اثبتت المستشرقة الالمانية سجريد هونكة هذا العمل للخليفة الرشيد ،

---

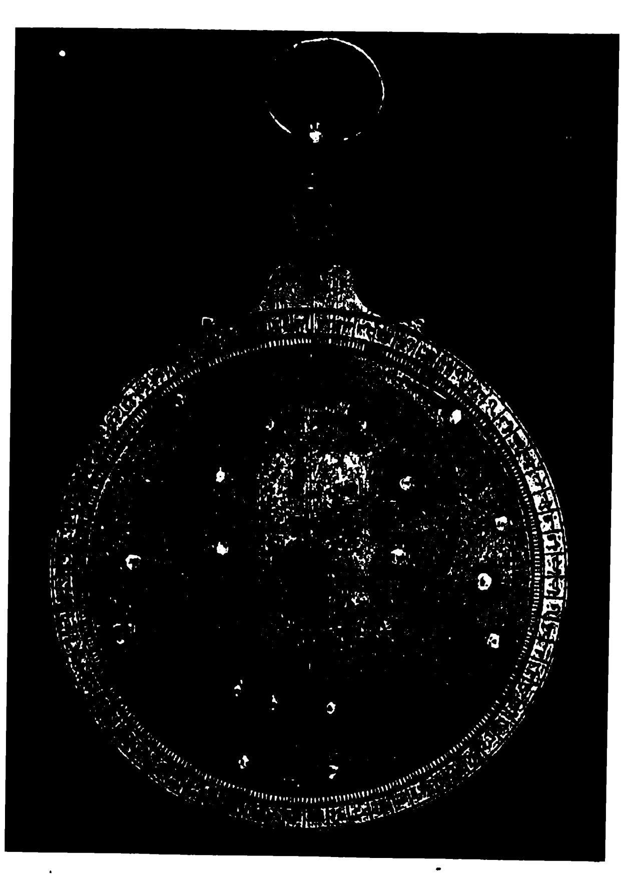
(١) المصدر السابق ١٧ .

حيث قالت في وصف الساعة: وقد انفتحت آفاق عديدة امام العرب فصنعوا الساعات التي تسير على الماء وعلى الزئبق وعلى الشمع المشتعل او التي تعمل بواسطة الاثقال المختلفة فكان ان وجدوا الساعات الشمسية الدقاقة التي كانت تعلن ساعة الغداء بصوت رنان، والساعات المائية التي كانت تقذف كل ساعة كرة في قدح معدني وتدور حول محور تظهر فيه النجوم ورسومات من عالم الحيوان او ساعات تحمل فتحات منسقة الواحدة تلو الاخرى في شكل نصف دائري وما تلبث ان تبرق كلما جاوزت الساعة الثانية عشرة ليلاً في حين يمر فوقها هلال وضاء ، وفي عام ٨٠٧م قدم عبدالله رسول هارون الرشيد الى القيصر شارلمان في مدينة آخن من اعمال المانية ساعة من هذا النمط ، وقد علق مؤرخ القيصر اينارد على هذا الحدث في يومياته قائلاً: كانت ساعة من النحاس الاصفر مصنوعة بمهارة فنية مدهشة وكانت تقيس مدة اثنتي عشرة ساعة وفي حين اتمامها لذلك كانت تسقط الى الاسفل اثنتي عشرة كرة صغيرة محدثة لدى اصطدامها برقاص معدني مثبت دوياً ايقاعياً جميلاً، بالاضافة الى عدد مماثل من الافراس الصغيرة التي كلما دارت الساعة دورتها الكاملة قفزت من فتحة اثنتي عشرة بوابة واغلقتها بقفزاتها هذه ، وهناك اشياء كثيرة تسترعي الانتباه في هذه الساعة تدعو الى العجب والدهشة وليس ثمة مجال لعدها اذ ان ذلك قد يقودنا الى تفاصيل كثيرة[1].

هو اول خليفة عباسي
يتبادل السفراء مع الروم

بعد الانتصارات التي حظي بها الخليفة هارون الرشيد والتي

(١) شمس العرب تسطع على الغرب ١٤١ .



نموذج للساعة المسماة بالاصطرلاب

التي اهداها الخليفة الرشيد لملك الفرنج شارلمان



وضعت الدولة العربية الاسلامية في وقته موضع الهيبة والاجلال من قبل دولة الروم وغيرها، فكان لا بد من مد خيط العلاقة المتصل بين الدولتين ، فكان ان بادر شارلمان امبراطور الفرنج الى بناء علاقة على مستوى سفارة رسمية بينه وبين العرب، فرحب الخليفة هارون الرشيد بهذه الفكرة، فكان اول خليفة عباسي يقيم السفراء بين دولة العرب ودولة الروم، وقد اوردت كتب التاريخ بداية هذه العلاقة.

قال المؤرخ محمد عبدالله عنان:

كانت بين الرشيد وشارلمان مكاتبات وسفارات ، وان شارلمان سعياً الى توثيق الصداقة بينه وبين زعيم الأسلام اوفد الى الرشيد سفارة على رأسها يهودي يدعى اسحاق ، ووصل اسحاق الى بلاط بغداد وقدم الى الرشيد كتب ملك الافرنج وهديته، فاكرم الرشيد وفادته ورحب بصداقة ملك الفرنج وأوفد اليه سفراء بهدية فخمة منها خيمة عربية وساعة مائية واقمشة حريرية وتحف من الذهب وقردة وفيل ومفاتيح قبر المسيح في بيت المقدس مع تأكيداته الودية في حماية البقاع المقدسة، ثم ان شارلمان سر بهذه النتيجة وأوفد الى الرشيد سفارة اخرى على رأسها مبعوثه اسحاق ايضاً، ولم تحدد الرواية الفرنجية تاريخ هذه العلاقات الدبلوماسية بين العاهلين ، والمرجح انها وقعت في أوائل عهد الرشيد بين سنتي ٧٨٦م - ٧٩٠م (١٧١هـ - ١٧٦هـ)، وقد كانت للرشيد ايضاً اثناء فترات السلم والمهادنة علائق دبلوماسية منظمة مع الدولة البيزنطية ، وتبادل بلاط بغداد وبلاد قسطنطينية ايام الامبراطورية ايريني والامبراطور نقفور سفارات ومراسلات عديدة[١] .

---

(١) تراجم اسلامية ٢٢ - ٢٤ .

الامين بن هارون الرشيد(*)

هو اول خليفة عباسي يقتل الاسد بيديه

عرف الخليفة الامين بقوته المفرطة وقوامه الهيكلي الضخم وشجاعته المشهورة وبطشه الشديد بحيث انه كان يصرع الاسد اذا لقيه وفعلاً فقد

(*) هو محمد بن الخليفة هارون الرشيد، لقبه الامين وكنيته ابوموسى امه زبيدة بنت جعفر الاكبر بن أبي جعفر المنصور، ولد بالرصافة في بغداد في شوال سنة مائة وسبعين هجرية، كان طويلاً سميناً ابيض أقنى الانف صغير العينين، ولاه ابوه العهد في حياته فأتته الخلافة بعد وفاته لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة للهجرة، عرف بقوته المفرطة وشجاعته حتى قيل انه قتل الاسد مرة بيده، وله فصاحة وبلاغة وأدب وفضيلة، قال فيه احمد بن حنبل: «اني لأرجو ان يرحم الله الامين بانكاره على اسماعيل بن علية فأنه أدخل عليه، فقال له: يا ابن الفاعلة انت الذي تقول: كلام الله مخلوق؟»، ومن هذا الخبر يظهر الامين كأبيه في حربه للزنادقة ومطاردته لهم، وكان منفقاً للمال مهتماً بالعمران قيل انه بنى بنايات هائلة للنزهة وفرشها بانواع البسط والحرير، وقد اعطى الشعراء والادباء الجوائز والهدايا الثمينة لاهتمامه بذلك، لكنه برغم هذا حبس الشاعر ابانؤاس بسبب شربه الخمور وأطال حبسه ثم اطلقه وأخذ عليه العهد ان لا يشرب الخمر فامتثل لذلك ولم يشرب الخمر بعدما استتابه الامين، وقد تأدب الخليفة الامين على الكسائي العالم اللغوي المشهور وقرأ عليه القرآن، ولم تطل مدة خلافته لدخول الايادي الشعوبية في التفرقة بينه وبين أخيه المأمون، فقد احدث اعداء العرب والمسلمين الفتنة بينهما وساءت العلاقة بين الاخوين الامين والمأمون الذي كان آنذاك والياً على بلاد المشرق مما أدى الى حرب طاحنة بين الخليفة الامين وجيش المأمون الذي كان على رأسه طاهر بن الحسين فدخل هذا الجيش بغداد واستباح حرمتها ولم يقو الامين على مواجهته فقتل في مشهد مأساوي موجع وذلك في رابع صفر من سنة ثمان وتسعين ومائة هجرية وحمل رأسه الى أخيه المأمون فتألم واشتد أوجاعه على أخيه مما دفعه الى التنكيل بقاتل أخيه لانه لم يرد له هذه النهاية الاليمة، ودامت خلافة الامين اربع سنين وسبعة اشهر وثمانية ايام.

انظر:

الكامل ٥/١٦٦، البداية والنهاية ١٠/٢٤١، تاريخ الخلفاء ٤٧٤.

قام بقتل الاسد في مرة من المرات وهو عمل لم يقم به واحد من خلفاء بني العباس اللهم الا من الخليفة المعتصم الذي جاء بعده وقد شهد بهذه الواقعة للامين المؤرخون .

قال السيوطي في وصف الخليفة الامين :

وكان من أحسن الشباب صورة، ابيض طويلاً جميلاً ذا قوة مفرطة وبطش وشجاعة معروفة .

يقال : انه قتل مرة أسداً بيده[1] .

وفي توضيح اكثر لهذا الفعل قال ابن العماد الحنبلي في شذراته :

قيل اتىٰ محمد الامين بأسد فاطلقه فقصد محمداً فأستتر منه بمرفقه ثم يده فضربه في أصل أذنه فخر الاسد ميتاً ومازالت كل قصبة في يده من موضعها[2] .

هو اول خليفة عمل عدة حراقات على صورة الحيوانات

والحراقة نوع من انواع السفن التي كانت تستعمل في الحروب وتوضع فيها مرامي النيران التي يرمى بها العدو، واعتبرت آنذاك من التكنيكات الحديثة في الحروب ، وعرفها العرب المسلمون واستعملوها في حروبهم البحرية ضد الروم ولكن لم يهتموا بان يجعلوها مشابهة للحيوانات ولما ولي الامين الخلافة عرف عنه الاهتمام بهذه الجوانب فأمر بصنع الحراقات على هيئة الحيوانات .

قال السيوطي[3] :

---

(١) تاريخ الخلفاء ٤٦٤ .

(٢) شذرات الذهب ١/ ٣٥٤ .

(٣) تاريخ الخلفاء ٤٨١ .

وعمل خمس حراقات على خلقة الاسد والفيل والعقاب والحية والفرس وأنفق في عملها اموالاً ، فقال ابونؤاس :

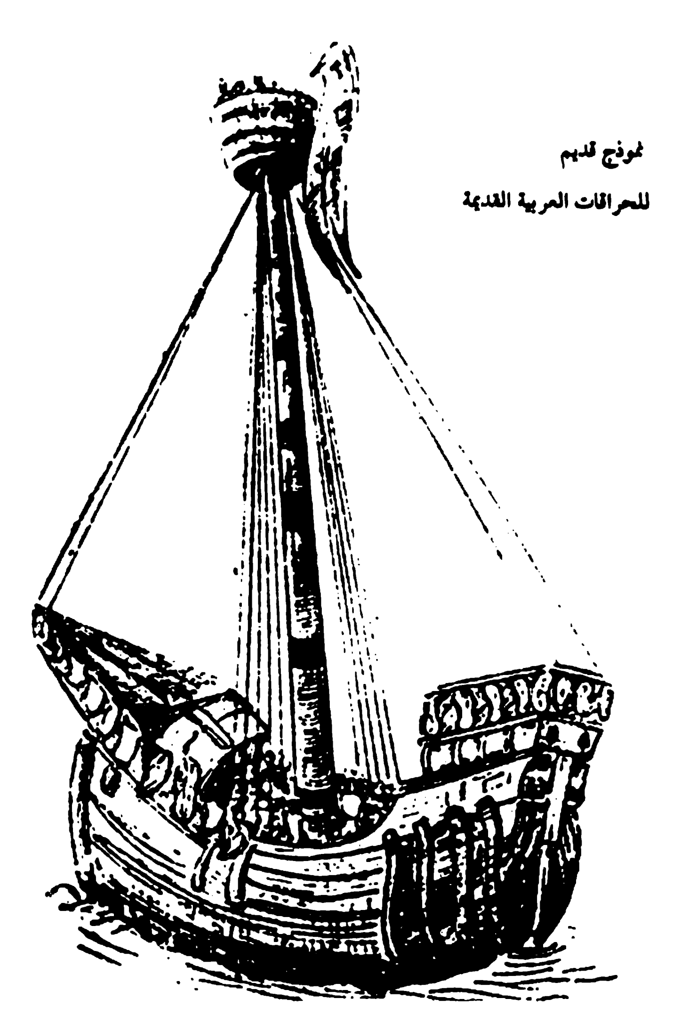
سخر الله للامين المطايا
لم تسخر لصاحب المحراب
فاذا ما ركابه سرن برا
سار في الماء راكباً ليث غاب
اسداً باسطاً ذراعيه يهوى
أهرت الشدق كالح الانياب

هو اول خليفة دعي له بلقبه على المنابر

من المعروف ان لقب الامين اول من تلقب به الرسول الكريم محمد(ﷺ) في شبابه ، ثم استعار المسلمون بعده هذا اللقب واطلقوه على انفسهم ومن هؤلاء الخليفة محمد بن هارون الرشيد الذي اطلق على نفسه لقب الامين فاشتهر به في التاريخ اكثر من اسمه ، ثم اطلقه العلماء على انفسهم مضافاً الى الدين والدولة فقيل : أمين الدين وامين الدولة ، كأمين الدولة ابن التلميذ وامين الدين ياقوت : لكن الذين اطلقوا هذا اللقب على انفسهم لم يدع لهم به على المنابر ، وانما كان الناس يعرفونهم به ، والذي احدث ذلك هو الخليفة الامين.

قال السيوطي :

قال علي بن محمد النوفلي وغيره : لم يدع للسفاح ولا للمنصور ولا للهادي ولا للرشيد على المنابر باوصافهم ، ولا كتبت في كتبهم حتى ولي الامين فدعي له بالامين على المنابر ، وكتب عنه : من عبدالله محمد الامين



نموذج قديم

للحراقات العربية القديمة



امير المؤمنين ، وكذا قال العسكري في الأوائل : اول من دعي له بلقبه على المنابر الامين[1] .

هو اول خليفة عباسي يلي الخلافة من اب وام هاشميين

والهاشمي هو الذي يعود نسبه الى هاشم جد النبي محمد (ﷺ) ، وقد حكم قبل الامين خلفاء عباسيون لم يتصل نسب آبائهم وامهاتهم معاً بهاشم جد النبي محمد (ﷺ) .

ويعتبر الخليفة الامين اول من ولي الخلافة من بني العباس وهو يحوز على النسب الهاشمي من جهة أبيه وأمه معاً .

جاء في تاريخ الخلفاء للسيوطي :

ما ولي الخلافة الى وقتنا هذا هاشمي ابن هاشمية سوى علي بن ابي طالب وابنه الحسن والامين فأن امه زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور واسمها أمة العزيز وزبيدة لقب لها .

وقال اسحاق الموصلي : اجتمعت في الامين خصائل لم تكن في غيره ، كان أحسن الناس وجهاً وأسخاهم واشرف الخلفاء أباً وأماً ، حسن الادب عالماً بالشعر[2] .

واننا لو تتبعنا نسب الخليفة الامين من جهة أبيه وأمه لوجدنا ان نسبه هاشمي صرف كما ذكر المؤرخون .

فهو من جهة أبيه : محمد بن هارون بن المهدي محمد بن عبدالله ابي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب

---

(١) تاريخ الخلفاء ٤٨٤ ، الوسائل ٧٧ .

(٢) تاريخ الخلفاء ٤٨٤ .

بن هاشم جد النبي (ﷺ) .

وهو من جهة امه : محمد بن زبيدة بنت جعفر بن عبدالله ابي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم جد النبي محمد (ﷺ)[1] .

وفي شأن السيدة زبيدة أم الخليفة الامين يقول السيوطي :

قال الثعالبي في لطائف المعارف :

كان ابو العيناء يقول: لو نشرت زبيدة ضفائـرها مـا تعلقت الا بخليفة او ولي عهد فان المنصور جدها والسفاح أخو جدها والمهدي عمها والـرشيد زوجهـا والامين ابنهـا والمأمـون والمعتصم إبنا زوجهـا والواثق والمتوكل ابنا ابن زوجها وأما ولاة العهود فكثيرة .

ونظيرتها من بني أمية عاتكة بنت يـزيد بن معـاوية : يـزيد أبـوها ومعـاوية جـدها ، ومعـاوية بن يـزيد أخـوها ومـروان بن الحكم حموهـا وعبدالملك زوجها ويزيد ابنها والوليد بن يزيـد بن ابنها والـوليد وهشـام وسليمان بنو زوجها ويزيد وابراهيم ابنا الوليد بن عبدالملك ابنا زوجها[2] .

---

(1) المعارف ٣٧٨ .

(2) تاريخ الخلفاء ٤٨٧ .

الخليفة المأمون(*)

(*) هو الخليفة عبدالله بن هارون الرشيد العباسي القرشي الهاشمي: كنيته ابو جعفر امير المؤمنين ولقبه الذي اشتهر وعرف به المأمون، أمه أم ولد يقال لها مراجل الباذغيسية، ولد في ربيع الاول سنة سبعين ومائة هجرية في الليلة التي توفي فيها عمه الهادي وولي أبوه هارون الرشيد وكانت ليلة الجمعة وكانت أمه قد ماتت في نفاسها به ، كان أفضل رجال بني العباس حزماً وعزماً وحلماً ورأياً ودهاء وهيبة وشجاعة وسؤدداً وسماحة وله محاسن كثيرة وسيرة مليئة بالخير والعرفان ولم يلِ الخلافة من العباسيين اعلم منه وافصح منه، قال عن نفسه: «معاوية بعَمره وعبدالملك بحجاجه وأنا بنفسي»، وقيل: انه ختم في بعض الرمضانات ثلاثاً وثلاثين ختمة من القرآن الكريم، وقال فيه ابو معشر المنجم: كان المأمون اماراً بالعدل فقيه النفس يعد من كبار العلماء ، وقد قدم المأمون دمشق مرات وأخذ عنها العلم وسمع الحديث عن كبار المحدثين واشتغل بروايته، وتأدب على الكسائي واليزيدي، وجمع الفقهاء من الآفاق وبرع في الفقه والعربية وإيام الناس ولما كبر عنِيّ بالفلسفة وعلوم الاوائل ومهر فيها، تولى الخلافة في المحرم لخمس بقين منه بعد مقتل أخيه سنة ثمان وتسعين ومائة للهجرة واستمر في الخلافة عشرين سنة وخمسة اشهر، كان المأمون ابيض ربعة حسن الوجه قد وخطه الشيب تعلوه صفرة أعين طويل اللحية ضَيق الجبين على خده خال، وكانت فيه شهامة عظيمة وقوة جسمية في القتال وحصار الاعداء ومصابرة الروم وحصرهم وقتل رجالهم وسبي نسائهم، واشتهر بتجربة العدل وتولي الحكم بنفسه بين الناس والفصل في الاقضية التي ترد عليه، ولم يبال بالانفاق على العلماء والشعراء واكرامهم ، ومن اقواله المشهورة: «اول العدل ان يعدل الرجل في بطانته ثم الذين يلونهم حتى يبلغ الى الطبقة السفلى»، وقيل ان ملك الروم اهدى للمأمون هدية فيها مائتا رطل مسك ومائتا جلد سمور فقال: اضعفوها له ليعلم عز الاسلام ، كان المأمون قد اوصى بالخلافة الى اخيه المعتصم وكتب له ذلك بشهادة ابنه العباس وجماعة القضاة والامراء وأوصاه بتقوى الله والرفق بالرعية وكانت وفاته بطرسوس في مكان يسمى بدندون يوم الخميس وقت الظهر لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثماني عشرة ومائتين للهجرة وله من العمر ثمان واربعون سنة.

انظر: البداية والنهاية ٢٧٤١٠، تاريخ الخلفاء ٤٨٩، شذرات الذهب ٢/ ٣٩ .

هو اول خليفة عباسي يتبنى
مبدا العقل ويبالغ في التزامه

عرف عن الخليفة المأمون ولعه الشديد بالعلوم وغرامه الكبير بالكتب منذ صغره وقد نشأ هذا الجانب عنده وترعرع بين جنباته بحيث دفعه الى ارتشاف العلوم، لا سيما العقلية منها، فكان في خلافته يقضي شطر وقته في المناظرات العقلية والمجالات الفلسفية التي تبعث المقابل على التفكير والاستنباط عن الطرق التي توصل المناظر الى افحام الخصم، وقد ظهرت مقدرة المأمون وبراعته في هذا الباب من خلال رسائله وكتبه التي بعثها الى ولاته في الامصار والتي أورد فيها الردود على العلماء في قضية خلق القرآن التي تبناها ودافع عنها، وبرغم ان باعه كان قاصراً في هذه المحنة وان رأي العلماء كان هو الصواب، الا ان كتاباته كانت توحي بسعة العلم والعقلية التي كان عليها .

يروى لنا السيوطي ما يؤيد الموسوعية العلمية التي كان عليها المأمون اذ قال:

اخرج عن محمد بن حفص الانماطي قال:

تغدينا مع المأمون في يوم عيد فوضع على مائدته اكثر من ثلاثمائة لون فكلما وضع لون نظر المأمون اليه فقال: هذا نافع لكذا ضار لكذا، فمن كان منكم صاحب بلغم فليجتنب هذا ومن كان منكم صاحب صفراء فليأكل من هذا، ومن غلبت عليه السوداء فلا يعرض لهذا ومن قصد قلة الغذاء فليقتصر على هذا، فقال له يحيى بن اكثم: ياامير المؤمنين ان خضنا في الطب كنت جالينوس في معرفته او في النجوم كنت هرمس في حسابه او في الفقه كنت علي بن ابي طالب رضي الله عنه في علمه او ذكر

السخاء كنت حاتم طي في صفته او صدق الحديث كنت اباذر في لهجته او الكرم فانت كعب بن‌مامة في فعاله او الوفاء فانت السمؤال بن‌عادياء في وفائه، فسر المأمون بهذا الكلام وقال: ان الانسان انما فضل بعقله ولولا ذلك لم يكن لحم اطيب من لحم ولا دم اطيب من دم[1].

هو اول خليفة عباسي التزم مبدا الاعتزال ودافع عنه

الاعتزال هو مذهب المعتزلة وهي احدى الفرق الاسلامية التي ظهرت اولى بوادرها في القرن الهجري الاول ثم ترعرعت وتبلورت كفلسفة عقلية ذات أسس وقواعد وتفريعات في القرن الثاني الهجري، وكانت تعنى بالجانب العقلي والتعليلات الفلسفية البعيدة عن النقليات، وقد تبنى الخليفة المأمون مذهب المعتزلة ودافع عنه دفاعاً مستميتاً وأجبر الناس على اعتناقه وعمل كل ما في وسعه لأجل افشاء هذا المذهب بين الناس من ذلك تشجيعه ترجمة كتب المنطق والفلسفة اليونانية ورصده العلماء والمترجمين لهذه المهمة .

جاء في كتاب «دراسات في تاريخ العلوم عند العرب»:

وكان المأمون قد وسع دار الحكمة وجعل فيها الحركة العلمية اكثر نشاطاً وانتاجاً وحيوية حتى اصبحت الدار موئل طالبي العلم من كل حدب وصوب وفضلاً عن هذا فقد كانت مملوءة بكنوز الكتب في شتى المجالات العلمية، حيث وصلتها كميات كبيرة من الكتب اليونانية في الطب والفلسفة وغيرها من العلوم الاخرى وفي بيت الحكمة دوائر للترجمة والتأليف والنقل وغير ذلك، وكان الخليفة المأمون قد عهد الى حنين

---

(١) تاريخ الخلفاء ٣٠٥ .

بن اسحق القيام بترجمة الكتب الموجودة في بيت الحكمة الى اللغة العربية ، لأنه كان احسن من يقوم بالنقل والترجمة يساعده في ذلك علماء يترجمون ما يعهد اليهم ثم يعرضونه عليه لتدقيقه والموافقة على صحة ترجمته[1] .

وقد روى عن المأمون انه رأى في المنام شيخاً بهي الشكل جالساً على منبر وهو يخطب ويقول : «انا ارسطو طاليس» فاستيقظ من نومه وسأل عن ارسطوطاليس فقيل له انه رجل حكيم من اليونانيين ، فاستدعى حنين بن اسحق باعتباره احسن النقلة وطلب اليه نقل كتب الحكماء اليونانيين الى العربية، وبالرغم من ورود هذه الرواية في مصادر عديدة كالفهرست لابن النديم وتاريخ الحكماء لابن القفطي وغيرهما، الا انها لا يمكن ان تكون سبباً مباشراً لدفع المأمون على تشجيع الترجمة والنقل، وربما كانت هذه الرواية احدى الروايات الموضوعة لأسباب سياسية او عقائدية ، فالمعروف عن المأمون انه كان معتزلي المذهب، وانما شجع الترجمة لاسباب ثقافية وعقائدية ونفسية لدعم آراء المعتزلة بالآراء الفلسفية الاخرى، بالاضافة الى ان عصره كان عصر ازدهار علمي وفكري بفضل نضوج الحضارة العربية نتيجة للتمازج بينها وبين حضارات البلاد المفتوحة .

هو اول خليفة امر بتاليف كتاب «الجبر والمقابلة»

يعتبر كتاب «الجبر والمقابلة» من اوائل الكتب التي ألفت في علم الرياضيات عند العرب، والذي كتب وألف هذا الكتاب هو العالم العربي المسلم محمد بن موسى الخوارزمي في زمن الخليفة المأمون وبأمر منه ، فقد ولاه

---

(١) دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ١٨ .

المأمون منصب بيت الحكمة وعهد اليه بجمع الكتب اليونانية وترجمتها، وقد أمر الخليفة المأمون هـذا العالم الفـذ بتأليف كتـاب «الجبر والمقـابلة» وصرح الخوارزمي بهذا في كتابه، فقد ورد في كتاب (دراسات في تاريخ العلوم عند العرب) مانصه:

بين الخوارزمي في مقدمة كتابه «الجبر والمقابلة» ان الخليفة المأمون هو الذي طلب منه وشجعه على تأليفه، كما ذكر: «وقد شجعني ما فضل الله به الامام المأمون امير المؤمنين مع الخلافة التي حاز له أرثها واكرمه بلباسها وحلاه بزينتها من الرغبة في الادب وتقريب اهله وأدناهم وبسط كنفه لهم ومعونتـه اياهم على ايضاح ما كان مستبهماً وتسهيل ما كان مستوعراً»[1] .

هو اول من انشا داراً للرصد في الاسلام

اهتم العرب بعلم الفلك والنجوم منـذ قيامهم بتـرجمة كتب اليـونان وانهمكوا في اعمال الرصد التي ارادوا منها اسعافهم في معرفة الظواهر الكونية كالخسوف والكسوف ومعرفة منازل النجوم والشمس والقمر، وقد ظهر الكثير من العلماء العـرب الذين تـركوا آثـاراً جليلة ومؤلفات قيمـة في علم الفلك والارصـاد الجويـة أشهـرهم احمـد بن عبـدالله الحـاسب ومحمـد بن مـوسى الخوارزمي ومحمد بن جابر الرقي البتاني وغيرهم .

جاء في كتاب «دراسات في تاريخ العلوم عند العرب»:

بالرغم من ان الخليفة المنصور اول من عني بعلم الفلك، الا ان المأمون انشأ اول دار للرصد في الشماسية وجعلها منشأة علمية، حيث وهب لها المال الكثير وهيأ لها مجموعة من علماء الفلك والطبيعيات الذين الفوا بالفطرة البحث الفلكي وتشكل دراساتهم وارصاداتهم التي قاموا بها سلسلة مستمرة طيلة مدة

---

(١) دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ١٢١ .

قرنين وبقي في دمشق مرصداً آخر سنة ٢١٤هـ./ ٨٢٩م واعتبره بعض الدارسين اول مرصد في الاسلام، والخليفة المأمون اول من أشار الى فلكييه باستعمال آلات الرصد ، ومن أشهر فلكيي هذه الدار سند بن علي والعباس بن اسماعيل الجوهري وعلم الـدين البغدادي، وابنـاء موسى بن شاكر وثابت بن قرة، وبانشائه بدأ العصر الفلكي الايجابي عند العرب، وعند وفاة المأمون انشأ بنو موسى بن شاكر مرصداً على طرف الجسر المتصل بباب الطاق واستخرجوا فيه حساب العرض الاكبر من عروض القمر، ومن المراصد الاخرى التي بنيت بعد وفاة الخليفة المأمون، مرصد بني الاعلم، وذكر ابن القفطي أحد فلكييه وهو علي بن الحسن ابوالقاسم العلوي المعروف بابن الاعلم صاحب الزيج ، كما بنى اولاد موسى بن شاكر مرصد سامراء وفيه آلة ذات شكل كروي دائري تحمل صور النجوم ورموز الحيوانات في وسطها وتديرها قوة مائية وكان كلما غاب نجم في قبة السماء اختفت صورته في اللحظة ذاتها في الآلة، واذا ما ظهر نجم في قبة السماء ظهرت صورته في الخط الافقي من الآلة[1] .

يظهر لنا مما تقدم ان المأمون كان اول خليفة يلج مضمار الفلك والرصد الجوي للكواكب والافلاك بما انشأه من مراصد ومراكز فلكية وان كل المراصد التي انشئت من بعده انما هي عالة عليه وثمرة من ثمرات جهوده

هو اول خليفة امر بامتحان امانة الصيادلة

لا يخفى ان لعلم الصيدلة آثاره الجلي على صنعة الطب وعلومه منذ أقدم الازمان، فهو العلم الذي يرتكز عليه الاطباء في الحصول على العلاج الشافي المعافي لمرضاهم ولولا أسس ومعطيات علم الصيدلة لما زاول الاطباء مهنتهم ولتركوهـا في الحال إذ مـا الفائـدة من تشخيص الامراض دون عـلاجها ؟!

(١) دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ١٩٥ .

والصيدلة تاريخها عند العرب قديم مقرون بتاريخ الادوية والعلاجات، ولذلك فقد برعوا بها وكتبوا فيها الكتب وكانت لهم ابتكارات بَزّوا بها من حولهم من الأمم ، وقد وضع العرب عصارة افكارهم ونتائج تجاربهم في كتب خلصت سميت «بالأقراباذين» ونشرت فيها بعد على أسس صالحة للاستعمال تحت عنوان «وسائل شافية» وتناولها الجميع ، والحق ان العرب اول من أسس الصيدلة ، فقد اضافوا تركيبات جديدة وابتكارات علمية لم تكن معروفة قبلهم كما انهم اول من كتب والف في العقاقير ، ومن أهم مآثر العرب في علم الصيدلة ادخالهم نظام الحسبة ومراقبة الادوية اذ ان بعض الصيادلة لم يكونوا امينين ومخلصين في اعمالهم فكان قسم منهم لا يكتفي بالتدليس والغش ، بل كانوا من الاستهتار بدرجة انهم يدعون بان لديهم جميع اصناف الادوية ويعطون لمن طلب منهم أي دواء آخر نظراً الى ان المشتري لا يلم بمعرفة هذه المهنة ، فامر المأمون بامتحان امانة الصيدلة ثم أمر المعتصم سنة ٢٢١هـ/٨٣٥م ان يمنح الصيدلي الذي ثبتت امانته شهادة تجيز له العمل ، ثم ادخلت الصيدلية تحت مراقبة الحسبة، ثم انتقل نظام الحسبة هذا الى اوروبا ولا تزال كلمة محتسب تستعمل في اللغة الاسبانية بلفظها العربي حتى الوقت الحاضر[1] .

هو اول خليفة يامر بقياس محيط الارض في العصر الاسلامي

اشتهر عصر الخليفة المأمون كما اسلفنا بانه عصر النضوج العلمي والتقدم الحضاري الذي شهده العالم في وقت كانت اوروبا تنام تحت وطأة الجهل والظلام، وقد شهد عصر الخليفة المأمون الكثير من المنجزات والابتكارات العلمية، وان ولع المأمون الشديد وغرامه الفياض بالمعارف

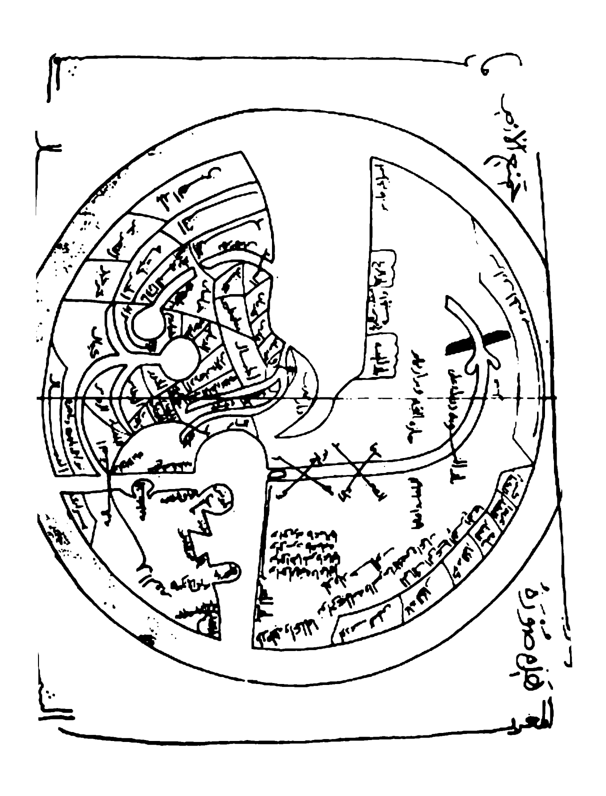
---

(١) المصدر السابق ٣٤٠ .

والعلوم دفعاه الى رفد العلماء بكل ما يحتاجونه في سبيل تحقيق السوابق العلمية كل في اختصاصه الذي يتوغل فيه، وقد تقدم انه كان من اوائل المشجعين على استكناه الفضاء واستكشاف حركات الافلاك والنجوم. ومعرفة قرارات دورانها في الفضاء، حيث دفع العلماء والفلكيين الى ما يشفي نفسه من هذه العلوم ويروي ظمأه منها، من ذلك ارساله بعثة علمية الى سهل سنجار في العراق لقياس المسافة التي تطابق درجة واحدة على سطح الارض أي قياس محيط الارض في الواقع.

وقد روى ذلك العالم البيروني في كتابه (تحديد نهايات الاماكن لتصحيح مسافات المساكن)، وهذه الطريقة التي اتبعوها لم يتفق للعلماء القيام بمثلها والحصول على نتيجة مماثلة لها الا بعد مرور الف سنة، وقد أورد المستشرق الايطالي (نالينو) الطريقتين العربيتين اللتين استعملتا في هذه العملية، وأورد (ابن خلكان) في كتابه «وفيات الاعيان» عند ترجمته لحياة محمد بن موسى بن شاكر الطريقة التي استعملت بأمر المأمون ونحن نوردها هنا كما جاءت في الوفيات:

ومما اختصوا به في ملة الاسلام واخرجوه من القوة الى الفعل وان كان أرباب الارصاد المتقدمون على الاسلام قد فعلوه لكنه لم يقل ان احداً من أهل هذه الملة تصدى له وفعله الا هم، وهو ان المأمون كان مغرى بعلوم الأوائل وتحقيقها ورأى فيها ان دور كرة الارض اربعة وعشرون الف ميل كل ثلاثة اميال فرسخ فيكون المجموع ثمانية آلاف فرسخ بحيث لو وضع طرف حبل على أي نقطة كانت من الارض وأدرنا الحبل على كرة الارض حتى انتهينا بالطرف الآخر الى ذلك الموضع من الارض والتقى طرفا الحبل، فأذا مسحنا ذلك الحبل كان طوله اربعة وعشرين الف



صورة محيط الارض كما وردت في مؤلفات العرب القدامى



ميل ، فأراد المأمون ان يقف على حقيقة ذلك، فسأل بني موسى المذكورين عنه فقالوا: نعم هذا قطعي ، فقال: اريد منكم ان تعملوا الطريق الذي ذكره المتقدمون حتى نبصر هل يتحرر ذلك أم لا ، فسألوا عن الاراضي المتساوية في أي البلاد هي ؟ فقيل لهم: صحراء سنجار في غاية الاستواء ، وكذلك وطأة الكوفة، فأخذوا معهم جماعة ممن يثق المأمون الى اقوالهم ويركن الى معرفتهم بهذه الصناعة وخرجوا الى سنجار وجاؤا الى الصحراء المذكورة فوقفوا في موضع منها وأخذوا ارتفاع القطب الشمالي ببعض الآلات وضربوا في ذلك الموضع وتداً وربطوا فيه حبلاً طويلاً ثم مشوا الى الجهة الشمالية على الاستواء من غير انحراف الى اليمين واليسار حسب الامكان ، فلما فرغ الحبل نصبوا في الارض وتداً آخر وربطوا فيه حبلاً طويلاً ومشوا الى جهة الشمال ايضاً كفعلهم الاول ولم يزل ذلك دأبهم حتى انتهوا الى موقع اخذوا فيه ارتفاع القطب المذكور فوجدوه قد زاد على الارتفاع الاول درجة فمسحوا ذلك القدر الذي قدروه من الارض بالحبل فبلغ ستة وستين ميلاً وثلثي الميل ، فعلموا ان كل درجة من درج الفلك يقابلها من سطح الارض ستة وستون وثلثان ، ثم عادوا الى الموضع الذي ضربوا فيه الوتد الاول وشدوا فيه حبلاً وتوجهوا الى جهة الجنوب ومشوا على الاستقامة وعملوا كما عملوا في جهة الشمال من نصب الاوتاد وشد الحبال حتى فرغت الحبال التي استعملوها في جهة الشمال ثم اخذوا الارتفاع فوجدوا القطب الشمالي قد نقص عن ارتفاعه الاول درجة فصح حسابهم وحققوا ما قصدوه من ذلك، وهذا اذا وقف عليه من له يد في علم الهيئة ظهر له حقيقته ، ومن المعلوم ان عدد درج الفلك ثلثمائة وستون درجة لأن الفلك مقسوم باثني عشر برجاً وكل برج ثلاثون درجة فتكون الجملة ثلثمائة وستين درجة فضربوا عدد درج الفلك في ستة وستين

ميلاً وثلثين ، ـ أي التي هي حصـة كل درجـة ـ فكانت الجملة اربعـة وعشرين الف ميل وهي ثمانية آلاف فرسخ وهذا محقق لا شك فيه .

فلما عاد بنو موسى الى المأمون واخبروه بما صنعوا وكان موافقاً لما رآه في الكتب القديمة من استخراج الاوائل طلب تحقيق ذلك في موضع آخر فسيرهم الى ارض الكوفة وفعلوا كما فعلوا في سنجار فتوافق الحسابان ، فعلم المأمون صحة ما حرره القدماء في ذلك[1] .

هو اول خليفة عباسي دخل مصر

كـان الخليفة المـأمون اضـافة الى شغفـه بالعلوم والكتب شغـوفاً بالغزوات وحرب الروم ، فقد سار بنفسه يقود الحمـلات الحربيـة لفتح القلاع والحصون التي كانت بيد الروم ، وكان أمراً طبيعياً ان يمر بالبلدان والممالك الاسـلامية وهـو في طريقـه الى الحروب والغـزوات ومن تلك البلدان مصر التي كانت بعيدة عن الخلفاء العباسيين ولم يدخلها احد قبله فلما دخلها كان اول خليفة عباسي يطأ ارضها .

أورد السيوطي في تاريخه قائلاً :

وفي سنة خمس عشرة سار المأمون الى غزو الروم ففتح حصن مرة عنوة وحصن ماجدة ثم سار الى دمشق ثم عاد في سنة ست عشرة الى الروم وافتتح عدة حصون ثم عاد الى دمشق ثم توجه الى مصر ودخلها ، فهو اول من دخلها من الخلفاء العباسيين ، ثم عاد في سنة سبع عشر الى دمشق والروم[2] .

---

(١) وفيات الاعيان ٥ / ١٦١ .

(٢) تاريخ الخلفاء ٤٩٢ .

هو اول خليفة ينظم شعراً في وصف الشطرنج

عرف الخلفاء قبل المأمون لعبة الشطرنج ولعبة الناس في أزمانهم ووقف علماء الامة وفقهاؤها مواقف منه ، فمنهم من حرمه ومنهم من حلله وقسم ثالث وقف بين بين ، وقد أورد ابن ابي حجلة التلمساني مواقف الفقهاء من هذه اللعبة في كتابه (انموذج القتال في نقل العوال)، حيث قال :

قال القاضي الماوردي في الحاوي : اختلف الفقهاء فيه على ثلاثة مذاهب ، احدهما وهو مذهب مالك انه حرام ، والثاني وهو مذهب ابي حنيفة انه مكروه كراهة تغليظ توجب المنع وان لم تبلغ مبلغ التحريم ، والثالث وهو مذهب الشافعي انه ليس بمحرم كما قال مالك ولا مكروه كراهة مغلظة كما قال ابو حنيفة[1] .

وقال شارح (مشارق الانوار) :

وقد رخص بعضهم فيه لانه قد يعتبر به في أمر الحرب ومكيدة العدو ولكن بثلاثة شرائط : ان لا يقامر به ولا يؤخر الصلاة عن وقتها وان يحفظ لسانه عن الخنا والفحش ؛ فان فعل شيئاً منها فهو ساقط المروءة مردود الشهادة وسئل المزني رضي الله تعالى عنه عن المتلاعبين بالشطرنج فقال : اذا سلمت ألسنتهما من الفحش والعدوان وصلاتهما من السهو والنسيان كانت أدباً بين الاخوان ، وذكر بعض الشافعية في جواز اللعب بها اربع شرائط : وهي ان لا يلعب بها على الطريق ولا في رهن ولا يذكر فيها سفهاً ولا تشغله عن الصلاة .

اذا علمت هذا فاعلم ان بقية الائمة رضي الله عنهم وهم ابو حنيفة

---

(١) انموذج القتال في نقل العوال ٤٠ .

ومالك واحمد صرحوا بتحريم اللعب بالشطرنج مطلقاً أعني بشرط وبغير شرط حتى ان أباحنيفة رضي الله عنه قال: لا نسلم على لاعب الشطرنج، خلافاً لصاحبيه[1].

هذه هي الآراء في الشطرنج كما بينها التلمساني في مؤلفه آنف الذكر وفيها يجد المسلم بغيته حيال هذه اللعبة، وهي لعبة انتقلت الى العرب من الامم الاخرى فابدعوا فيها ولعب بها بنو العباس ومنهم الخليفة المأمون، فقد ذكر السيوطي:

اخرج عن محمد بن العباس قال: كان المأمون يحب لعب الشطرنج حباً شديداً ويقول: هذا يشحن الذهن واقترح فيها أشياء وكان يقول: لا اسمعن أحداً يقول: تعال حتى نلعب ولكن يقول: نتداول او نتثاقل، ولم يكن حاذقاً بها، وكان يقول: أنا أدبر الدنيا فاتسع لذلك واضيق عن تدبير شبرين في شبر، ومن شعر المأمون الذي يصف فيه الشطرنج قوله:

ارض مـــربـعـــة حمـــراء مـن ادم
مـا بين الفـين معروفـين بـالكـرم

تذاكرا الحـرب فاحتـالا لها حيـلاً
من غـير ان يأثـما فيها بسفـك دم

هـذا يغـير عـلى هـذا وذاك عـــلى
هـــذا يغـير وعـــين الحـــزم لم تنم

فـانظر الى فـطن جـالت بمعـرفـة
في عسكرين بلا طبـل ولا علم[2]

---

(١) النموذج القتال في نقل العوال ٣٩.

(٢) تاريخ الخلفاء ٥١٦، ٥٢٢.

هو اول خليفة قال بخلق القرآن
وحمل الناس على ذلك

كان من آثار فرقة المعتزلة اعتبار المنطق العقلي اكثر سمواً من المنطق النقلي في جميع جزئيات الوجود حتى الامور الشرعية التوقيفية منها وغير التوقيفية ، وقد جرهم هذا النزوع الى الشطط والزيغ في بعض الامور الشرعية التي وقف جهابذة العلماء والاصوليين منها موقف التسليم والرضا وعدم ولوج ما تشابه فيها من النصوص ، وكان اخطر واعظم تلك الامور قضية القول بالقرآن هل هو قديم او مخلوق، فكان قولهم بخلق القرآن من المسلمات العقلية لديهم التي أوردوا لها الحجج العقلية والنقلية وتمحلوا في النصوص القرآنية تمحلاً كبيراً، ودعوا الناس الى الايمان بهذا الرأي وظلوا ينافحون عنه باللسان حتى ناصرهم بذلك السلطان، فقد اعتنق الخليفة المأمون هذا الرأي وصار من أشد واكبر انصاره الداعين اليه ورصد كل ما بوسعه لحمل العلماء والفقهاء على الايمان والقول به ، وكان بطبيعة الحال ان تتخذ القضية طابعاً سياسياً كان خلفاء بني العباس في غنى عنه ولكن رفعت الاقلام وجفت الصحف بما قدره الله وقضاه ولا راد لمشيئته ، لقد ابتلى العلماء بهذه المحنة وقتل البعض منهم في سبيل الثبات على العقيدة الحق فكانت بحق زلزلة عظيمة طوحت بالكثير من العلماء الذين لا حول لهم ولا قوة الا قوة الايمان بالله تعالى والصبر على بلواه ، ولم تذهب اخبار هذه المحنة سدى ادراج الرياح وانما رواها المؤرخون وحفظتها بطون الملكوت والرحموت الالهي العظيم، فكان اولئك العلماء وعلى رأسهم الامام احمد بن حنبل الذي أصابه ما أصابه، ملاحم صمود ودعائم ثبات يتعلم منهم اللاحقون كيف يكون الثبات على الدين وكيف يتجلى علو

المؤمنين .

كان مبتدأ تلك المحنة في سنة ثمان عشرة ومائتين للهجرة، وها نحن نرويها بالتفصيل كما اوردها ابن كثير المؤرخ الكبير في تاريخه :

في هذه السنة كتب المأمون الى نائبه ببغداد اسحاق بن ابراهيم بن مصعب يأمره ان يمتحن القضاة والمحدثين بالقول بخلق القرآن وان يرسل اليه جماعة منهم وكتب اليه يستحثه في كتاب مطول ومضمونه الاحتجاج على ان القرآن محدث وكل محدث مخلوق ، وهذا احتجاج لا يوافقه عليه كثير من المتكلمين فضلاً عن المتحدثين، فان القائلين بان الله تعالى تقوم به الافعال الاختيارية لا يقولون بان فعله تعالى القائم بذاته المقدسة مخلوق ، وما كان قائماً بذاته لا يكون مخلوقاً. وقد قال الله تعالى : ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ ، وقال تعالى ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾، فالأمر بالسجود صدر منه بعد خلق آدم، فالكلام القائم بالذات ليس مخلوقاً، وقد صنف البخاري كتاباً في هذا المعنى سماه خلق أفعال العباد ، والمقصود ان كتاب المأمون لما ورد بغداد قريء على الناس وقد عين المأمون جماعة من المحدثين ليحضرهم اليه وهم :

محمد بن سعد كاتب الواقدي، وابومسلم المستملي، ويحيى بن معين، وابوخيثمة زهير بن حرب، واسماعيل بن ابي مسعود واحمد بن الدورقي ، فبعث بهم الى المأمون الى الرقة فامتحنهم بخلق القرآن فأجابوه الى ذلك واظهروا موافقته وهم كارهون؛ فردهم الى بغداد وأمر باشهار أمرهم بين الفقهاء ففعل اسحاق ذلك ، واحضر خلقاً من مشايخ الحديث والفقهاء وأئمة المساجد وغيرهم فدعاهم الى ذلك عن أمر المأمون

وذكر لهم موافقة اولئك المحدثين له على ذلك، فاجابوا بمثل جواب اولئك موافقة لهم، ووقعت بين الناس فتنة عظيمة فأنا لله وإنا اليه راجعون، ثم كتب المأمون الى اسحاق بكتاب ثان يستدل به على القول بخلق القرآن بشبهة من الدلائل ايضاً لا تحقيق تحتها ولا حاصل لها، بل هي من المتشابه وأورد من القرآن آيات هي حجة عليه، وأمر نائبه ان يقرأ ذلك على الناس وان يدعوهم اليه والى القول بخلق القرآن فاحضر ابواسحاق جماعة من الائمة وهم احمد بن حنبل وقتيبة وابوحيان الزيادي وبشر بن الوليد الكندي وعلي بن ابي مقاتل وسعدويه الواسطي وعلي بن الجعد واسحاق بن ابي اسرائيل وابن الهرش وابن عليه الاكبر ويحيى بن عبد الحميد العمري وشيخ آخر من سلالة عمر كان قاضياً على الرقة وابونصر التمار وابو معمر القطيعي ومحمد بن حاتم بن ميمون ومحمد بن نوح الجنديسابوري المضروب وابن الفرخان والنضر بن شميل وابو علي بن عاصم وابوالعوام البارد وابوشجاع وعبدالرحمن بن اسحاق وجماعة، فلما دخلوا على اسحاق قرأ عليهم كتاب المأمون، فلما فهموه قال لبشر بن الوليد: ما تقول في القرآن؟ فقال: هو كلام الله، قال: ليس عن هذا اسألك وانما اسألك أهو مخلوق؟ قال: ليس بخالق، قال: ولا عن هذا أسألك فقال: ما أحسن غير هذا وصمم على ذلك فقال: تشهد ان لا اله الا الله احداً فرداً لم يكن قبله شيء ولا بعده شيء ولا يشبهه شيء من خلقه في معنى من المعاني ولا وجه من الوجوه؟ قال: نعم، فقال للكاتب: اكتب بما قال، فكتب، ثم امتحنهم رجلاً رجلاً فاكثرهم امتنع من القول بخلق القرآن، فكان اذا امتنع الرجل منهم امتحنه بالرقعة التي وافق عليها بشر بن الوليد الكندي من انه يقال لا يشبهه شيء من خلقه في معنى من المعاني ولا وجه من الوجوه فيقول: نعم كما قال بشر، ولما انتهت النوبة الى امتحان

احمد بن حنبل فقال له: أتقول ان القرآن مخلوق؟ فقال القرآن كلام الله لا أزيد على هذا، فقال له: ما تقول في هذه الرقعة؟ قال: أقول «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» فقال رجل من المعتزلة انه يقول سميع بأذن بصير بعين، فقال له اسحاق: ما أردت بقولك سميع بصير؟ فقال: اردت منها ما أراده الله منها وهو كما وصف نفسه ولا أزيد على ذلك، فكتب جوابات القوم رجلاً رجلاً وبعث بها الى المأمون وكان من الحاضرين من اجاب الى القول بخلق القرآن مصانعة مكرهاً لأنهم كانوا يعزلون من لا يجيب عن وظائفه وان كان له رزق على بيت المال قطع وان كان مفتياً منع من الافتاء وان كان شيخ حديث ردع من الاسماع والاداء ووقعت فتنة صماء ومحنة شنعاء وداهية دهياء فلا حول ولا قوة إلا بالله فلما وصلت جوابات القوم الى المأمون بعث الى نائبه يمدحه على ذلك ويرد على كل فرد، ماقال في كتاب ارسله وأمر نائبه ان يمتحنهم ايضاً فمن أجاب منهم شهر أمره في الناس ومن لم يجب منهم فابعثه الى عسكر امير المؤمنين مقيداً محتفظاً به حتى يصل الى امير المؤمنين فيرى فيه رأيه، ومن رأيه ان يضرب عنق من لم يقل بقوله فعند ذلك عقد النائب ببغداد مجلساً آخر وأحضر اولئك وفيهم ابراهيم بن المهدي وكان صاحباً لبشر بن الوليد الكندي وقد نص المأمون على قتلهما ان لم يجيبا على الفور فلما امتحنهم اسحاق أجابوا كلهم مكرهين متأولين قوله تعالى: ﴿الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان﴾، الا اربعة منهم وهم: احمد بن حنبل ومحمد بن نوح والحسن بن حماد سجادة وعبيدالله بن عمر القواريري، فقيدهم وارصدهم ليبعث بهم الى المأمون ثم استدعى بهم في اليوم الثاني فامتحنهم فاجاب سجادة الى القول بذلك فاطلق ثم امتحنهم في اليوم الثالث فاجاب القواريري الى ذلك فاطلق قيده وأخر محمد بن حنبل ومحمد بن نوح الجنديسابوري لأنهما

اصرا على الامتناع من القول بذلك فاكد قيودهما وجمعهما في الحديد على جمل متعادلين رضي الله عنهما وجعل الامام احمد يدعو الله عزوجل ان لا يجمع بينهما وبين المأمون وان لا يراه ولا يراهما، ثم جاء كتاب المأمون الى نائبه انه قد بلغني ان القوم انما اجابوا مكرهين متأولين قوله تعالى: ﴿الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان﴾ وقد اخطأوا في تأويلهم ذلك خطأ كبيراً فارسلهم كلهم الى امير المؤمنين فاستدعاهم اسحاق وألزمهم بالمسير الى طرسوس فساروا اليها، فلما كانوا ببعض الطريق بلغهم موت المأمون وابن نوح قد سبقا الناس ولكن لم يجتمعا به، بل اهلكه الله قبل وصولهما اليه واستجاب الله سبحانه دعاء عبده ووليه الامام احمد بن حنبل فلم يريا المأمون ولا رآهما ردوا الى بغداد[1].

والى هذا الحد انتهى دور المأمون في هذه المحنة بوفاته واستخلف أخيه الخليفة المعتصم الا ان المحنة لم تنته بعد ذلك لأن المأمون كان قد أوصى أخاه المعتصم ان يلتزم هذا المبدأ ويحمل الناس عليه وقام هذا بدوره كما أوصاه أخوه فاستمر في مناظراته للامام احمد بن حنبل وظل الامر هكذا الى وفاة المعتصم واستخلاف المتوكل الذي ترك هذا الامر وطيب خاطر الامام احمد بن حنبل فهدأت الامور وانقمعت هذه المحنة المريرة عن الامة وعلمائها .

---

(١) البداية والنهاية .

المعتصم بالله(*)

(*) هو محمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور العباسي الهاشمي القرشي ، لقبه المعتصم بالله وكنيته ابواسحاق وكان يقال له المثمن ، ولد في شهر شعبان سنة ثمانين ومائة هجرية وأمه أم ولد من مولدات الكوفة وكانت احظى الناس عند الرشيد واسمها ماردة ، كان المعتصم ابيض اصهب اللحية طويلها مربوعاً مشرب اللون ذا بسطة في الجسم شجاعاً قوياً ذا همة عالية لكنه الى جانب هذا كان عرياً من العلم ، روى الصولي انه كان مع المعتصم غلام في الكتاب يتعلم معه فمات الغلام فقال له ابوه الرشيد : يامحمد مات غلامك ، قال : نعم ياسيدي واستراح من الكتاب فقال ابوه : وان الكتاب ليبلغ منك هذا دعوه لا تعلموه فكان يكتب ويقرأ قراءة ضعيفة ، وكانت له محاسن وكلمات فصيحة وشعر لا بأس به غير انه اذا غضب لا يبالي من قتل ، وفي قوة جسمه روى ابن أبي دؤاد المعتصم كان يخرج ساعده اليّ ويقول : يا أباعبدالله عض ساعدي باكثر قوتك فامتنع فيقول : انه لا يضرني ، فأروم ذلك فاذا هو لا تعمل فيه الاسنة فضلاً عن الاسنان ، وكان من أشد الناس بطشاً حتى انه ليجعل زند الرجل بين اصبعيه فيكسره ، بويع له بالخلافة بعد المأمون في شهر رجب سنة ثمان عشرة ومائتين هجرية ، ولما ولي الخلافة كان شهماً وله همة عالية في الحرب ومهابة عظيمة في القلوب وانما كانت نهمته في الانفاق في الحروب لا في البناء وغيره ، وفي سنة عشرين ومائتين تحول من بغداد الى عاصمته الجديدة التي بناها له ولجنده الاتراك الجدد وهي مدينة سامراء ، وفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين غزا الروم فأنكأهم نكاية عظيمة لم يسمع بمثلها لخليفة وشتت جموعهم وخرب ديارهم وفتح مدينة عمورية بالسيف وقتل منها ثلاثين الفاً وسبى مثلهم وكانت اشهر المواقع في التاريخ وقد قال فيها الشاعر المشهور ابو تمام قصيدته البائية الطويلة التي مطلعها :

السيف اصدق انباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

وكان قد عزم على المسير الى اقصى المغرب ليملك البلاد التي لم تدخل في ملك بني العباس لكن المنيّة عاجلته في يوم الخميس بمدينة سامراء لسبع عشرة ليلة خلت من ربيع الاول سنة مائتين وسبع وعشرين هجرية وله من العمر ثمان واربعون سنة .

انظر : البداية والنهاية ١٠/٢٩٥ ، تاريخ الخلفاء ٥٣١ ، شذرات الذهب ٢/٦٣ .

هو اول خليفة يلقب بالمثمن

لم يعرف احد من الخلفاء اتخذ لقب (المثمن) لنفسه الا الخليفة محمد المعتصم بالله ، وقد ذكر المؤرخون السبب في هذا اللقب ، فقد ورد في البداية والنهاية :

يقال له المثمن لأنه ثامن ولد العباس، وانه ثامن الخلفاء من ذريته، ومنها انه فتح ثمان فتوحات ومنها انه اقام في الخلافة ثماني سنين وثمانية اشهر وثمانية ايام وقيل يومين وانه ولد سنة ثمانين ومائة في شعبان وهو الشهر الثامن من السنة وانه توفي وله من العمر ثمان واربعون سنة ومنها انه خلف ثمانية بنين وثماني بنات ومنها انه دخل بغداد من الشام في مستهل رمضان سنة ثمان عشرة ومائتين بعد استكمال ثمانية اشهر من السنة بعد موت أخيه المأمون[1].

هو اول خليفة يثار لصرخة امراة مسلمة اسيرة في بلاد الروم

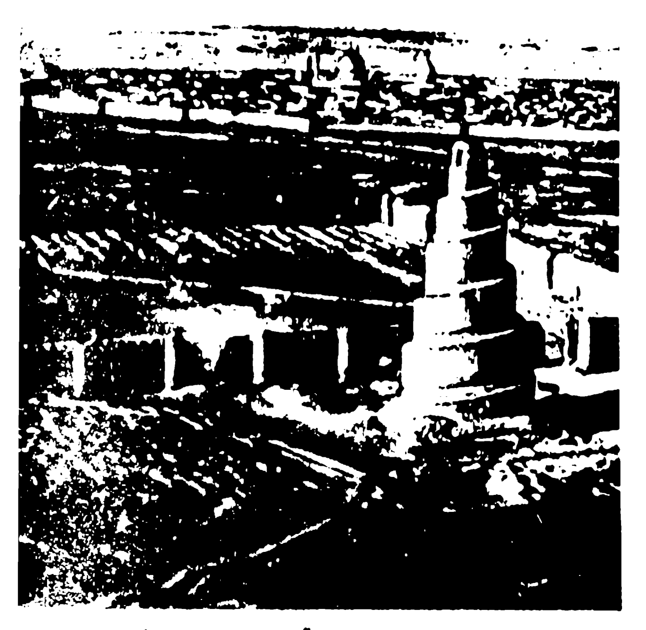
عرف عن الخليفة المعتصم بالله قوته المفرطة وغيرته الشديدة على انصاف المظلومين ليس في زمن الخلافة وانما قبل توليه لها، فقد روى ابن كثير قائلاً :

انه مر يوماً في خلافة أخيه بمخيم الجند، فاذا امرأة تقول: ابني، ابني، فقال لها : ما شأنك؟ فقالت : ابني أخذه صاحب هذه الخيمة ، فجاء اليه المعتصم فقال له : اطلق هذا الصبي فامتنع عليه فقبض على جسده بيده فسمع صوت عظامه من تحت يده ثم أرسله فسقط ميتاً وأمر باخراج

(١) البداية والنهاية ١٠/٢٩٥، تاريخ الخلفاء ٥٣١.

الصبي الى أمه.

ان من كان هكذا قبل ان يلي الخلافة لهو أشد واعتى بعد توليه لها ولاسيما في مواقف النجدة والاستغاثة، ولا يخفى على كل انسان ما دبج الكتاب وقرظ الشعراء في يوم عمورية المشهور في التاريخ الذي خاض فيه المعتصم اضرى واقسى حملة حربية ضد الروم، حيث مزق جموعهم وشتت شملهم، فكانت بحق غرة في جبين التاريخ العربي الاسلامي، وخلاصة هذه المعركة الرهيبة التي افاض المؤرخون في اخبارها، ان الخليفة المعتصم كان جالساً في مجلس راحته ومعه حاشيته فبلغه ان امرأة مسلمة شريفة في الاسر عند علج من علوج الروم في مدينة عمورية وانه لطمها على وجهها فصاحت مستغيثة: وامعتصماه، فقال لها العلج: مايجيء اليك الا على ابلق، فلما وصل الخبر الى المعتصم اقسم بالله ان لا يهدأ له بال ولا يعود الى مجلس الا بعد فك هذه المرأة الشريفة من الاسر والا ان يقتل ذلك العلج الذي لطمها، فنادى في العساكر بالرحيل الى غزو عمورية وأمر العسكر ان لا يخرج احد منهم الا على ابلق فخرجوا معه في سبعين الف ابلق، وكان قبل خروجه قد وصله كتاب من ملك الروم يتهدده فيه ويتوعده، فقال المعتصم للكاتب، اكتب: قد قرأت كتابك وفهمت خطابك والجواب ما ترى لا ما تسمع وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار، وبعد ان ختم الكتاب وارسله وجمع الجيوش والعساكر خرج ذلك الموكب الميمون يتقدمه قائده البطل المعتصم بالله وقد تجهز جهازاً لم يتجهزه خليفة قبله قط من السلاح والعدد والآلات، وكان قد استشار القواد وأمراء الاجناد عن اقوى قلاع الروم واكثرها حصانة التي ان هدها لا تقوم لهم بعدها قائمة، فقيل له انها مدينة عمورية وهي عند الروم امتن واعظم من القسطنطينية، فسار المعتصم الى هذه المدينة المنيعة وأعمل السيف



ملوية سامراء الدالة على مآثر الخليفة المعتصم بالله



فيمن كان يلقاهم من جيوش الروم واستلب الاسلاب وأسر الاعداد الكبيرة من الاسرى وهد السور المنيع لمدينة عمورية ودخلها هو وجنده عنوة فاحرقوا مواقعها الحصينة وأبادوا كل من قاوم من علوج الروم حتى استطاعوا القبض على ملكهم واهانته وقتله كما أقسم الخليفة المعتصم، وقد انكى المعتصم في هذه المعركة نكاية عظيمة في الروم وقتل من أهل عمورية ثلاثين الفاً وسبى مثلهم وكان في سبيه ستون بطريقاً، وطرح النار في سائر نواحي المدينة وجاء بنائبها الى العراق وكذلك نقل بابها معه الى العراق ونصبه على أحد ابواب دار الخليفة مما يلي المسجد الجامع في القصر وكان عند دخوله مدينة عمورية ينادي منجداً المرأة المسلمة الشريفة : لبيك لبيك ثم طلب العلج صاحب الاسيرة الشريفة وضرب عنقه وفك قيود تلك المرأة .

وكانت تلك الواقعة الشهيرة عام ثلاثة وعشرين ومائتين هجرية .

وروى ان المعتصم لما تجهز لغزو عمورية حكم المنجمون ان ذلك طالع نحس وانه ينكسر فيها ونصحوه بعدم الغزو لكنه اعرض عنهم وعن اقوالهم وآمن ان اقدار الله تعالى تجري بمشيئة خالقها ولا مرد لها بمنجم ونجوم، فكان له ما أراد من الظفر والعز في هذه المعركة التي تغنى بها الشعراء ومنهم الشاعر ابوتمام في قصيدته الطويلة التي منها :

السيف اصدق انباء من الكتب

في حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف في

متونهن جلاء الشك والريب

والعلم في شهب الارماح لامعة

بين الخميسين لا في السبعة الشهب

أين الـروايـة؟ أم أين النجـوم؟ ومـا
صـاغوه من زخـرف فيهـا ومن كـذب
تخـرصـاً واحـاديـثـاً مـلفـقـة
ليست بعجم اذا عـدت ولا عـرب[1].

هو اول خليفة عباسي ثرد الطعام وكثره

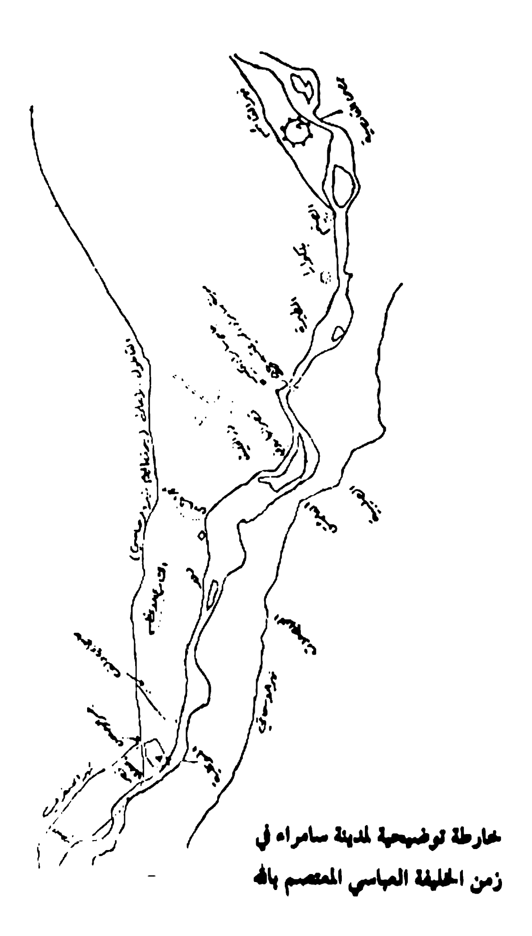
عرف في التاريخ العربي ان هاشم بن عبدمناف جدالنبي الاكرم محمد(ﷺ) هو اول من هشم الثريد وكسره في العرب واشتهر بذلك ، ولعل الخليفة المعتصم بالله اراد ان يتشبه بذلك ولا سيما انه ينتمي الى السلالة الهاشمية فكأنما اراد اعادة سنة جده الكرم والجود ، فكان بعمله هذا اول من قام بذلك من خلفاء بني العباس . . قال السيوطي :
وكان اول من ثرد الطعام وكثره حتى بلغ الف دينار في اليوم[2].

هو اول خليفة يأسر اكبر عدد من الملوك

كان الخلفاء العباسيون والامويون في غزواتهم وحروبهم يبعثون القواد والامراء الى البلدان التي يرومون غزوها وربما خرج الخليفة بنفسه لقيادة الحملة ومحاربة الاعداء ، وقد تكرر ذلك من الخلفاء واسروا الكثير من اهالي البلاد المفتوحة واحياناً يأسرون ملك بلاد ما فيكون ذلك مفخرة عظيمة للخليفة او القائد الذي يقود تلك الحملة ، والذي عليه المؤرخون ان كل الخلفاء الذين كانوا قبل المعتصم لم يأسروا عدداً من الملوك كالعدد الذي أسره هذا الخليفة وهم ثمانية ملوك لثمانية بلدان وقد يعتبر هذا من

---

(١) الكامل في التاريخ ٥/٢٤٧ وما بعدها، الشذرات ٢/٦٣، وفيات الاعيان ٢/٢٣ .
(٢) تاريخ الخلفاء ٥٣٧ .



خارطة توضيحية لمدينة سامراء في
زمن الخليفة العباسي المعتصم بالله



الصفات التي بسببها لقب المعتصم بالخليفة المثمن، اضافة الى تلك الصفات التي سبق ان أشرنا اليها والتي اكسبته هذا اللقب، وبأسره الخليفة المعتصم لهؤلاء الملوك الثمانية يكون اول خليفة يتهيأ له ذلك بين الخلفاء.

ذكر السيوطي في تاريخه:

وقال الصولي: سمعت المغيرة بن محمد يقول: انه لم تجتمع الملوك بباب احد قط اجتماعها بباب المعتصم ولا ظفر ملك قط كظفره، أسر ملك اذربيجان، وملك طبرستان، وملك استيسان، وملك الشياصح، وملك فرغانة، وملك طخارستان، وملك الصفة، وملك كابل[1].

هو اول من نفث في النفاطات بين الصفا والمروة

النفاطة هي نوع من انواع السرج أي المصابيح يستصبح به وقد تكون اداة من النحاس يرمى فيها بالنفط[2].

ورد في (اخبار مكة) للأزرقي:

قال جدي: اول من اثقب النفاطات بين الصفا والمروة في ليالي الحج وبين المأزمين ـ مأزمي عرفه ـ امير المؤمنين ابو اسحاق المعتصم بالله بن عبدالله بن طاهر سنة حج في سنة تسع عشرة ومائتين[3].

---

(١) تاريخ الخلفاء ٥٣٦.

(٢) القاموس المحيط ٢/٤٠٣.

(٣) اخبار مكة ١/٢٨٧، الوسائل ٣٥.

هو اول من امر بسقف زمزم بالساج المذهب والفسيفساء

كانت بئر زمزم قد بني غورها واحيطت اركانها بالرخام في زمن الخليفة ابي جعفر المنصور فلما جاء الخليفة المعتصم بالله عمل في زمنه غير هذا التركيب.

اورد الازرقي في تاريخ مكة قال:

واول من عمل الرخام على زمزم وعلى الشباك وفرش ارضها بالرخام ابو جعفر امير المؤمنين في خلافته ثم عملها المهدي في خلافته، ثم غيره عمر بن فرج الرخجي في خلافة ابي اسحاق المعتصم بالله امير المؤمنين سنة عشرين ومائتين وكانت مكشوفة قبل ذلك الا قبة صغيرة على موضع البير وفي ركنها الذي يلي الصفا على يسارك كنيسة على موضع مجلس ابن عباس رضي الله عنه غيرهما عمر بن فرج الرخجي فسقف زمزم كلها بالساج المذهب من داخلها وجعل عليها من ظهرها الفيسفساء واشرع لها جناحاً صغيراً كما يدور تربيعها وجعل في الجناح كما يدور سلاسل فيها قناديل يستصبح فيها في الموسم وجعل على القبة التي بين زمزم وبين بيت الشراب الفسيفساء وكانت قبل ذلك تزوق في كل موسم، عمل ذلك كله في سنة عشرين ومائتين[1].

---

(١) تاريخ مكة ٢/٦١.

الواثـق بالله(*)

هو اول خليفة عباسي
يستخلف سلطاناً من الاتراك

لم يدخل الاتراك في الحكم في بداية الدولة العباسية، وانما كـان الخلفاء يعتمدون على العنصر العربي فيما يخص السلطنة والولايات، وفي عصر المأمون بدأ استعمال الاتراك وكثر استعمالهم فيما بعد المأمون فلما كان عهد الخليفة المعتصم بالله ضاقت باعدادهم الهائلة مدينة بغداد فأبتنى له

(*) هو هارون بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي العباسي الهاشمي القرشي ، لقبه الواثق بالله وكنيته ابو جعفر وقيل ابوالقاسم، أمه أم ولد رومية اسمها قراطيس ، ولد لعشر بقين من شعبان سنة ست وتسعين ومائة هجرية، وولي الخلافة بعهد من أبيه ، وبويع له في تاسع عشر ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين كان الواثق ابيض اللون مشرباً بحمرة جميل المنظر حسن الجسم قائم العين اليسرى فيها نكتة بيضاء ، وكان وافر الادب مليح الشعر واطلق عليه اسم المأمون الاصغر لأدبه وفضله، حيث كان المأمون يعظمه ويقدمه على ولده لأنه كان اعلم الناس بكل شيء ، قال فيه الفضل اليزيدي: لم يكن في خلفاء بني العباس اكثر رواية للشعر من الواثق فقيل له: كان اروى من المأمون ؟ فقال: نعم كان المأمون قد مزج بعلم العرب علم الاوائل من النجوم والطب والمنطق وكان الواثق لا يخلط بعلم العرب شيئاً، وقال حمدون بن اسماعيل : ماكان في الخلفاء احد احلم من الواثق ولا اصبر على اذى ولا خلاف منه، وكان في بداية خلافته قد التزم بمبدأ خلق القرآن لكنه تراجع عنه وتاب على أثر مناظرة جرت بينه وبين احد العلماء، وقد زين له هذا الرأي قاضيه ابن ابي داؤد الذي كان متسلطاً عليه فكرياً وعقلياً ، وفي سنة احدى وثلاثين ومائتي استفك من الروم الفاً وستمائة اسير مسلم فكان هذا من مكارمه ، وقد احسن في مدة خلافته الى آل ابي طالب احساناً وافراً حتى انهم مامات احد منهم وفيهم فقير، وكان الواثق يرغب النظر في التنجيم وما يقوله المنجمون فجمعهم وسألهم عن ايام ملكه فاخبروه انه يعيش دهراً طويلاً وقد روا له خمسين سنة ولكن ما ان مضت عشرة ايام على مقولتهم حتى توفاه الله تعالى بمرض الاستسقاء لست بقين من ذي الحجة سنة اثنين وثلاثين ومائتين .

ولهم عاصمة جديدة هي مدينة سرمن رأى المعروفة باسم سامراء فتحول فيها الخليفة المعتصم والاتراك الذين جلبهم، واستفحل أمر الاتراك عند استلام الواثق بالله الخلافة فمال الى استخدامهم في الحكم.

فقد روى السيوطي في تاريخه قائلاً:

وفي سنة ثمان وعشرين استخلف على السلطة اشناس التركي وألبسه وشاحين مجوهرين وتاجاً مجوهراً وأظن انه اول خليفة استخلف سلطاناً فان الترك انما كثروا في أيام أبيه[1].

هو اول خليفة يضع مائة صوت ملحن

عرف الخلفاء العباسيون بميلهم الى رواية الشعر ونظمه ولا سيما الشعر المغنى الرقيق الذي يمتاز بملاحة وظرافة أدبية وهي سمة لم تكن معهودة فيمن سبقهم من الخلفاء، ويعتبر الخليفة الواثق بالله واحداً من الخلفاء الوافري الادب المليحي الشعر وهذا ما ذكره عنه المؤرخون.

قال الفضل اليزيدي:

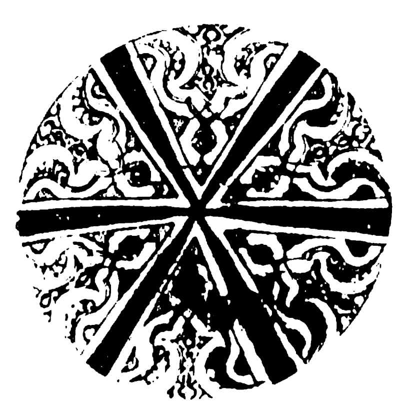
لم يكن في خلفاء بني العباس اكثر رواية للشعر من الواثق فقيل له: كان اروى من المأمون؟ فقال: نعم كان المأمون قد مزج بعلم الادب علم الاوائل من النجوم والطب والمنطق. وكان الواثق لا يخلط بعلم العرب شيئاً.

وقد ذكر الصولي: ان الواثق كان شاعراً وكان اعلم الناس بالغناء وله اصوات والحان عملها نحو مائة صوت وكان حاذقاً بضرب العود، راوية للاشعار والاخبار[2].

---

(١) تاريخ السيوطي ٥٤٢ .

(٢) مختار الصحاح ٦٤٠.




نموذجان للخوان العربي القديم



ان هذه الشهادة من المؤرخين بموهبة الواثق في فن الالحان ونظمها لم تذكر لأحد من الخلفاء ولذلك فهو يعتبر بحق اول من عمل هذا العدد من الاصوات .

هو اول خليفة كان له خوان من ذهب

والخوان هو ما يوضع عليه الاكل والطعام من جلد وغيره، فان كان عليه الطعام سمي مائدة وان كان فارغاً من الطعام سمي خواناً ، وقد تآلف الناس على وجود الخوان في بيوتهم ومنهم الخلفاء الذين كانوا يتخيرون أجمل الخون واحلاها يبسطون عليها الطعام وكان يعتبر لديهم من ضرورات البيت السلطاني لانهم معرضون لبسط الطعام والسخاء والجود، ولم يؤثر عن الخلفاء استعمال المستلزمات كالأواني وغيرها من الذهب لأن الذهب محرم استخدامه ولبسه على الرجال فكيف باستعماله آنية او بسطاً، لذلك ترك الخلفاء ذلك في بيوتهم برغم تمكنهم عليه، نظراً لألتزامهم بمبادىء ومقررات الشريعة الاسلامية الغراء، غير ان الواثق جرته مباهج الخلافة الى استعمال الخوان الذهبي ثم تراجع عنه ، فقد عرف بانه كان كثير الاكل منفتح الشهية ورجل هكذا صفته لا بد له من الاعتناء بما تتطلبه شهيته، وكان الواثق باستعماله لهذا الخوان اول خليفة يفعل ذلك .

فقد ورد في كتاب (تاريخ الخلفاء): قال ابن فهيم : كان للواثق خوان من ذهب مؤلف ممن اربع قطع يحمل كل قطعة عشرون رجلاً وكان ما على الخوان من غضارة وصحفة وسكرجة من ذهب فسأله ابن ابي دؤاد الا يأكل عليه للنهي عنه فأمر ان يكسر ذلك ويضرب ويحمل الى بيت المال[1].

---

(١) تاريخ الخلفاء ٥٤٦ .

هو اول خليفة يضع عدة ثريات ضوئية في المسجد الحرام

كان المسجد الحرام موضع عناية ورعاية الخلفاء والامراء لانه بيت الله الحرام الذي يستحق كل تقديس واجلال، فهو موئل المسلمين في اداء فريضة الحج، وقد اغدق على عمرانه وتزيينه كل الخلفاء ومنهم الخليفة الواثق بالله الذي زينه بثريات الضوء العديدة.

وقد ذكر ذلك الازرقي اذ قال:

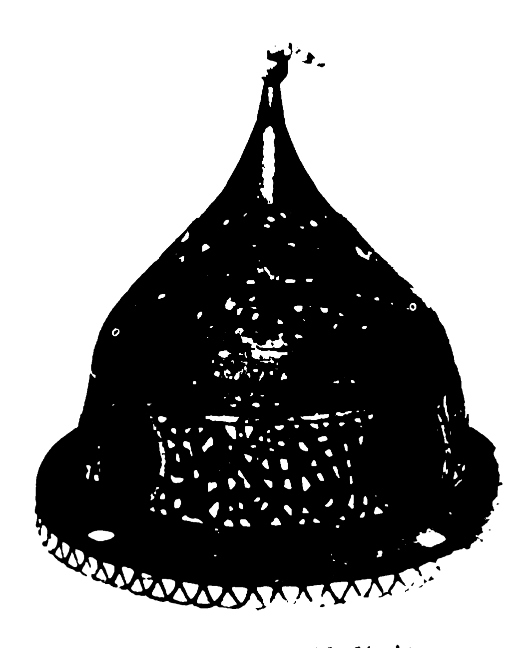
لما ولي هارون الواثق بالله امر بعمد ممن شبه طوال عشرة فجعلت حول الطواف يستصبح عليها لأهل الطواف وأمر بثمان ثريات كبار يستصبح فيها في المسجد الحرام في كل وجه اثنتان[1].

هو اول خليفة اهدى عدة منابر لمواقع الحج بمكة المكرمة

من المعروف ان مناسك الحج تقتضي من الحجيج النزول بمكة ومنى وعرفة لاستكمالها والحصول على الحج الصحيح باركانه وشروطه المعتبرة في الشريعة، واجتماع الناس يقتضي استماعهمم الى الخطب والادعية، فكان لا بد من منابر تعد للأئمة والخطباء، وقد اهدى الخلفاء المنابر للبيت الحرام الشريف ولكن لم يهد احدهم بقدر ما اهدى الخليفة الواثق، فانه اهدى عدة منابر الى كافة مواقع الحج وفاق غيره بهذا المضمار فكان اول من يفعل ذلك. . وقد ورد في (اخبار مكة) ما يؤيد هذه الحقيقة، حيث ذكر الازرقي :

---

(١) اخبار مكة ١/٢٨٧ .



صورة لثريا قديمة استخدمت من قبل الخلفاء
وهي أشبه بالخوذة كما يراها الرائي



حدثنا ابو الوليد قال: حدثني جدي عن عبدالرحمن بن حسن عن أبيه ، قال: اول من خطب بمكة على منبر معاوية بن ابي سفيان قدم به من الشام سنة حج في خلافته منبر صغير على ثلاث درجات وكان الخلفاء والولاة قبل ذلك يخطبون يوم الجمعة على ارجلهم قياماً في وجه الكعبة وفي الحجر وكان ذلك المنبر الذي جاء به معاوية ربما خرب فيعمر ولا يزاد فيه حتى حج الرشيد هارون اميرالمؤمنين في خلافته وموسى بن عيسى عامل له على مصر فاهدى له منبراً عظيماً في تسع درجات منقوش فكان منبر مكة ثم أخذ منبر مكة القديم فجعل يعرفه حتى اراد الواثق بالله الحج فكتب فعمل له ثلاثة منابر : منبر بمكة، ومنبر بمنى، ومنبر بعرفة، فمنبر هارون الرشيد ومنابر الواثق كلها بمكة الى اليوم(١) .

---

(١) اخبار مكة ٢/ ٩٩ .

المتوكل على الله(*)

هو اول خليفة عباسي اجرى الماء من عرفات الى مكة

(*) هو جعفر بن المعتصم بن الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي الهاشمي القرشي، كنيته ابو الفضل ولقبه المتوكل، أمه أم ولد اسمها شجاع، كان مولده بقم الصلح سنة مائتين وسبع هجرية، وبويع له بالخلافة بعد أخيه الواثق يوم الاربعاء لست بقين من ذي الحجة لسنة اثنتين وثلاثين ومائتين فرفع المحنة عن الامة بقضائه على بدعة القول بخلق القرآن وكتب بذلك الى الآفاق، وذلك في سنة اربع وثلاثين واستقدم المحدثين بحديث رسول الله محمد(ﷺ) وأجزل عطاياهم واكرمهم، وعاش في خلافته محبباً الى رعيته قائماً على نصرة الدين، وقد شبهه بعضهم بالصديق في قتله أهل الردة لأنه نصر الحق ورده عليهم حتى رجعوا الى الدين، وبعمر بن عبدالعزيز حين رد مظالم بني أمية، كان المتوكل اسمر اللون حسن العينين نحيف الجسم خفيف العارضين اقرب الى القصر، جواداً ممدحاً وقيل عنه: ما اعطى خليفة شاعراً ما اعطى المتوكل، وقد اعطى للشاعر مروان بن ابي الجنوب مائة وعشرين الفاً على قصيدة قالها فيه، وقال المسعودي: لا يعلم احد متقدم في جد ولا هزل الا وقد حظي في دولته ووصل اليه نصيب وافر من المال وكان له اربعة آلاف سرية ووطيء الجميع، قيل انه أمر باحضار الرجل الصالح ذي النون فحمل اليه بالبريد فلما سمع كلامه اولع به وأحبه واكرمه وكان يقول: اذا ذكر الصالحون فحيهلاً بذي النون، واخرج عن هشام بن عمار قال: سمعت المتوكل يقول: واحسرتا على محمد بن ادريس الشافعي فأراه واشاهده واتعلم منه فاني رأيت رسول الله(ﷺ) في المنام وهو يقول: يا أيها الناس، ان محمد بن ادريس المطلبي قد صار الى رحمة الله وخلف فيكم علماً حسناً فاتبعوه تهدوا، ثم قال: اللهم ارحم محمد بن ادريس رحمة واسعة وسهل عليّ حفظ مذهبه وانفعني بذلك، وكان في سياسته للرعية كما قاله ليزيد المهلبي: يامهلبي ان الخلفاء كانت تتصعب على الرعية لتطيعها، وأنا الين لهم ليحبوني ويطيعوني، كانت وفاته على يد ولده المنتصر، حيث قتله ومعه انصاره اول ليلة الاربعاء خلت من شوال سنة سبع واربعين ومائتين هجرية بالمتوكلية في سامراء ودفن بالجعفرية وله من العمر اربعون سنة وكانت مدة خلافته اربع عشرة سنة وعشرة اشهر وثلاثة ايام.

انظر: البداية والنهاية ١٠/٣٥١، تاريخ الخلفاء ٥٥١، شذرات الذهب ٢/١١٤.



صورة أثرية للخليفة المتوكل على الله



تعتبر مدينة مكة وما جاورها من المناطق الصحراوية التي لا زرع فيها ولا ضرع وذلك لعدم وجود الانهار والمياه اللهم الا ما كان فيها من عيون وسيول وصهاريج يستقي منها الحجيج في مواسم الحج ، ومنطقة عرفات فيها ارتفاع عن مدينة مكة ، فكان الخليفة المتوكل قد اوصل المياه الى مدينة مكة من مرتفع عرفة لحاجة الناس الى ذلك ولا سيما عند حدوث الجائحات السماوية . ورد في تاريخ الخلفاء .

وفي سنة خمس واربعين عمت الزلازل الدنيا فاخرجت المدن والقلاع والقناطر وسقط في انطاكية جبل في البحر وسمع من السماء اصوات هائلة وزلزلت مصر وسمع أهل بلبيس من ناحية مصر صيحة هائلة فمات خلق من أهل بلبيس وغارت عيون مكة فارسل المتوكل مائة الف دينار لاجراء الماء من عرفات اليها[1] .

هو اول خليفة عباسي يتمذهب بالمذهب الشافعي

والمذهب الشافعي نسبة الى الامام المحدث الفقيه محمد بن ادريس الشافعي الذي ملأ صيته الآفاق وافعم علمه الاذهان وكان يسير في فقهه على السنة النبوية الشريفة ، وقد تقدم ان خلفاء بني العباس الثلاثة الذين سبقوا الخليفة المتوكل كانوا قد ساروا على النهج المعتزلي واقحموا فكرة خلق القرآن في اذهان الناس حتى مجت العقول تلك الفكرة واستشاط الناس غيظاً من تلك المحنة ولقي العلماء والفقهاء والمحدثون العنت من جرائها ، وكانوا يتمنون زوالها والخلاص منها حتى استولى الخليفة المتوكل ، فكان منذ بداية خلافته قد اسدل الستار على هذه الفتنة وكتب بها

---

(١) تاريخ الخلفاء ٥٥٥ .

الى الآفاق وخلص الناس من الابتلاء بها وكل هذا بفضل تطلعه الى علماء الحديث النبوي الشريف وحبه لعلوم الحديث، وقد ورد في التاريخ ما يشير الى هذه الحقيقة:

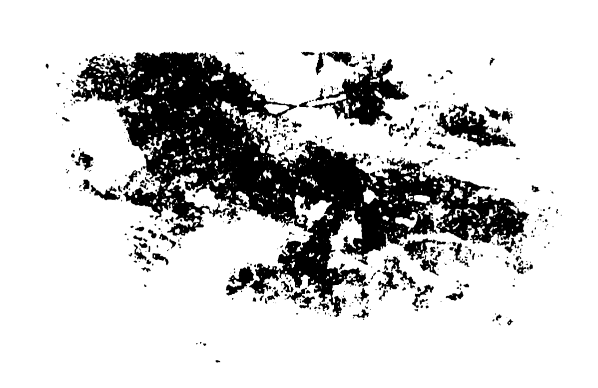
قال السيوطي:

(وبويع له في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين بعد الواثق فاظهر الميل الى السنة ونصر اهلها ورفع المحنة وكتب بذلك الى الآفاق، وذلك في سنة اربع وثلاثين واستقدم المحدثين الى سامراء وأجزل عطاياهم واكرمهم وأمرهم باحاديث الصفات والرؤية، وجلس ابوبكر بن ابي شيبة في جامع الرصافة فاجتمع اليه نحو من ثلاثين الف نفس وجلس أخوه عثمان في جامع المنصور فاجتمع اليه ايضاً نحو من ثلاثين الف نفس)، ان تشجيع الخليفة المتوكل المحدثين الانقياء يدل دلالة واضحة على تركه ماكان عليه قبله من متبني الاعتزال ولا شك ان هذا المنحى قاده الى الشغف بمذهب الامام الشافعي والالتزام به، فقد اخرج السيوطي قال:

واخرج عن هشام بن عمار قال: سمعت المتوكل يقول: واحسرتا على محمد بن ادريس الشافعي كنت احب ان اكون في أيامه فأراه واشاهده واتعلم منه، فاني رأيت رسول الله (ﷺ) في المنام وهو يقول: يا أيها الناس ان محمد بن ادريس المطلبي قد صار الى رحمة الله وخلف فيكم علماً حسناً فاتبعوه تهدوا ثم قال: اللهم ارحم محمد بن أدريس رحمة واسعة وسهل عليّ حفظ مذهبه وانفعني بذلك، قلت: استفدنا من هذا ان المتوكل كان متذهباً بمذهب الشافعي وهو اول من تذهب له من الخلفاء[1].

---

(١) تاريخ الخلفاء ٥٦٠ .



موقع أثري لاحدى عيون الماء التي أجراها
الخليفة المتوكل على الله لسقي الحجيج



هو اول خليفة عباسي يعزم
على الاقامة في دمشق

كانت الهاشمية في مدينة الانبار هي دار اقامة الخليفة العباسي الاول ابي العباس السفاح، ثم تحول الخليفة العباسي الثاني ابوجعفر المنصور منها الى مدينة بغداد التي ابتناها عاصمة له عام مائة وخمسة واربعين هجرية، وحينما تولى الخليفة المعتصم بالله الخلافة وجلب الاتراك الى بغداد وضاقت بهم مساحتها ابتنى له عاصمته الجديدة سر من رأى (سامراء) وتحول اليها من بغداد هو واتباعه عام مائتين وعشرين للهجرة وظلت هي العاصمة العباسية الجديدة للخلفاء من بعده الى زمن المتوكل على الله، حيث خامرته فكرة تركها والاقامة في مدينة دمشق كعاصمة له، وقد ذكر ابن كثير تفصيل ذلك قائلاً:

في صفر من سنة اربع واربعين ومائتين دخل الخليفة المتوكل الى مدينة دمشق في أبهة الخلافة وكان يوماً مشهوداً وكان عازماً على الاقامة بها وأمر بنقل دواوين الملك اليها وأمر ببناء القصور بها فبنيت بطريق داريا فاقام بها مدة ثم انه استوخمها ورأى ان هواءها بارد ندي وماءها ثقيل بالنسبة الى هواء العراق ومائه ورأى الهواء يتحرك من بعد الزوال في زمن الصيف فلا يزال في اشتداد وغبار الى قريب من ثلث الليل ورأى كثرة البراغيث بها، ودخل عليه فصل الشتاء فرأى من كثرة الامطار والثلوج أمراً عجيباً وغلت الاسعار وهو بها، ولكثرة الخلق الذين معه وانقطعت الاجلاب بسبب كثرة الامطار والثلوج فضجر منها ثم جهز غزوة الى بلاد الروم ثم رجع من آخر السنة الى سامراء بعدما اقام بدمشق شهرين وعشرة

ايام، ففرح به اهل بغداد فرحاً شديداً[1].

ان هذه الرواية التي يوردها ابن كثير في تاريخه تدل على ان الخليفة المتوكل كان قد عزم على هجر بغداد واتخاذ دمشق عاصمة له لعله يرتاح فيها اكثر من بغداد لكن الفرق بين المناخين والمدينتين كان واضحاً من خلال وصف ابن كثير الدمشقي وهذا ما جعل الخليفة المتوكل يتراجع عن عزمه وعزيمته في سكن دمشق ليعود ادراجه الى حيث الراحة والجمال والهدوء والاطمئنان. ولم نعلم ان خليفة عباسياً كان قد راودته هذه الفكرة، وانما هي خصوصية من خصوصيات المتوكل وأولية من اولياته التي انفرد بها عن بقية الخلفاء .

هو اول من عمل شمسة ذهب للكعبة المشرفة

الشمسة ربما هي نوع من انواع الزينة التي تعلق لتجميل واجهة البناء، وهذا ما يظهر لنا من وصفها في عبارة الازرقي عند كلامه عنها، فقد روى قائلاً:

وبعث امير المؤمنين جعفر المتوكل بشمسة عملها من ذهب مكللة بالدر الفاخر والياقوت الرفيع والزبرجد بسلسلة من ذهب تعلق في وجه الكعبة في كل موسم[2] .

هو اول من زاد الكعبة ازارين الى ازارها الاول

كان من عادة الخلفاء والامراء تزيين الكعبة المشرفة بانواع الحرير والديباج والذهب والاحجار الكريمة كي يزيدوا من اجلالها وبهائها تعظيماً

---

(١) البداية والنهاية ١٠/٣٤٥ .

(٢) اخبار مكة ١/٢٢٥ .

وتكريماً وامتثالاً لأمر الله تعالى في اظهارها بالمظهر اللائق الحسن، وكانت الكعبة المشرفة تكسى بالديباج الملون وهو نوع من انواع الحرير ويجعلون لها ازاراً يقيها ايدي الناس فلما جاء المتوكل للخلافة زاد في ازارها ازارين آخرين وهو ما حكاه الازرقي اذ اورد:

وجعلت كسوة الديباج الابيض التي احدثها المأمون يوم سبع وعشرين من شهر رمضان للفطر وهي تكسى الى اليوم ثلاث كساً ثم رفع الى المأمون ايضاً ان أزار الديباج الابيض الذي كساها يتخرق ويبلى في ايام الحج من مس الحجاج قبل ان يخاط عليها أزار الديباج الاحمر الذي يخاط في العاشور، فبعث بفضل ازار ديباج ابيض تكساه يوم التروية او يوم السابع فيستر به ما تخرق من الأزار الذي كسيته للفطر الى ان يخاط عليها ازار الديباج الاحمر في العاشور ثم رفع الى امير المؤمنين جعفر المتوكل على الله ان ازار الديباج الاحمر يبلى قبل هلال رجب من مس الناس وتمسحهم بالكعبة فزادها ازارين مع الازار الاول فأذال قميصها الديباج الاحمر وأسبله حتى بلغ الارض، وسئل ابوالوليد عن اذال فقال: أسبل، وقال الشاعر في معنى ذلك:

على ابن ابي العاصي دلاص

أجاد المسدى سردها فأذالها

ثم جعل فوقه في كل شهرين ازار وذلك في سنة اربعين ومائتين لكسوة سنة احدى واربعين ومائتين ثم نظرا الحجبة فاذا الازار الثاني لا يحتاج اليه فوضع في تابوت الكعبة وكتبوا الى امير المؤمنين ان ازاراً واحد مع ما اذيل من قمصها يجزيها فصار يبعث بازار واحد فتكساه بعد ثلاثة اشهر ويكون الذيل ثلاثة اشهر، قال ابوالوليد: ثم أمر اميرالمؤمنين جعفر

المتوكل على الله عزوجل بازالة القميص القباطي حتى بلغ الشاذروان الذي تحت الكعبة في سنة ثلاث واربعين ومائتين[1] .

هو اول خليفة ترجم في زمنه كتاب في علم النبات

اطلع العلماء العرب على علوم الاغريق والاقوام الاخرى من خلال حركة الترجمة التي نشطت في زمن المأمون واستمرت الى الخلفاء الذين جاؤوا بعده، فكانت الايدي تنسخ والعقول تترجم وتدرس كتب الطب والرياضيات والطبيعيات والاحياء وغيرها، وظل اشهر كتب علم النبات وهو كتاب ديسقوريدس مجهولاً لدى العرب الى زمن الخليفة المتوكل، وقد تم في زمنه ترجمته الى اللغة العربية، كما جاء في كتاب «دراسات في تاريخ العلوم عند العرب»:

الا ان اهتمام العرب العلمي بالنبات بدأ في مطلع العصر العباسي، حيث ترجموا بعض كتب اليونانيين الخاصة في علم النبات والاقراباذين ، وكان كتاب ديسقوريدس في النبات اول الكتب التي نقلت الى اللغة العربية وقام بنقله اصطيفان بن باسيل في زمن الخليفة المتوكل وترك العقاقير التي لم يعرف لها ما يقابلها باللغة العربية املاً ان يأتي بعده من يعرف ذلك ويقوم بترجمتها او تفسيرها[2].

(١) اخبار مكة ١/٢٥٦.

(٢) دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ٣٣٠.

المنتصـر بالله(*)

هو اول خليفة عباسي ابرز قبره

من المقررات الشرعية التي أثبتتها السنة النبوية المطهرة عدم ابراز القبور وتجصيصها والكتابة عليها، وقد نهى الرسول محمد(ﷺ) عن كل

(*) هو محمد بن الخليفة المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد العباسي الهاشمي القرشي، كنيته ابوجعفر وقيل ابو عبدالله ولقبه المنتصر بالله، أمه أم ولد رومية اسمها حبشية، كان مليح الوجه اسمر اعين اقنى ربعة جسيماً بطيناً مليحاً مهيباً وافر العقل راغباً في الخير قليل الظلم محسناً الى الناس وصولاً لهم، بويع له بعد قتل أبيه يوم الاربعاء رابع شوال سنة واربعين هجرية، وقد حاول في بداية حكمه ابعاد الاتراك عن دست الحكم لأنه كرههم عندما اشاروا عليه واجبروه على قتل أبيه المتوكل على الله لكنه لم يتمكن منهم، قيل انه جلس في احد الايام على فراش من فرش أبيه فرأى في بعض البسط دائرة فيها فارس وعليه تاج وحوله كتابة فارسية فطلب من يقرأ ذلك فاحضر رجل فنظره فقطب فقال: ماهذه؟ قال: لا معنى لها، فألح عليه، فقال: أنا شيرويه بن كسرى بن هرمز قتلت ابي فلم اتمتع بالملك الا ستة اشهر، فتغير وجه المنتصر وأمر باحراق البساط وكان منسوجاً بالذهب. وورد عنه في لطائف المعارف: اعرق الخلفاء في الخلافة المنتصر فانه هو وآباؤه الخمسة خلفاء وكذلك اخواه المعتز والمعتمد، ومن كلام المنتصر: لذة العفو اعذب من لذة التشفي، ومن جيد اقواله: والله ماعز ذو باطل قط ولو طلع القمر من جبينه ولا ذل ذو حق قط ولو اصفق العالم عليه، وكان عند توليه الخلافة قد اتهم الفتح بن خاقان بقتل أبيه فاخذه وقتله، وكان المتوكل قد عهد بولاية العهد الى ولديه المعتز والمؤيد، فلما تولى المنتصر الخلافة خلعهما من ولاية العهد، وسار في خلافته وقد اظهر العدل والانصاف في الرعية فمالت اليه القلوب مع شدة هيبتهم له، وكان كريماً حليماً، وبرغم فترة خلافته القصيرة فانه جهز لقتال الروم جيشاً أمر عليه وصيفاً التركي فانتصر عليهم، وكان المنتصر يبكي كثيراً ندماً على فعلته بقتل أبيه، وكانت وفاة المنتصر يوم الاحد لخمس بقين من ربيع الآخر سنة مائتين وثمان واربعين هجرية وقت صلاة العصر وعمره خمس وعشرون سنة وستة اشهر ومكث في الخلافة مدة ستة اشهر، واختلف في سبب وفاته فقيل من داء في رأسه، وقيل من ورم في بطنه وقيل من ذبحة في صدره وقيل من فصد الحجام.

انظر: البداية والنهاية ١٠/٣٥٣، تاريخ الخلفاء ٥٦٨، الشذرات ٢/١١٨.

ذلك اللهم الا ما كان لأجل التعريف كعلامة توضع او ما أشبه .

وقد سار المسلمون على هذا في صدر الاسلام والدولة الاموية والدولة العباسية ولم يخالف أحد منهم هذا المذهب، ولكن الخليفة المنتصر عند موته أبرز قبره ولم يكن هذا العمل بوصية منه ولكن من أمه ، والذي عليه الأئمة والفقهاء ان الميت في مثل هذه الحالة لا يعذب لأنه لم يأمر بذلك وانما يعذب اذا كان قد اوصى في حياته، وشأن هذا كشأن النياحة ولطم الخدود وشق الجيوب، وابراز قبور الخلفاء المتوفين من بني العباس لم تعهد منهم قبل المتوكل ولم يوصي احد منهم به ، فيعتبر المتوكل اول خليفة يبرز قبره من بني العباس .

جاء في البداية والنهاية :

وهو اول خليفة من بني العباس أبرز قبره باشارة من أمه حبشية الرومية[1].

هو اول خليفة حاول الحد من سلطة الاتراك

كان الاتراك قد جلبوا بأمرة الخليفة المعتصم بالله حتى ضاقت بهم مدينة بغداد كما اسلفنا، ثم تحول بهم المعتصم الى عاصمته الجديدة سامراء، ومنذ خلافة المعتصم كانت شوكة الاتراك قد اشتدت في الحكم والسلطة على الخلفاء والاستيلاء على مقدرات الدولة وشؤونها، وفي خلافة المتوكل على الله كانت لهم صولتهم الشديدة في نصرة ابنه المنتصر بالله ودفعه الى قتل ابيه وتم لهم ذلك فعلاً ، لكن عمله هذا جعل الخليفة المنتصر يرقبهم بحذر ويترصد حركاتهم وتصرفاتهم لانه كان يخشى منهم ان يفعلوا به كما فعلوا بأبيه ولذلك قلب لهم ظهر المجن وحاول الحد من

---

(١) البداية والنهاية ١٠/٣٥٤ .

تدخلهم في شؤون الدولة الا انه لم يفلح لانهم كانوا قد تغلغلوا بشدة في كـل مرافق الـدولة، ويعمله هـذا جلب منيته بيـده على نفسـه. . قال السيوطي :

ولما ولي صار يسب الاتراك ويقول: هؤلاء قتلة الخلفاء، فعملوا عليه وهموا به فعجزوا عنه لانه كان مهيباً شجاعاً فطناً متحرزاً فتحيلوا الى ان دسوا الى طبيبه ابن طيفور ثلاثين الف دينار في مرضه فأشار بفصده ثم فصده بريشة مسمومة فمات، ويقال: ان أبي طيفور نسي ذلك ومرض فأمر غلامه ففصده بتلك الريشة فمات ايضاً، وقيل بل سم في كمثراة، وقيل مات بالخوانيق، ولما احتضر قال: ياأماه ذهبت مني الدنيا والآخرة عاجلت أبي فعوجلت[1].

---

(١) تاريخ الخلفاء ٥٦٩ .

المستعين بالله(*)

هو اول من احدث لبس الاكمام الواسعة

لم يعهد الخلفاء من بني أمية وبني العباس لبس الاردية ذات الاكمام الواسعة، فكان الخليفة المستعين بالله اول من اوجدها .

جاء في تاريخ الخلفاء:

وكان خيراً فاضلاً بليغاً اديباً وهو اول من احدث لبس الاكمام الواسعة فجعل عرضها نحو ثلاثة اشبار وصغر القلانس وكانت قبله طوالاً[1].

(*) هو احمد بن الخليفة المعتصم بن هارون الرشيد العباسي الهاشمي القرشي، كنيته ابوالعباس ولقبه المستعين بالله، أمه أم ولد اسمها مخارق، ولد سنة احدى وعشرين ومائتين هجرية، وكان مليحاً ابيض بوجهه أثر جدري، بويع بالخلافة يوم مات المنتصر، وقد بايعه عموم الناس ثم خرجت عليه شرذمة من الاتراك فالتف عليهم خلق كبير واستقر الامر للمستعين، وقد كانت له همم عالية وآثار سامية وغزوات في المشارق والمغارب متوالية وكان له من المتاع والضياع ماقيمته عشرة آلاف الف دينار، وقد تنكر له الاتراك فخاف منهم وانحدر من سامراء الى بغداد فارسلوا اليه يعتذرون ويخضعون له ويسألونه الرجوع فامتنع فقصدوا الحبس واخرجوا المعتز بالله وبايعوه وخلعوا المستعين وذلك اول سنة اثنتين وخمسين واشهدوا عليه القضاة واحدروه الى واسط وحبسوه تسعة اشهر هناك ثم رد الى سامراء، وارسل المعتز الى احمد بن طولون ان يقتل المستعين فأبى فندب له سعيد الحاجب فذبحه في ثالث شوال من سنة اثنتين وخمسين ومائتين هجرية وله احدى وثلاثون سنة .

انظر: تاريخ الخلفاء ٥٧١، البداية والنهاية ١١/٢، شذرات الذهب ٢/١٢٤ .

(١) تاريخ الخلفاء ٥٧٢ .

المعتـــز بالله(*)

هو اول خليفة احدث الركوب بحلية الذهب

لم يعهد الخلفاء قبل الخليفة المعتزبالله الـركوب بحليـة الذهب، والركوب (بفتح الراء) هو ما يركب من الخيل والدواب. فلما كان عهد المعتزبالله جعل الذهب حلية لركوبه ، أورد السيوطي في تاريخه قال:

قال علي بن حرب احد شيوخ ابن المعتز في الحديث: مارأيت خليفة

(*) هو محمد وقيل الزبير بن المتوكل على الله بن المعتصم بالله بن هارون الرشيد العباسي الهاشمي القرشي، لقبه المعتزبالله وكنيته ابو عبدالله ، أمه أم ولد رومية تسمى قبيحة، ولد سنة اثنتين وثلاثين ومائتين هجرية فكان بديع الحسن طويلاً جسيماً وسيماً اقنى الانف مدور الـوجه حسن الضحك ابيض اسود الشعر مجعده كثيف اللحية حسن العينين ضيق الحاجبين احمر الوجه، اثنى عليه الامام احمد بن حنبل في جودة ذهنه وحسن فهمه وأدبه حين دخل عليه في حياة ابيه المتوكل، بويع بالخلافة بعد خلع المستعين بالله يوم الجمعة رابع المحرم من سنة مائتين واثنتين وخمسين هجرية، ثم خلع أخاه ابراهيم الملقب بـالمؤيد من ولاية العهد وحبسه، وأمر بقتل بغا الشرابي التركي وأخذ امواله ثم ولى احمد بن طولون على الديـار المصرية فبنى فيها جامعه المشهور، وكان المعتزبالله مكرماً للعلماء والادباء، قـال الزبـير بن بكار: سرت الى المعتز وهو أمير فلما سمع بقدومي خرج مستعجلاً اليّ فعثر فأنشأ يقول:

يمـوت الـفـتى مـن عـثـرة بـلسـانـه
وليس يمـوت المـرء من عثـرة الـرجـل

فـعـثـرتـه مـن فـيـه تـرمـي بـرأسـه
وعثـرتـه في الـرجـل تبـرا عـلى مهـل

وقد أخذ المعتز بقسط وافر من العلم والادب وحفظ القرآن الكريم في حياة أبيه المتوكل، وكان في خلافته ضعيفاً تجاه الاتراك الذين دبروا له مكيدة فقتلوه يوم السبت الثاني من شعبان سنة مائتين وخمس وخمسين هجرية وعمره اثنتان وعشرون سنة وثلاثة اشهر. وكانت مدة خلافته من يوم بويع له بعد خلع المستعين بالله نفسه ثلاث سنين وستة اشهر واربعة وعشرين يوماً ، ومن أشهر اولاده عبدالله بن المعتز الشاعر وبه كان يكنى .

انظر: شذرات الذهب ٢/ ١٣٠، البداية والنهاية ١١/ ١٠ ، تاريخ الخلفاء ٥٧٣ .

احسن منه وهو اول خليفة احدث الركوب بحلية الذهب، وكان الخلفاء قبل يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة[1].

هو اول خليفة يموت عطشاً

ربما تكون هذه الاولية للخليفة المعتزبالله من العجائب الغريبة التي لا يصدقها العقل، وهي فعلاً كذلك لولا ما يؤيدها من اثبات تاريخي صادق في اكثر من مصدر، والحقيقة ان الفترة العباسية المتأخرة حفلت بمآسي مدهشة للألباب محزنة للقلوب وذلك بسبب تغلغل العناصر غير العربية وتربعها على مواقع القوة والأمر والنهي في شؤون الخلافة.

ولذلك وجدنا في الفترة المتأخرة من تاريخ الدولة العباسية مايحزن القلب من المشاهد الفجعة التي جرت على الخلفاء ومنهم الخليفة المعتزبالله، وقد ذكرت قصة مقتل هذا الخليفة في المصادر التاريخية مسرودة بكاملها بأمانة وصدق .

جاء في تاريخ الخلفاء :

وكان المعتز مستضعفاً مع الاتراك فاتفق ان جماعة من كبارهم أتوه وقالوا: ياأمير المؤمنين اعطنا ارزاقنا لنقتل صالح بن وصيف وكان المعتز يخاف منه فطلب من أمه مالاً لينفقه فيهم فأبت عليه وشحت نفسها ولم يكن بقي في بيوت المال شيء فاجتمع الاتراك على خلعه ووافقهم صالح بن وصيف ومحمد بن بغا فلبسوا السلاح وجاؤا الى دار الخلافة فبعثوا الى المعتز ان اخرج الينا فبعث يقول: قد شربت دواء وأنا ضعيف فهجم عليه جماعة وجروا برجله وضربوه بالدبابيس واقاموه في الشمس في يوم صائف وهم يلطمون وجهه ويقولون: اخلع نفسك ثم احضروا القاضي ابن

---

(١) تاريخ الخلفاء ٥٧٣ .

ابي الشوارب والشهود وخلعوه ثم احضروا من بغداد الى دار الخلافة - وهي يومئذ سامراء - محمد بن الواثق وكان المعتز قد ابعده الى بغداد فسلم المعتز اليه الخلافة وبايعه، ثم ان الملأ أخذوا المعتز بعد خمس ليال من خلعه فادخلوه الحمام فلما اغتسل عطش فمنعوه الماء ثم اخرج وهو اول ميت مات عطشاً فسقوه ماء بثلج فشربه وسقط ميتاً وذلك في شهر شعبان المعظم سنة خمس وخمسين ومائتين واختفت أمه قبيحة ثم ظهرت في رمضان واعطت صالح بن وصيف مالاً عظيماً[1].

هو اول خليفة نثرت الجواهر والدراهم والذهب على راسه عند تسليمه بالخلافة على ابيه

روى ابن كثير تاريخه قائلاً:

ذكر ابن عساكر ان المعتز لما حذق القرآن في حياة أبيه المتوكل اجتمع ابوه والامراء لذلك وكذلك الكبراء والرؤساء بسرمن رأى واختلفوا لذلك اياماً عديدة وجرت احوال عظيمة ولما جلس وهو صبي على المنبر وسلم على أبيه بالخلافة وخطب الناس نثرت الجواهر والذهب والدراهم على الخواص والعوام بدار الخلافة، وكان قيمة مانثر من الجواهر يساوي مائة الف دينار ومثلها ذهباً والف الف درهم غير ماكان من خلع وأسمطة واقمشة مما يفوت الحصر وكان وقتاً مشهوداً لم يكن سروراً بدار الخلافة ابهج منه ولا احسن، وخلع الخليفة على أم ولده المعتز قبيحة خلعاً سنية واعطاها وأجزل لها العطاء ، وكذلك خلع على مؤدب ولده وهو محمد بن عمران ، اعطاه من الجوهر والذهب والفضة والقماش شيئاً كثيراً جداً[2] .

---

(١) تاريخ الخلفاء ٥٧٤ ، البداية والنهاية ١١/١٦، الشذرات ٢/١٣٠.

(٢) البداية والنهاية ١١/١٧ .

المهتدي بالله(*)

هو اول خليفة يسرد الصيام

منذ ولايته الى وفاته

سرد الصيام هو ان يستمر الانسان في صيام الايام دون افطار أي انه لا يترك يوماً واحداً دون صيام ، والصيام الشرعي هو اداء الفرض منه بصيام شهر رمضان المبارك واتباع سنة النبي محمد(ﷺ) فيه وذلك بصيام

(*) هو الخليفة الصالح محمد بن الواثق بن المعتصم بن الرشيد العباسي الهاشمي القرشي، كنيته ابو اسحاق وقيل ابو عبدالله لقبه المهتدي بالله، أمه أم ولد تسمى وردة، ولد سنة تسع عشرة وقيل خمس عشرة ومائتين ، وكان اسمر رقيقاً مليح الوجه ورعاً متعبداً عادلاً قوياً في أمر الله بطلاً شجاعاً لكنه لم يجد ناصراً ولا معيناً، وكان من احسن الخلفاء مذهباً وأجودهم طريقة واكثرهم ورعاً وعبادة وزهادة وقد احب الاقتداء بما سلكه الخليفة الاموي الراشد عمر بن عبدالعزيز من الورع والتقشف وكثرة العبادة وشدة الاحتياط ولو طال عمره ووجد ناصراً لسار سيرته ما امكنه وكان من عزمه ان يبيد الاتراك الذين اهانوا الخلفاء واذلوهم وانتهكوا مناصب الخلافة، كانت بيعته يوم الاربعاء لليلة بقيت من رجب في سنة مائتين وخمس وخمسين هجرية بعد خلع المعتز نفسه بين يديه، وحينما ذكر عنده الامام احمد بن حنبل قال: رحم الله احمد بن حنبل والله لو جاز لي ان اتبرأ من أبي لتبرأت منه، وهو يشير بهذا الى مالقي هذا الفقيه على يد والده من العنت والعذاب، كان المهتدي بالله يشرف بنفسه على ادارة شؤون الدولة وقد رصد يومي الاثنين والخميس للنظر في امور الناس والدواوين ولم يخل بهذين اليومين قط ، وأمر في خلافته ان ينفى القيان والمغنون من سامراء وقتل السباع والنمور وكلاب الصيد، وكان قد استدعى موسى بن بغا الكبير الى حضرته ليتقوى به على من عنده من الاتراك ولتجتمع كلمة الخلافة لكن هذا اعتذر اليه لما هو فيه من الجهاد ومقارعة العدو، ورغم ما كان عليه من الحذر والحرص الشديد للتخلص من الاتراك، الا انه لم يستطع التمكن منهم، وانما تألبوا عليه وساروا اليه فخرج الناس للدفاع عن الخليفة المهتدي بالله وقتل من الاتراك في يوم واحد اربعة آلاف ومع هذا فقد تغلبوا على الخليفة وقتلوه يوم الاثنين لاربع عشرة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين هجرية .

انظر: البداية والنهاية ١١/١٧ ، تاريخ الخلفاء ٥٧٦، شذرات الذهب ٢/١٣٢ .

الايـام البيض من كـل شهـر هجـري، وكـذلـك مـاكـان عليـه النبي محمد(ﷺ) ، أما سرد الصيام فلم يأمر به الاسلام واجاز بعضهم ذلك اذا كان الانسان يريد بذلك التقرب به الى الله تعالى وتهذيب النفس وتدريبها على زيادة الورع والتقوى من الله تعـالى ، والذي عليـه المؤرخون لبني العباس انهم لم يثبتوا هـذه الفضيلة لأحد من خلفـائهم سوى الخليفـة المهتدي بالله وهو بهذا يجوز قصب السبق في هذا المضمار.

أورد السيوطي في تاريخه قال:

وكان المهتدي اسمر رقيقاً مليح الوجه ورعاً متعبداً عادلاً قوياً في أمر الله بطلاً شجاعاً لكنه لم يجد ناصراً ولا معيناً . . وقال الخطيب: لم يزل صائماً منذ وليّ والى ان قتل. . وقـال هاشم بن القـاسم: كنت بحضرة المهتدي عشية في رمضان فوثبت لأنصرف فقال لي: اجلس، فجلست وتقدم فصلىٰ بنا ثم دعا بالطعام فاحضر طبق خلاف وعليه رغيف من الخبز النقي وفيه آنية فيها ملح وخل وزيت فدعاني الى الاكل، فابتدأت آكل ظاناً انه سيؤتى بطعام فنظر اليّ وقال: ألم تك صائماً قلت: بـلى، قال: أفلست عازماً على الصوم ؟ فقلت: كيف لا وهو رمضان ؟ فقال: كل واستوف فليس ها هنا من الطعام غير ما ترى فعجبت، ثم قلت ولم ياأمير المؤمنين وقد اسبغ الله نعمته عليك ؟ فقال: ان الامـر على مـا وصفت ولكني فكرت في انه كان في بني أمية عمر بن عبدالعزيز وكان من التقلل والتقشف على ما بلغك فغرت على بني هاشم فأخذت نفسي بما رأيت[1].

---

(١) تاريخ الخلفاء ٥٧٦.

هو اول خليفة عباسي يحرم الغناء والملاهي

من المعروف لدى الانسان ان العيش الرغيد والحياة المترفة للشخص تقودانه الى اسباب اللهو والتمتع في الحياة ذلك لانه لا يدور شيء في خلده الا ويراه متوفراً امامه بحكم تمكنه المادي على الامور، والذي على هذه الشاكلة من الموقع السلطاني ويترك الملهيات والموبقات فانما شأنه غير شأن اولئك الذين حرموا منها اصلاً ولم يستطيعوا اليها سبيلاً ، ان مثل هذا الشخص أصدق وأوثق من الذي يقصر عن الحصول عليها ويعتذر بمعاذير واهية قد تتلاشى فيها اذا فتح امامه الباب وتسلم مفاتيح القدرة والتمكن والثراء ، والخليفة المهتدي بالله رحمه الله يعلو شأنه بين الخلفاء كثيراً اذا علمنا انه حيزت له امور الملك والسلطنة والقدرة على اتيان الملذات والملهيات لكنه امتنع عنها لا خوفاً من البشر وانما خشية من رب البشر . فمثل هذا الخليفة الذي استلم مقاليد الخلافة في عصر اضطربت فيه احوال الناس وفشا بينهم الالتذاذ والقصف بمباهج الحياة وكان بامكانه ان يدلو معهم بدلوه لكنه امتنع عن ذلك وعزف عزوفاً شهده له التاريخ ، وانه بهذا يعيد الى الاذهان سيرة الصحابة الراشدين المهديين وشخص عمر ابن عبدالعزيز وغيرهم من الذين يفخر بهم التاريخ العربي الاسلامي في حصر النفس والخوف من الله تعالى ، وقد تبين لنا ان الخليفة المهتدي بالله كان ذا صفات في الورع والتقوى لم تكن فيمن كان قبله من خلفاء بني العباس ، فاذا زيد على هذا انه وصل به الى التحريم والنهي عن كل ما يغضب الله تعالى من الملاهي والمحرمات فانه يرتفع شأنه ويكون اول من يفعل ذلك في تلك الفترة العصيبة من التاريخ .

جاء في تاريخ الخلفاء :

قال نفطويه : حدثني بعض الهاشميين انه وجد للمهتدي سفط فيه

جبة صوف وكساء كان يلبسه بالليل ويصلي فيه وكان قد اطرح الملاهي وحرم الغناء وحسم اصحاب السلطان عن الظلم ، وكان شديد الاشراف على أمر الدواوين يجلس بنفسه ويجلس الكتاب بين يديه فيعملون الحساب وكان لا يخل بالجلوس الاثنين والخميس وضرب جماعة من الرؤساء ونفى جعفر بن محمود الى بغداد وكره مكانه لانه نسب عنده الى الرفض[1].

وذكر ابن كثير في تاريخه :

وأمر الخليفة بان ينفي القيان والمغنون من سامراء وأمر بقتل السباع والنمور التي في دار السلطان وقتل الكلاب المعدة للصيد ايضاً وأمر بابطال الملاهي ورد المظالم وان يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر وجلس للعامة[2] .

---

(١) تاريخ الخلفاء ٥٧٧ .

(٢) البداية والنهاية ١١/١٨ .

المعتمد على الله(*)

هو اول خليفة عباسي يترك سامراء وينتقل الى بغداد

كان الخليفة العباسي الواثق بالله قد ابتنىٰ مدينة سامراء واتخذها عاصمة له بدلاً عن بغداد، كما اسلفنا، وظلت سامراء منذ ذلك الحين

(*) هو احمد بن المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد العباسي الهاشمي القرشي، كان يعرف بابن فتيان وهو اكبر من اخيه الموفق بستة اشهر، لقبه المعتمد على الله وأمه أم ولد اسمها فتيان ولد سنة مائتين وتسع وعشرين هجرية وكان اسمر ربعة نحيفاً مدور الوجه صغير اللحية مليح العينين ثم سمن واسرع اليه الشيب، بويع بالخلافة يوم الثلاثاء لثلاث عشر ليلة خلت من رجب سنة مائتين وست وخمسين هجرية، وذلك قبل خلع المهتدي بايام، عرف عنه انهماكه في الملذات ولذلك حجر عليه ومنع من التصرف في امور الدولة حتى قال عن نفسه شعراً :

اليس من العجائب ان مثلي
يرى ما قال ممتنعاً عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً
وما من ذاك شيء في يديه
اليه تحمل الاموال طراً
ويمنع بعض ما يجبى اليه

وقد ضعف أمره جداً سنة مائتين وتسع وسبعين لتمكن ابي العباس بن الموفق من الامور وطاعة الجيش له، مات في زمن المعتمد مشاهير الاعلام منهم: البخارى ومسلم صاحبا الصحيحين في الحديث وابو داود والترمذي وابن ماجة وهم من اصحاب السنن والمؤرخان الزبير بن بكار وابن قتيبة الدينوري وغيرهم، وكانت وفاة المعتمد على الله ليلة الاثنين لتسع عشرة ليلة خلت من رجب سنة مائتين وتسع وسبعين هجرية وله من العمر خمسون سنة واشهراً ولبث في الخلافة ثلاثاً وعشرين سنة وستة ايام .

انظر: تاريخ الخلفاء ٥٨٠، البداية والنهاية ١١/٢٣، ٦٥، شذرات الذهب ٢/١٧٣ .

عاصمة للخلفاء العباسيين ولم يهجرها أحد منهم وعاد الى بغداد ، فلما استلم المعتمد على الله الخلافة ترك سامراء وعاد الى بغداد عاصمة آبائه واجداده واستمر الحال على هذا من قبل الخلفاء الذين جاؤا بعده حتى سقوط الدولة العباسية عام ستمائة وستة وخمسين على يد التتار كما سنرى.

جاء في البداية والنهاية لابن كثير:

كان المعتمد اول خليفة انتقل من سامراء الى بغداد ثم لم يعد اليها أحد من الخلفاء بل جعلوا اقامتهم في بغداد[1].

وروى لنا السيوطي هيئة عودة المعتمد الى بغداد قائلاً :

ثم في شعبان من سنة سبعين اعيد المعتمد الى سامراء ودخل بغداد ومحمد بن طاهر بين يديه بالحربة والجيش في خدمته كأنه لم يحجر عليه[2]

هو اول خليفة اشتد في زمنه ظهور الدعوات الشعوبية

كان زمن الخلافة العباسية مفعماً بظهور الفرق الخارجة على العرب والمسلمين وذلك بسبب دخول العنصر غير العربي في الحكم حيث حاول الكثير من غير العرب الكيد للاسلام والمسلمين فوجدوا ان طريق القوة والحرب لا يفي لهم باغراضهم التي يريدون ، وذلك بسبب قوة ومنعة الدار المحكومة من الخلفاء الذين ينتمون اليها قلباً وقالباً ومع مرور الزمن دب الضعف والوهن في الخلفاء والامراء لبعدهم شيئاً فشيئاً عن الايمان الاصيل العميق ، عندئذ تمكن اولئك الاعداء من اختراق الحاجز الدفاعي المتين فاخذوا يتغلغلون خطوة أثر خطوة في مقاليد الحكم وتنصيب الخلفاء

---

(١) البداية والنهاية ١١/٦٥.

(٢) تاريخ الخلفاء/٥٨٤.

على هواهم ، يجرون على هذا ويقتلون ذاك، ويسملون هذا ويصلبون ذلك حتى غدت الخلافة بين ايديهم او تكاد، فهجموا هجماتهم الشرسة المتجسدة بالافكار الخبيثة المحمومة التي شوهت معالم الاسلام الحنيف، ومن تلك الفرق القرامطة والزنج والعبيديون وغيرها من الفرق التي لعبت في حمى العرب والمسلمين ماالله اعلم به من الخراب، وكانت بوادر تلك الفرق ربما ظهرت رؤوسها في ازمان الخلفاء الذين سبقوا الخليفة المعتمد على الله لكنها قطعت من قبل اولئك الخلفاء الاقوياء الغياري على العروبة والاسلام الا ان ذيول تلك الاجساد والرؤوس كانت قد تحركت في الزمن الذي استطاعت ان تتحرك فيه وهو زمن الخليفة المعتمد على الله فكانت قد أتت اكلها واستعرت وصارت على أشدها واعتاها وخربت وعاثت فساداً في الارض، وهذا هو الذي حدث ابان حكم هذا الخليفة العباسي ، فكان اول من استعرت واشتدت وقويت شكيمتها في زمنه ، وقد ذكرت كتب التاريخ ما دار بينها وبين جيوش العرب المسلمين آنذاك .

قال السيوطي في تاريخه :

وفي ايامه دخلت الزنج البصرة واعمالها وخربوها وبذلوا السيف واحرقوا وخربوا وسبوا وجرى بينهم وبين عسكره عدة وقعات وأمير عسكره في اكثرها الموفق أخوه واعقب ذلك الوباء الذي لا يكاد يختلف عن الملاحم بالعراق فمات خلق لا يحصون ثم اعقبه هزات وزلازل فمات تحت الردم الوف من الناس واستمر القتال مع الزنج من حين تولى المعتمد سنة ست وخمسين الى سنة سبعين فقتل فيها رأس الزنج لعنه الله واسمه بهبوذ وكان قد ادعى انه ارسل الخلق فرد الرسالة وانه مطلع على المغيبات .

وذكر الصولي انه قتل من المسلمين الف الف وخمسمائة الف آدمي

وقتل في يوم واحد بالبصرة ثلاثمائة الف وكان له منبر في مدينته يصعد عليه ويسب عثمان وعلياً ومعاوية وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم ، وكان ينادي على المرأة العلوية في عسكره بدرهمين وثلاثة وكان عند الواحد من الزنج العشر من العلويات يطؤهن ويستخدمهن ، ولما قتل هذا الخبيث دخل برأسه بغداد على رمح وعملت قباب الزينة وضج الناس بالدعاء للموفق ومدحه الشعراء وكان يوماً مشهوداً وأمن الناس وتراجعوا الى المدن التي أخذها وهي كثيرة كواسط ورامهرمز[1].

ان هذا الوصف الذي ذكره السيوطي ورد عند غيره من المؤرخين كابن الاثير وابن كثير عند كلامهم في تاريخهم لتلك الحقبة الزمنية التي استخلف فيها المعتمد على الله والتي ظهرت فيها دعوة القرامطة الملاحدة ، حيث ذكر السيوطي عن احداث سنة مائتين وثمان وسبعين هجرية فقال:

وفيها ظهرت القرامطة بالكوفة وهم نوع من الملاحدة يدعون انه لا غسل من الجنابة وان الخمر حلال ويزيدون في آذانهم: «وان محمد بن الحنفية رسول الله» وان الصوم في السنة يومان هما يوم النيروز ويوم المهرجان وان الحج والقبلة الى بيت المقدس واشياء اخرى ونفق قولهم على الجهال وأهل البر وتعب الناس بهم[2].

وفي شأن الدعوة العبيدية ذكر السيوطي ان بدايتها في زمن المعتمد على الله ، حيث قال في احداث سنة مائتين وسبعين هجرية:

وفيها ظهرت دعوة المهدي عبيد الله بن عبيد جد بني عبيد خلفاء المصريين الروافض في اليمن واقام على ذلك الى سنة ثمان وسبعين ، فحج تلك السنة واجتمع بقبيلة من كتامة فاعجبهم حاله فصحبهم الى مصر

---

(١) تاريخ الخلفاء/ ٥٨٠، البداية والنهاية ١١/ ٢٨ وما بعدها.

(٢) تاريخ الخلفاء/ ٥٨٥، البداية والنهاية ١١/ ٦١ وما بعدها.

ورأى منهم طاعة وقوة فصحبهم الى المغرب فكان ذلك اول شأن المهدي[1] .

(1) تاريخ الخلفاء/٥٨٤.

المعتضـد بالله(*)

هو اول خليفة عباسي اسقط المكوس

(*) هو احمد بن طلحة الموفق بالله بن المتوكل على الله بن المعتصم ابن الرشيد العباسي الهاشمي القرشي، لقبه المعتضد بالله وكنيته ابو العباس، أمه أم ولد اسمها صواب، ولد سنة اثنين وقيل ثلاث واربعين ومائتين هجرية، كان اسمر نحيف الجسم معتدل القامة قد خطه الشيب في مقدم لحيته طول وفي رأسه شامة بيضاء، بويع له بالخلافة صبيحة يوم الاثنين واحدى عشرة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين، وكان أمر الخلافة قد ضعف في ايام عمه المعتمد فلما ولي المعتضد أقام شعارها ورفع منارها، وكان المعتضد بالله شجاعا فاضلاً من رجالات قريش حزماً وجرأة واقداماً وكذلك كان أبوه، وصفه السيوطي بقوله: كان ملكاً شجاعاً مهيباً ظاهر الجبروت وافر العقل شديد الوطأة من افراد خلفاء بني العباس وكان يقدم على الاسد وحده لشجاعته، وكان قليل الرحمة اذا غضب على قائد أمر بأن يلقى في حفيرة ويطم عليه وكان ذا سياسة عظيمة، واضافة الى كل هذه الصفات فقد عرف بشهامته وجلده وصبره في الحروب، قام بالأمر احسن قيام وهابه الناس ورهبوه احسن رهبة وسكنت الفتن في أيامه لفرط هيبته وكانت أيامه طيبة كثيرة الامن والرخاء، سمي بالسفاح الثاني لأنه جدد ملك بني العباس بعد ان تدهور واضطرب بعد الخليفة المتوكل على الله، وقد أقام العدل بين الناس وحارب اللصوص والمفسدين فأحبه الناس ومدحه الشعراء لمليح اعماله وفعاله ومنهم ابن الرومي اذ قال:

هنيئاً بني العباس ان امامكم
امام الهدى والبأس والجود احمد
كما بأبي العباس انشيء ملككم
كذا بأبي العباس ايضاً يجدد

وكان المعتضد يمسك عن صرف الاموال في غير وجهها فلهذا كان بعض الناس يبخله، ومن الناس من جعله من الخلفاء الراشدين ولما حضرته الوفاة ترك في بيت المال سبعة عشر الف الف دينار، توفي المعتضد بالله ليلة الاثنين لثمان بقين من ربيع الاول سنة مائتين وتسع وثمانين هجرية، ولم يبلغ الخمسين من عمره ودامت خلافته تسع سنين وتسعة اشهر وثلاثة عشر يوماً.

انظر: البداية والنهاية ١١/٨٦، تاريخ الخلفاء ٥٨٨، شذرات الذهب ٢/١٩٩ .

المكس او المكوس هو ما تأخذه الدولة على البضائع والتجارات التي يجلبونها الى الديار الاسلامية وكانت تقدر بحصة من قبل اصحاب المكس الذين يتولون القيام بذلك وقد نهى الخليفة المعتضدبالله ان يؤخذ المكوس من التجار وامثالهم بعد ان كان هذا سارياً في ازمان من سبقه من الخلفاء فكان بعمله هذا اول من قام به في زمن الدولة العباسية .

وقد اورد السيوطي :

وكانت ايامه طيبة كثيرة الامن والرخاء وكان قد اسقط المكوس ونشر العدل ورفع الظلم عن الرعية[1] .

هو اول من بنى دار للخلافة ببغداد و اول من سكنها

ذكرنا سابقاً ان المعتمد على الله انتقل من سامراء الى بغداد عائداً الى عاصمة آبائه واجداده واستمر الحال كذلك حتى نهاية سقوط بغداد، وكان عند العودة اليها لا بد من دار للخلافة جديد يليق بمقامها، ولما آل الامر الى الخليفة المعتضدبالله كان اول من قام ببناء هذه الدار وأول من سكنها .

قال صاحب البداية والنهاية بشأن بناء دار الخلافة في بغداد ايام المعتضدبالله وذلك عند كلامه عن احداث سنة ثمانين ومائتين من الهجرة :

اول من بناها المعتضد في هذه السنة وهو اول من سكنها من الخلفاء الى آخر دولتهم وكانت اولاً داراً للحسن بن سهل تعرف بالقصر الحسني ثم صارت بعد ذلك لابنته بوران زوجة المأمون فعمرتها حتى استنزلها

---

(١) تاريخ الخلفاء ٥٨٩ .

المعتضد عنها فأجابته الى ذلك ثم اصلحت ماوهي منها ورممت ماكان قد تشعث فيها وفرشتها بانواع الفرش في كل موضع منها مايليق به من المفارش واسكنته مايليق به من الجواري والخدم واعدت بها المآكل الشهية وما يحسن ادخاره في ذلك الزمان ثم ارسلت مفاتيحها الى المعتضد فلما دخلها هاله ما رأىٰ من الخيرات ثم وسعها وزاد فيها وجعل لها سوراً حولها وبنى الميدان ثم بنى فيها قصراً مشرفاً على دجلة ثم بنى فيها المكتفي التاج فلما كان ايام المقتدر زاد فيها زيادات أخر كباراً كثيرة جداً ثم بعد هذا كله خربت حتى كأن لم يكن موضعها عمارة وتأخرت آثارها الى ايام التتار الذين خربوها وخربوا بغداد وسبوا من كان بها من الحرائر سنة ست وخمسين وستمائة هجرية [1].

هو اول من هدم دار الندوة وادخلها ضمن المسجد الحرام

كانت دار الندوة في الجاهلية مجتمع سادة قريش وعامة الناس يتشاورون فيها امورهم ويقضون فيها قضاياهم، وحينما نزل الاسلام ودعا الرسول محمد(ﷺ) الناس الى عبادة الله الواحد القهار ونبذ عبادة الاصنام هاجت قريش وكبراؤها واستمرت جلساتهم في دار الندوة يتشاورون فيها كيف يقضون على هذا الدين الجديد ونبيه الكريم ومن هذه الدار انطلقت المؤامرات التي حاكها مشركو قريش في اغتيال النبي محمد(ﷺ) قبل هجرته الشريفة الى المدينة المنورة وبعد انتصار الاسلام والمسلمين على الكفر والمشركين كان لهذه الدار شأن آخر، حيث صارت مقراً لمجالس

---

(١) البداية والنهاية ٦٨/١١.

الخير والتعاون والمشورة بين المسلمين واستمر حالها طيلة فترة الصدر الاول من الاسلام وكذلك في زمان بني أمية حيث اصبحت موئلاً لراحة الحجيج وذلك بعد تطويرها وتحسينها عما كانت عليه سابقاً، فكان معاوية بن ابي سفيان قد اشتراها في خلافته وعمرها لينزل بها اذا حج وهي وقتذاك داخلة في المسجد الحرام ثم نزلها الخلفاء الامويون بعد معاوية ، وفي خلافة بني العباس نزلها الخلفاء عند حجهم البيت الحرام الى نهاية خلافة هارون الرشيد، حيث تخربت وكثر هدمها وما يلقى فيها من القمامة وظلت هكذا حتى خلافة المعتضد بالله، حيث أتم هدمها وضمها الى المسجد الحرام، وقد أشار السيوطي الى ذلك عند كلامه عن احداث سنة مائتين وثمانين هجرية فقال:

وفيها هدم المعتضد دار الندوة بمكة وصيرها مسجداً الى جانب المسجد الحرام[1].

وقال الازرقي:

وقد دخل اكثر دار الندوة في المسجد الحرام، وقد بقيت منها بقية هي قائمة الى اليوم على حالها.

قال ابو محمد الخزاعي:

قد جعلت مسجداً وصل بالمسجد الكبير في خلافة المعتضد بالله وقد كتبت قصتها في موضعه[2].

---

(١) تاريخ الخلفاء ٥٩١.

(٢) اخبار مكة ٢/٢٥٣.

هو اول خليفة عباسي يمنع
كتب الفلاسفة والمنجمين

انتعشت العلوم في زمن الدولة العباسية لما توفر لها من خلفاء امروا بترجمة كتب الاقوام الاخرى في مختلف المعارف وشجعوا العلماء من العرب وغيرهم في اختراق آفاق العقل والفلسفة والعلوم، فكانت الكتب العلمية مبذولة في الاسواق ولدى الوراقين وكانت دار الحكمة التي أنشأها الخليفة الرشيد وطورها ولده المأمون هي منار العلم ومبعث الانطلاق الفكري، ولكن مع هذا الانتعاش العلمي القديم سارت علوم التنجيم والشعوذة والهرطقة الفلسفية والعقلية مما أدى الى انبعاث الحركات الهدامة البعيدة عن روح العروبة والاسلام، وقد نخرت هذه الحركات في جسم الدولة ماشاءالله لها وانبرى العلماء الغيارىٰ على علوم الدين بالدفاع والمصاولة الفكرية ضد تلك الفرق فنحرتها وقضت عليها ولكن بعد جهد رافقته بعض العقابيل التي ظلت عالقة في اذهان الجهلة ودهماء الناس، ولما استولى المعتضد على الخلافة وهو المعروف بغيرته على الخلافة الاسلامية، اراد تطهير الساحة الثقافية من تلك الادغال الضارة التي ظلت عالقة بارض الفكر الاسلامي العربي القويم، فكان اول ما ابتدأ به عند مبايعته انه أمر بمنع بيع الكتب الفلسفية وتعاطيها بين الناس وكذلك كتب التنجيم وبعث بأوامره هذه الى البلدان والممالك الاسلامية التابعة للخلافة فكان بعمله هذا اول من قام بمحاربة الفلسفة والتنجيم من الخلفاء العباسيين الذين كانوا قبله يشجعونها ويبذلون الاموال لأجل نسخها ونشرها بين الناس .

ذكر ابن كثير في تاريخه عند كلامه عن احداث سنة تسع وسبعين ومائتين وهي السنة التي بويع بها المعتضد بالله قائلاً :

في أواخر المحرم منها خلع جعفر المفوض من المعهد واستقل بولاية العهد من بعد المعتمد ابوالعباس المعتضد بن الموفق، وخطب له بذلك على رؤوس الاشهاد وفي ذلك يقول يحيى بن علي يهني المعتضد :

ليهنـك عقـد انت فيـه المقـدم
حبـاك بـه رب بفـضلك اعـلم

فان كنت قد اصبحت والي عهدنا
فـانت غـداً فينـا الامـام المعـظم

ولا زال من والاك فيـنـا مبـلغـا
منـاه ومن عـاداك يخـزى ويـنـدم

وفيها نودي ببغداد ان لا يمكن احد من القصاص والطرقية والمنجمين ومن أشبههم من الجلوس في المساجد ولا في الطرقات وان لا تباع كتب الكلام والفلسفة والجدل بين الناس وذلك بهمة أبي العباس المعتضد سلطان الاسلام[1] .

وصرح المؤرخ السيوطي ايضاً بهذه الحقيقة قائلاً :

وفي اول سنة استخلف فيها منع الوراقين من بيع كتب الفلاسفة وما شاكلها ومنع القصاص والمنجمين من القعود في الطريق، صلى بالناس صلاة الاضحى فكبر في الاولى ستاً وفي الثانية واحدة ولم تسمع منه الخطبة[2] .

ان هذا العمل من قبل المعتضدبالله دلالة صدق على خشيته من الله تعالى ومقارعته للالحاد اينما كان محله وقد شهد ما يدل على هذا وذلك الخبر

(١) البداية والنهاية ١١/٦٤.

(٢) تاريخ الخلفاء ٥٩٠.

الذي ذكره ابن كثير اذ قال:

قال عبدالله بن حمدون: كلمني المعتضد قائلاً: اصدقني فيم ينكر عليّ الناس؟ قلت: الدماء، قال: والله ما سفكت دماً حراماً منذ وليت، قلت: فلم قتلت احمد بن الطيب؟ قال: دعاني الى الالحاد والكفر بالله فيما بيني وبينه فلما دعاني الى ذلك قلت له: ياهذا أنا ابن عم صاحب الشريعة وأنا منتصب في منصبه فاكفر حتى اكون من غير قبيلته فقتلته على الكفر والزندقة[1].

---

(١) البداية والنهاية ١١/٨٦.

المقتدر بالله(*)

هو اول خليفة عباسي يخرج المغرب العربي عن حكمه ودولته

كانت امور الخلافة العباسية في زمن الخليفة المقتدربالله قد تدهورت وآلت الى الاضمحلال لانه لم يكن في موقع يسمح له بادارة شؤونها فقد

(*) هو جعفر بن احمد المعتضدبالله بن الموفق بن جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد العباسي الهاشمي القرشي، كنيته ابوالفضل ولقبه المقتدر بالله، ولد ليلة الجمعة لثمان بقين من رمضان سنة اثنتين وثمانين ومائتين هجرية، أمه أم ولد اسمها شغب وقيل غريب ولقبت في خلافة ولدها بالسيدة، كان المقتدر ربعة من الرجال حسن الوجه والعينين بعيد مابين المنكبين حسن الشعر مدور الوجه مشرباً بحمرة حسن الخلق قد شاب رأسه وعارضاه، بويع له بالخلافة بعد أخيه المكتفي يوم الاحد لأربع عشرة مضت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين هجرية وهو يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة وشهر وايام، ولهذا اراد الجند خلعه في ربيع الاول من سنة ست وتسعين ومائتين محتجين بصغره وعدم بلوغه والحق انه اصغر من بويع بالخلافة فارادوا تولية عبدالله بن المعتز فلم يتم لهم ذلك، ثم خلعوه في المحرم سنة سبع عشرة وثلاثمائة وولوا أخاه محمد القاهر فلم يتم ذلك سوى يومين فاعادوا المقتدر بالله الى الخلافة، كان المقتدر معطاءاً جواداً وله عقل جيد وفهم وافر وذهن صحيح كثر التحجب والتوسع في النفقات فزاد في رسوم الخلافة وامور الرياسة، وكان كثير الصدقة والاحسان الى أهل الحرمين وارباب الوظائف وكان كثير التنفل بالصلاة والصوم والعبادة.
وفي زمانه قتل الصوفي المشهور ابومنصور الحسين الحلاج لدعواه في الحلول والتناسخ، وظهر الفاطميون على شمال افريقية واستولوا عليه، وأمر المقتدر سنة احدى عشرة وثلاثمائة برد المواريث الى ما صيرها المعتضد من توريث ذوي الارحام، ومما يؤخذ عليه ان النساء غلبنه في التدخل بشؤون الدولة مما جعل الناس ينفرون عنه ويؤلبون عليه الخادم مؤنس الذي جمع كافة غلمانه من البربر واعطاهم السلاح وهجموا على المقتدر وحاشيته فقتلوه لليلتين بقيتا من شوال سنة ثلاثمائة وعشرين هجرية وله من العمر ثمان وثلاثون سنة وكانت مدة خلافته اربعاً وعشرين سنة واحدى عشر شهراً.

انظر:

البداية والنهاية ١١/١٦٩، تاريخ الخلفاء ٦٠٤، شذرات الذهب ٢/٢٨٤.

كان اصغر من تولى الخلافة اذ كان عمره ثلاث عشرة سنة، الامر الذي جعل الآخرين يتلاعبون به وبمقادير الدولة كيف شاؤوا وأرادوا، حيث استغلوا صغر سنه وانشغاله بالملذات وسيطرة النساء على الامور والبذخ بالمال والذهب، كل هذا وذاك جعل اصحاب النفوذ يتمركزون في قواهم وانصارهم عليه ومحاربته وانتزاع السلطة وادارة البلاد على هواهم، وكان من هؤلاء العبيديون الفاطميون الذين تمركزوا في الشمال الافريقي وأخذوا يجمعون الانصار والقواد حول رئيسهم حتى استقلوا ببلاد المغرب العربي واخرجوها من حكم الخلافة العباسية ولم يكتفوا بذلك، بل زحفوا يريدون بلاد مصر فحيل بينهم وبينها.

وقد ذكر السيوطي هذا الحدث الخطير عند كلامه عن احداث سنة ست وتسعين ومائتين للهجرة فقال:

وفيها غلب أمر المهدي بالمغرب وسلم عليه بالامامة ودعي له بالخلافة وبسط في الناس العدل والاحسان فانحرفوا اليه وتمهدت له المغرب وعظم ملكه وبنى المهدية وهرب امير افريقية زيادة الله بن الاغلب الى مصر ثم اتى العراق وخرجت المغرب عن أمر بني العباس من هذا التاريخ، فكانت مدة ملكهم جميع الممالك الاسلامية مائة وبضعاً وستين ومن هنا دخل النقص عليهم[1].

ثم يستمر السيوطي في ذكر احداث سنة احدى وثلاثمائة للهجرة، حيث يقول:

وفيها سار المهدي الفاطمي يريد مصر في اربعين الفاً من البربر فحال النيل بينه وبينها فرجع الى الاسكندرية وأفسد فيها وقتل ثم رجع فسار اليه جيش المقتدر الى برقة وجرت لهم حروب ثم ملك الفاطمي

---

(١) تاريخ الخلفاء ٦٠٦.

الاسكندرية والفيوم من هذا العام[1].

هو اول خليفة ترك للنساء
الأمر والنهي في شؤون الخلافة

ذكرنا سابقاً ان الخليفة المقتدر بالله كان صغير السن مما جعله ضعيف الارادة تجاه الداخلين عليه في سياسة الدولة وتدبير شؤون الخلافة، ولهذا فقد أخذ النساء يأمرن وينهين ويتدخلن تدخلاً مباشراً وكلياً في ادارة شؤون الدولة ومقرراتها بحيث لم يكن للمقتدر حول ولا قوة، وهذا لم يكن موجوداً فيمن قبله من الخلفاء .

قال السيوطي في تاريخه عند كلامه عن احداث سنة ست وثلاثمائة هجرية :

وفيها صار الامر والنهي لحرم الخليفة ولنسائه لركاكته وآل الأمر الى ان أمرت أم المقتدر بثمل القهرمانة ان تجلس للمظالم وتنظر في رقاع الناس كل جمعة ، فكانت تجلس وتحضر القضاة والاعيان وتبرز التواقيع[2] .

وفي موقع آخر يسير السيوطي الى ما يؤكد هذا عند وصفه للخليفة المقتدر فيقول :

وكان المقتدر جيد العقل صحيح الرأي لكنه كان مؤثراً للشهوات والشراب مبذراً وكان النساء غلبن عليه، فاخرج عليهن جميع جواهر الخلافة ونفائسها واعطى بعض حظاياه الدرة اليتيمة ووزنها ثلاثة مثاقيل واعطى زيدان القهرمانة سبحة جوهر لم ير مثلها وأتلف اموالاً كثيرة[3] .

---

(١) تاريخ الخلفاء ٦٠٧.

(٢) تاريخ الخلفاء ٦٠٨.

(٣) تاريخ الخلفاء ٦١٣.

هو اول خليفة انقطع الحج في زمانه

لم ينقطع اداء فريضة الحج من قبل المسلمين في زمن خليفة من الخلفاء لانهم كانوا يوفرون للحجيج ما يحتاجون من الخدمات والامن والطمأنينة التي بها يبلغون بيت الله الحرام، وفي خلافة المقتدر بالله كانت احوال البلاد قد اضطربت كثيراً وأمتلأت الطرق النائية البعيدة من المناوئين والخارجين على الدولة العباسية ، وكذلك لم يخل البيت الحرام من هجمات اتباع الحركات الهدامة في الاسلام ومنها حركة القرامطة التي استفحل أمرها واستولى دعاتها على كل حدب وصوب من مكة المكرمة بحيث اصبح الحج وقتذاك من المخاطرات الكبرى ولاسيما سنة ست عشرة وثلاثمائة للهجرة، حيث استولى قائد القرامطة ورئيسهم على مقدرات الحج ودمروا الكعبة المشرفة وهتكوا استارها ونهبوا الحجر الاسود ، وكل هذا دار في زمن الخليفة المقتدر الذي لم يستطع تأمين الناس لأداء فريضة الحج فكان بذلك اول خليفة ينقطع الناس عن اداء هذه الفريضة المقدسة حفظاً على ارواحهم.

قال السيوطي في وصف ذلك:

وفي سنة ست عشرة بنى القرامطة داراً سماها (دار الهجرة)، وكان في هذه السنين قد كثر فساده وأخذه البلاد وفتكه بالمسلمين واشتد الخطب به وتمكنت هيبته في القلوب وكثر اتباعه وبث السرايا وتزلزل له الخليفة وهزم جيش المقتدر غير مرة وانقطع الحج في هذه السنين خوفاً من القرامطة ونزح أهل مكة عنها.

وتستمر احداث هذا القرمطي اللعين في السنة التالية ليفعل أخبث فعلة عرفها التاريخ وهي كما يرويها السيوطي، حيث يقول:

وفي هذه السنة سير المقتدر ركب الحاج مع منصور الديلمي فوصلوا الى مكة سالمين فوافاهم يوم التروية عدو الله ابوطاهر القرمطي فقتل الحجيج في المسجد الحرام قتلاً ذريعاً وطرح القتلى في بئر زمزم وضرب الحجر الاسود بدبوس فكسره ثم اقتلعه وأقام بها احد عشر يوماً ثم رحلوا وبقي الحجر الاسود عندهم اكثر من عشرين سنة ودفع لهم فيه خمسون الف دينار فأبوا حتى اعيد في خلافة المطيع، وقيل: انهم لما أخذوه هلك تحته اربعون جملاً من مكة الى هجر، فلما اعيد حمل على قعود هزيل فسمن[1].

---

(1) تاريخ الخلفاء ٦١٠ ـ ٦١١.

المطيع لله(*)

هو اول خليفة عباسي وضع في زمانه طوق من الفضة لربط الحجر الاسود

كان الحجر الاسود قد نهب من قبل القرامطة وأخذوه الى بلادهم في هجر من بلاد اليمن وذلك سنة ثلاثمائة وسبع عشر هجرية وظل عندهم الى خلافة المطيع لله . وفي زمانه أعيد الحجر الاسود الى مكانه في البيت الحرام ، وقد خيف عليه ان يتعرض لما تعرض له من السرقة والعبث ، فطوق بحزام من الفضة يثبته

(*) هو الفضل بن المقتدر بالله بن المعتضد بالله بن طلحة الموفق بالله بن المتوكل على الله بن المعتصم بالله بن الرشيد العباسي الهاشمي القرشي ، كنيته ابو القاسم ولقبه المطيع لله ، أمه أم ولد اسمها شغلة ، ولد اول سنة احدى وثلاثمائة هجرية وبويع له بالخلافة عند خلع المستكفي في جمادى الآخرة سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة ، وكان الذي قام بذلك معز الدولة البويهي عند قدومه بغداد ، حيث صار الحل والعقد بيده وليس للخليفة المطيع الا الاسم حتى ان ارزاقه ونفقاته كانت بأمر معز الدولة ، حيث جعل له مائة دينار فقط ، كانت الخلافة في زمن المطيع قد آلت الى ايدي اجنبية عن العرب كشأنها في الراضي والمقتدر لضعف كيان الدولة وتقلصت رقعتها يضاف الى هذا الفواتك والجائحات الارضية والسماوية التي هدت كيان الناس والجهود البشرية ، وفي زمانه استمر القرامطة على عبثهم والسادهم في البيت الحرام وباقي البقاع الاسلامية ، وكذلك تولي الناصر لدين الله في بلاد الاندلس ، وايضاً كانت وفاة معز الدولة فأقيم محله ابنه بختيار ولقبه المطيع بلقب عز الدولة ، وكثر القضاة في زمنه حتى كان في البلد الواحد اربعة قضاة مشتركون وهو أمر لم تألفه الخلافة من قبل ، وفي سنة ثلاث وستين وثلاثمائة للهجرة حصل للمطيع الفالج وثقل لسانه فخلع نفسه من الخلافة وسلمها الى ولده الطائع لله يوم الاربعاء الثالث عشر من ذي القعدة وظل الامر بيد بني بويه ثم خرج المطيع الى واسط مع ولده فتوفي هناك في المحرم من سنة ثلاثمائة واربع وستين هجرية .

انظر ترجمته : في البداية والنهاية ٢١٢/١١ ، تاريخ الخلفاء ٦٤٤ ، شذرات الذهب ٤٨/٣ .

في مكانه دون ان ينال منه العابثون .

وقد ورد خبر اعادته في تاريخ السيوطي حيث قال:

وفي سنة تسع وثلاثين اعيد الحجر الاسود الى موضعه وجعل له طوق فضة يشد به وزنه ثلاثة آلاف وسبعمائة وسبعة وستون درهماً ونصف[1].

أما قصة اعادته فقد رواها صاحب البداية والنهاية، حيث قال في احداث سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة للهجرة:

في هذه السنة المباركة في ذي القعدة منها رد الحجر الاسود المكي الى مكانه في البيت، وقد كان القرامطة أخذوه في سنة سبع عشرة وثلاثمائة كما تقدم، وكان ملكهم اذ ذاك ابوطاهر سليمان بن ابي‌سعد الجنابي ، ولما وقع هذا اعظم المسلمون ذلك وقد بذل لهم الامير بجكم التركي خمسين الف دينار على ان يردده الى موضعه فلم يفعلوا وقالوا: نحن أخذناه بأمر فلا نرده الا بأمر من أخذناه بأمره، فلما كان هذا العام حملوه الى الكوفة وعلقوه على الاسطوانة السابعة من جامعها ليراه الناس وكتب اخو ابي‌طاهر كتاباً فيه: أنا أخذنا هذا الحجر بأمر وقد رددناه بأمر من أمرنا بأخذه ليتم حج الناس ومناسكهم، ثم ارسلوه الى مكة بغير شيء على قعود فوصل في ذي القعدة من هذه السنة ولله الحمد والمنة وكانت مدة مغايبته عندهم ثنتين وعشرين سنة ففرح المسلمون لذلك فرحاً شديداً . وقد ذكر غير واحد ان القرامطة لما أخذوه حملوه على عدة جمال فعطبت تحته واعترى اسنمتها القرح ولما ردوه حمله قعود واحد ولم يصبه أذى[2] .

---

(١) تاريخ الخلفاء ٦٣٦ .

(٢) البداية والنهاية ١١/٢٢٣ .

هو اول خليفة اقيمت في زمنه

مواكب عاشوراء

استشهد الامام الحسين بن علي رضوان الله عليهما يوم عاشوراء من شهر محرم الحرام عام واحد وستين هجرية في حكم يزيد بن معاوية وكان ذكره في قلوب المسلمين ساكناً خالداً يبعث فيهم روح الجهاد والصمود، ولكن لم يذكر المؤرخون عن صدر الاسلام والخلافة الاموية والعباسية انه اقيمت عليه المآتم ومجالس الفاتحة، صحيح ان بداية استشهاده عم البكاء والعويل والحزن في قلوب المسلمين جميعهم صغيرهم وكبيرهم، ولكن تجديد ذلك الحزن او جعله منهجاً سنوياً واجباً من واجبات الشريعة الاسلامية فانه لم يكن ابداً، ذلك لأن النقل والعقل يحرمان ذلك، فمن الناحية النقلية ان العزاء ممنوع منه بعد ثلاثة ايام لكائن من كان لقول النبي الاكرم محمد(ﷺ) « لا عزاء بعد ثلاث » ، وحرمت الشريعة الاسلامية لطم الخدود وشق الجيوب لما في هذا من ايذاء للميت.

ومن العقل فان النبي محمد(ﷺ) أفضل الخلق اجمعين بما فيهم الحسين(رضي الله عنه) فهل يفعل في ذكرى موته ما يفعل في ذكرى موت الحسين ؟ وهل أمر(ﷺ) بذلك.

وهناك نقطة لطيفة يجب ان تدركها الاذهان وهي ان الشهادة عز وفخر يعلو بها صاحبها في اعلى عليين عند رب العرش العظيم ومادام الحسين (رضي الله عنه) قد حصل على هذا الفخر والعز فهل يجوز الحزن عليه ولطم الخدود من أجله؟ ألا يحق لنا ان نفرح ونبتهج بانه حصل على الشهادة الحق التي لا ينالها الا ذو حظ عظيم؟.

ان الاسف والحزن والعويل وغيرها من مظاهر الاسى لا تكون الا لمن خسر الدنيا والآخرة والعياذ بالله، فهل يستطيع أحد ان يصف الحسين

(رضي الله عنه) بهذه الصفة وحاشاه عنها؟؟.

ان الذي يصر ويعاند على حزنه وعويله ونياحته على سبط رسول الله (ﷺ) فأنه يسيء اليهما والى آل النبي اجمعين (عليهم الصلاة والسلام) من حيث لا يشعر، فالاولى بمن اعمت الجهالة بصيرته وأدمت الضلالة عقيرته ان يرعوي عن طبعه هذا الذي لم يكن من الاسلام في شيء لا من قريب ولا من بعيد ، وانما هو من اعداء المسلمين وبالذات اعداء بيت النبوة الكريم الذي شرفه الله تعالى ، ويأبىٰ الزنادقة الملحدون المارقون الا تدنيسه والعبث به.

لقد شهدت فترة المطيع لله بدء منهاج مواكب العزاء والحزن على الحسين وأهل بيته (رضي الله عنهم) اجمعين فكان بهذا اول خليفة يشهد التاريخ في زمانه بها.

وقد أورد السيوطي في تاريخه ذلك قائلاً:

وفي سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة للهجرة يوم عاشوراء الزم معزالدولة الناس بغلق الاسواق ومنع الطباخين من الطبيخ ونصبوا القباب في الاسواق وعلقوا عليها المسوح واخرجوا نساء منتشرات الشعور يلطمن في الشوارع ويقمن المآتم على الحسين وهذا اول يوم نيح عليه فيه ببغداد واستمرت هذه العادة سنين[1].

---

(١) تاريخ الخلفاء/ ٦٣٩.

الطائـع لله(*)

هو اول خليفة عباسي قطعت في زمنه

صـــلاة التراويح

صلاة التراويح التي يقيمها الناس في ليالي رمضان سنة مؤكدة سار على اقامتها منذ زمن النبي محمد(ﷺ) وجمع عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الناس عليها في المساجد وظلت على هذا الحال في كل رمضان يمر على المسلمين، لم

(*) هو عبدالكريم بن المطيع لله الفضل بن المقتدر بالله بن المعتضد بالله بن طلحة الموفق بالله بن المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد العباسي الهاشمي القرشي، كنيته ابوبكر ولقبه الطائع لله، أمه أم ولد اسمها هزار وقيل غيث، عقد البيعة للطائع بدار الخلافة على يدي الحاجب سبكتكين وذلك يوم الثلاثاء التاسع عشر من ذي القعدة سنة ثلاثمائة وثلاث وستين، ولم يل الخلافة من بني العباس أسن منه فقد كان عمره لما تولى ثمانياً واربعين سنة وأمه كانت على قيد الحياة آنذاك وقيل فيه: لم يل الخلافة من اسمه عبدالكريم سواه ولا من أبوه حي سواه ولا من كنيته ابوبكر سواه سوى ابي بكر الصديق (رضي الله عنه)، وعند توليه الخلافة ركب وعليه البردة وبين يديه سبكتكين والجيش ثم خلع من الغد على سبكتكين خلع الملوك ولقبه ناصر الدولة وعقد له الامارة، وحكى ابن الجوزي في منتظمه ان المطيع لله اطلقوا عليه بعد خلعه اسم الشيخ الفاضل. كانت فترة الطائع لله يسود عليها تغلب سلطة البويهيين في العراق وسلطة العبيديين في مصر وشمال افريقيا، وقد ضعفت سلطة بني العباس وسقطت هيبتهم من قلوب الناس حتى تجرأ الشعراء على هجاء الخليفة والطعن بالخلافة العباسية وصارت خطب العلماء تخص بني بويه دون الخليفة الذي غلب على أمره، ولما مات عضد الدولة ولي الطائع لله مكانه ابنه صمصام الدولة واضفى عليه لقب شمس الملة وخلع عليه الخلع النفيسة، وفي سنة احدى وثمانين وثلاثمائة هجرية قبض على الطائع من قبل الديلم الذين كان على رأسهم بهاء الدولة فخلعوه عن الخلافة وسلموها الى القادر بالله وذلك في تاسع عشر من شعبان وارسلوا الطائع الى دار القادر بالله وظل هناك معززاً مكرماً الى وفاته ليلة عيد الفطر سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة هجرية.

انظر: البداية والنهاية ١١/٢٧٦، تاريخ الخلفاء ٦٤٧، الشذرات ٣/١٣٤.

يذكر المؤرخون والفقهاء انها توقفت او عطلها خليفة او حاكم منذ ابتدائها أما في زمن الخليفة الطائع لله الذي ضعفت الخلافة العباسية في زمنه واستولى على مقاليد الحكم فيها البويهيون والعبيديون والقرامطة، فان صلاة التراويح اصابها هي الاخرى ما اصاب غيرها من امور الناس والتشريع، فقد تحكم في التشريع من هو غير اهله من اعداء العرب والمسلمين حتى رأينا المعز بالله العبيدي الذي حكم شمال افريقية يأمر بقطعها وانما تجرأ على فعلته هذه لضعف الخليفة وزوال سلطته، فكان الطائع اول خليفة يحدث هذا الامر في زمانه .

وقد ورد في تاريخ السيوطي الخبر بقطعها، حيث قال في احداث سنة اربع وستين وثلاثمائة هجرية :

وفي هذه السنة وبعدها غلا الرفض وفار بمصر والشام والمشرق والمغرب ونودي بقطع صلاة التراويح من جهة العبيدي[1] .

ولم يأمر المعز العبيدي بذلك الا لأنه تنفذ في ادارة شؤون دولته على هواه بعيداً عن سلطلة الخليفة الطائع وكان قبل هذا قد تجرأ على قطع الخطبة للخليفة في الحرمين الشريفين . .

حيث ذكر السيوطي قائلاً :

. وفي ذي الحجة من سنة ثلاث وستين وثلاثمائة اقيمت الخطبة والدعوة بالحرمين للمعز العبيدي[2] .

هو اول خليفة يامر بالخطبة لولي عهده على المنابـــر

كانت الخطبة على المنابر للخليفة لا لغيره، وهكذا ظلت طيلة الخلافة

---

(١) تاريخ الخلفاء ٦٤٧ .

(٢) تاريخ الخلفاء٦٤٧ .

العباسية، ونظراً لضعف الطائع لله كما اسلفنا، فقد جعل لولي عهده كل فخامة الخلافة وهيبتها ولم يبق له منها الا الاسم فقط.

قال السيوطي:

وفي سنة ثمان وستين وثلاثمائة أمر الطائع بان تضرب الدبادب (الطبول) على عضد الدولة في وقت الصبح والمغرب والعشاء وان يخطب له على منابر الحضرة.

قال ابن الجوزي:

وهذان أمران لم يكونا من قبله ولا أطلقا لولاة العهود وقد كان معز الدولة احب ان تضرب له الدبادب بمدينة السلام فسأل المطيع في ذلك فلم يأذن له وما حظي عضد الدولة بذلك الا لضعف أمر الخليفة [1].

(١) تاريخ الخلفاء ٦٤٩.

القادر بالله(*)

(*) هو احمد بن اسحق بن المقتدر بالله بن احمد المعتضد بالله بن طلحة الموفق بالله بن جعفر المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد العباسي الهاشمي القرشي، كنيته ابو العباس ولقبه القادر بالله أمه أم ولد اسمها تمني وقيل دمنه، ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة هجرية، وكان ابيض كث اللحية طويلها يخضب شيبه، بويع له بالخلافة يوم السبت التاسع عشر من شعبان سنة احدى وثمانين وثلاثمائة هجرية فانشد الشعراء بين يديه مهنئين ومنهم الشاعر المشهور الشريف الرضي، حيث قال:

شرف الخلافة يا بني العباس
اليوم جدده ابو العباس
ذا الطود ابقاه الزمان ذخيرة
من ذلك الجبل العظيم الراسي

وكان القادر من الستر والديانة والسيادة وادامة التهجد بالليل وكثرة البر والصدقات وحسن الطريقة على صفة اشتهرت عنه وعرف بها كل احد مع حسن المذهب وصحة الاعتقاد، تفقه على العلامة ابي بشر الهروي الشافعي ونال قسطاً وافراً من الحديث والفقه والتاريخ، لم يهتم كغيره بملاذ الدنيا وجمع الاموال وانما زهد فيها وقلل منها حتى انه لما مات كان أفقر الخلفاء ولم يخلف مالاً، وبرغم كل هذه السيرة المشرفة للقادر بالله، الا انه لم يستطع اعادة مجد الخلافة الى ما كان عليه ايام اجداده الاول، فقد ظل البويهيون وغيرهم هم اصحاب الشأن والحل والعقد في أمور الدولة، ومما وقع في زمانه ان سنة اربع وثمانين وثلاثمائة هجرية شهدت انقطاع الحجاج من اهل العراق عن اداء فريضة الحج لتنفيذ الاصيفر الاعرابي الذي اعترضهم في الطريق مستغلاً ضعف الخليفة فعادوا دون ان يحجوا وكذلك منع من الحج أهل الشام واليمن ايضاً، ومكث القادر بالله في الخلافة احدى واربعين سنة وثلاثة اشهر ولم يسبقه احد في هذه المدة، وكانت وفاته ليلة الاثنين الحادي عشر من ذي الحجة سنة اربعمائة واثنتين وعشرين هجرية وله من العمر ست وثمانين سنة وعشرة اشهر واحدى عشر يوماً وهو عمر لم يعمره احد من الخلفاء قبله ولا بعده.

انظر: البداية والنهاية ١١/٣٠٨، ١٢/٣١، تاريخ الخلفاء ٦٥٥، شذرات الذهب ٣/٢٢١.

هو اول خليفة يصنف كتابا
في علم الاصول

علم الاصول من العلوم الشرعية التي تبحث في الاحكام الشرعية من حيث ادلتها من الكتاب والسنة النبوية المطهرة، وقد عرفه علماء الاصول ومنهم الامام البيضاوي بقوله: أصول الفقه هو معرفة دلائل الفقه اجمالاً وكيفية الاستفادة منها وحال المستفيد[1].

وهذا العلم هو جوهر العلوم الشرعية للوصول الى الاحكام التكليفية ومعرفة احوال المفتي والمجتهد في التشريع.

وقد ذكر المؤرخون ان الخلفاء كانوا يسمعون من العلماء والفقهاء مما يدونون من علوم ومعارف شتى وربما يحملون الناس على تطبيقها والأخذ بها، الا انهم لم يذكروا عن احد الخلفاء انه الف كتاباً او مؤلفاً في علم ما اللهم الا الخليفة القادربالله لما كان عليه من دراية ودراسة للفقه على يد الفقهاء، فكان القادر بهذا اول من قام بتأليف كتاب في العلوم الشرعية.

قال السيوطي:

قال الخطيب: تفقه على العلامة ابي‌بشر الهروي الشافعي وقد صنف كتاباً في الاصول، ذكر فيه فضائل الصحابة على ترتيب مذهب اصحاب الحديث وأورد في كتابه فضائل عمربن‌عبدالعزيز واكفار المعتزلة والقائلين بخلق القرآن وكان ذلك الكتاب يقرأ في كل جمعة في حلقة اصحاب الحديث بجامع المهدي وبحضرة الناس وترجمة ابن الصلاح في طبقات **الشافعية**[2].

وقال السيوطي ايضاً:

---

(١) مناهج العقول (شرح البدخشي على متن البيضاوي) ١/١٣، أصول الفقه للخضري بك/١٤ وما بعدها.

(٢) تاريخ الخلفاء/٦٥٥.

ورأس الخلفاء القادربالله ، فانه من اعلامهم تفقه وصنف، وناهيك بان الشيخ تقي الدين بن الصلاح عده من الفقهاء الشافعية وأورده في طبقاتهم[1] .

وذكر ابن كثير في هذا الشأن :

وكان الخليفة القادربالله من خيار الخلفاء وسادات العلماء في ذلك الزمان وكان كثير الصدقة حسن الاعتقاد وصنف قصيدة فيها فضائل الصحابة وغير ذلك، فكانت تقرأ في حلق اصحاب الحديث كل جمعة في جامع المهدي وتجتمع الناس لسماعها مدة خلافته[2].

هو اول خليفة تطول مدة خلافته اكثر من غيره من الخلفاء السابقين له

لم يبق خليفة في الخلافة كما بقي الخليفة القادربالله، فمن الخلفاء المشهورين بطول مدد خلافتهم الخليفة الراشد عمربن الخطاب ومعاوية بن ابي سفيان (رضي الله عنهما) والمأمون العباسي الذين حكم كل منهم مدة عشرين سنة وكذلك عبدالملك بن مروان الاموي وهارون الرشيد العباسي اللذين حكم كل منهما مدة احدى وعشرين سنة أما الخليفة القادربالله فقد طالت مدة حكمه احدى واربعين سنة، وهي مدة لم يحكم قدرها احد من الخلفاء قبله، فقد كانت بيعته سنة ثلاثمائة واحدى واربعين للهجرة ووفاته سنة اربعمائة واثنتين وعشرين للهجرة وهي السنة التي تمت فيها بيعة ولده القائم بأمر الله للخلافة، وقد ذكر ذلك ابن كثير في احداث سنة اربعمائة واثنتين وعشرين هجرية قائلاً :

---

(١) تاريخ الخلفاء ١/٦٦٣.

(٢) البداية والنهاية ١١/٣٠٩ .

بويع له بالخلافة لما توفي ابوه في ليلة الاثنين الحادي عشر من ذي الحجة من هذه السنة عن ست وثمانين سنة وعشرة اشهر واحدى عشر يوماً ولم يعمر احد من الخلفاء قبله هذا العمر ولا بعده، مكث من ذلك خليفة احدى واربعين سنة وثلاثة اشهر وهذا ايضاً شيء لم يسبقه اليه احد[1].

(١) البداية والنهاية ١٢/٣١.

القائم بأمر الله(*)

هو اول خليفة يعلق شكواه في الكعبـة المشـرفـة

مما لا شك فيه ان الفترة المتأخرة للدولة العباسية لم تكن مقاليد الحكم فيها بيد الخلفاء وانما كان البويهيون والسلاجقة وغيرهم من الاقوام الاخرى يقومون بالعزل والتولية للامراء والخلفاء وقد استعر ذلك في زمن الخليفة القائم بأمرالله ، ومهما كان من الامر فان احداً من الخلفاء لم يكتب قصته وشكواه وعلقهـا في الكعبة الا الخليفـة القائم بـأمرالله ، وذلـك عند اضـطرام فتنة البساسيري المسمى ارسـلان التركي حيث هجم عـلى بغداد ومعـه الانصار

(*) هـو عبدالله بن احمد القادر بـالله بن اسحق بن المقتدر بن المعتضـد بن الموفق بن المتوكـل بن المعتصم بن الرشيد العباسي الهاشمي القرشي ، لقبه القائم بامر الله وكنيته ابو جعفر ، ولد في يوم الجمعة الثامن عشر من ذي القعدة سنة احدى وتسعين وثلاثمائة هجرية ، أمه أم ولد ارمنية اسمها قطر الندى وقيل بدر الدجى ، كان جميلاً مليح الوجه ابيض مشرباً حمرة حسن الجسم ورعاً ديناً زاهداً عالما قوي اليقين بالله تعالى كثير الصدقة والصبر له عناية بالادب ومعرفة حسنة بالكتابة مؤثراً للعدل والاحسان وقضاء الحوائج لا يرى المنع من شيء طلب منه ، بويع بالخلافة عند وفاة أبيه ابي العباس القادر بالله في ليلة الاثنين الحادي عشر من ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين واربعمائة هجرية وذلك بحضور القضاة والامراء والكبراء ، وكان اول من بايعه المرتضى وانشده ابياتا من الشعر ، ظلت الخلافة في زمن القائم بامر الله على ما عهدته من تدخل البويهيين حيث اشتعلت فتنة ارسلان التركي المعروف بالبساسيري التي أدت الى انتعاش طغرلبك الذي قبض على البـساسيري وقتله وبذلك بدأ تدخل هـو وجماعته في دست الحكم واستولوا على مقاليد الامور ، ومن مآثر القائم بامر الله ان المدرسة النظامية المشهورة بنيت في خلافته وقد مرض الخليفة في اواخر ايامه فبايع حفيده وولي عهده اباالقاسم عبدالله المقتدى بامر الله وكانت وفاته ليلة الخميس الثالث عشر من شعبان سنة اربعمائة وسبع وستين للهجرة وعمره آنذاك اربع وتسعون سنة وثمانية اشهر وثمانية ايام .
انظر : البداية والنهاية ١٢/٣١ ، ١١٠ ، تاريخ الخلفاء ٦٦٤ ، شذرات الذهب ٣/٣٢٦ .

والاعوان فعاث فيها خراباً وقبض على الخليفة القائم بأمر الله في ذي الحجة من سنة اربعمائة وخمسين هجرية وحبسه بعيداً عن مقر خلافته ولولا ظهور القائد طغرلبك لما قضى على البساسيري وفتنته، فقد جهز طغرلبك جيشاً فحارب البساسيري وقتله وحمل رأسه الى بغداد ثم تنفذ في امور الخليفة بدلاً من البساسيري.

وقد روى المؤرخون ان الخليفة القائم بأمر الله حينها سجنه البساسيري فانه كتب قصته وأنفذها الى مكة فعلقت في الكعبة وكان نص هذه القصة كما ذكرها السيوطي:

الى الله العظيم من المسكين عبده اللهم انك العالم بالسرائر المطلع على الضمائر اللهم انك غني بعلمك واطلاعك على خلقك عن اعلامي، هذا عبد قد كفر نعمك وما شكرها والغى العواقب وما ذكرها، اطغاه حلمك حتى تعدى علينا بغياً واساء الينا **عتواً وعدواً** اللهم قل الناصر واعتز الظالم وانت المطلع العالم المنصف الحاكم بك نعتز عليه واليك نهرب من بين يديه، فقد تعزز علينا بالمخلوقين ونحن نعتز بك وقد حاكمناه اليك وتوكلنا في انصافنا منه عليك ورفعنا ظلامتنا هذه الى حرمك ووثقنا في كشفها بكرمك فاحكم بيننا بالحق وانت خير الحاكمين[1].

هو اول خليفة عباسي يزوج ابنته لمملوك من مماليكه

عندما انتصر طغرلبك على البساسيري ارتفع شأنه عند الخليفة القائم بأمر الله وأخذ يصول ويجول في دار الخلافة ومقاليد الحكم رغم كونه مملوكاً من مماليك الخليفة، ووصل الامر الى أبعد من هذا حينها تقدم للزواج من بنت

(١) تاريخ الخلفاء ٦٦٦.

الخليفة وتم له هذا الامر ، وقد سرد ابن كثير قصة ذلك في احداث سنة ثلاث وخمسين واربعمائة للهجرة فقال:

فيها خطب الملك طغرلبك ابنة الخليفة فانزعج الخليفة من ذلك وقال: هذا شيء لم تجر العادة بمثله ثم طلب شيئاً كثيراً كهيئة الفرار من ذلك ما كان لزوجته التي توفيت من الاقطاعات بأرض واسط وثلاثمائة الف دينار وان يقيم الملك ببغداد لا يرحل عنها ولا يوماً واحداً فوقع الاتفاق على بعض ذلك[1] .

وذكر السيوطي هذا الخبر قائلاً:

وفي سنة اربع وخمسين زوج الخليفة ابنته لطغرلبك بعد ان دافع بكل ممكن وانزعج واستعفى ثم لان لذلك برغم منه وهذا أمر لم ينله احد من ملوك بني بويه مع قهرهم الخلفاء وتحكمهم فيهم، قلت: والآن زوج خليفة عصرنا ابنتـه من واحد من ممـاليك السلطان فضـلاً عن السلطان فانـا لله وانا اليـه راجعون، ثم قدم طغرلبك في سنة خمس وخمسين فدخل بابنة الخليفة واعاد المواريث والمكوس وضمن بغداد بمائة وخمسين الف دينار ثم رجع الى الري فمات بها في رمضان[2] .

هو اول خليفة بنيت في عهده
مدرسة للفقهاء في بغداد

وهي المدرسة النظامية المشهورة اول مدرسة بنيت للفقهاء في العراق، فعندما مات طغرلبك كما اسلفنا، اقيم في السلطنة بعده ابن اخيه عضد الدولة الب ارسلان صاحب خراسان وبعث اليه القائم بالخلع والتقليد.

وقال الذهبي :

---

(١) البداية والنهاية ١٢/٨٦.

(٢) تاريخ الخلفاء ٦٦٧.

وهو اول من ذكر بالسلطان على منابر بغداد وبلغ ما لم يبلغه احد من الملوك وافتتح بلاداً كثيرة من بلاد النصارى واستوزر نظام الملك فابطل ما كان عليه الوزير قبله عميد الملك من سب الاشعرية وانتصر للشافعية واكرم امام الحرمين وابا القاسم القشيري وبنى النظامية وقيل: اول مدرسة بنيت للفقهاء[1] .

وذكر ابن كثير ان الشروع ببناء المدرسة النظامية كان في شهر ذي الحجة من سنة سبع وخمسين واربعمائة للهجرة وبداية التدريس فيها في السنة التي تلتها وقال:

قال ابن الجوزي في المنتظم: وفي يوم السبت عاشر ذي القعدة جمع العميد ابو سعد الناس ليحضروا الدرس بالنظامية ببغداد وعين لتدريسها ومشيختها الشيخ اباسحاق الشيرازي فلما تكامل اجتماع الناس اقنع من الحضور ورجع الى بيته فأقيم الشيخ ابونصر الصباغ فدرس، فلما بلغ نظام الملك ذلك تغيظ على العميد وارسل الى الشيخ ابي اسحاق فرده الى التدريس بالنظامية في ذي الحجة من هذه السنة وكان لا يصلي فيها مكتوبة بل كان يخرج الى بعض المساجد فيصلي، وقد كان مدة تدريس ابن الصباغ فيها عشرين يوماً ثم عاد ابو اسحاق اليها[2].

هو اول خليفة عباسي ظهر في زمنه لقب «الاتابك»

ورد في تاريخ السيوطي ما يشير الى معنى هذا اللقب وسببه وانه احدث في زمن الخليفة القائم بأمر الله، حيث قال:

---

(1) تاريخ الخلفاء ٦٦٨.

(2) البداية والنهاية ١٢/٩٥، وفيات الاعيان ٢/١٢٩ .

وفي سنة خمس وستين قتل الب ارسلان وقام في الملك بعده ولده ملكشاه ولقب بلقب (جلال الدولة) ورد تدبير الملك الى نظام الملك ولقبه «الاتابك» وهو اول من لقبه ومعناه الامير الوالد[1] .

هو اول خليفة غرقت في زمنه مدينة بغداد

كانت مدينة بغداد حاضرة العالم في تمدنها وحضارتها منذ انشائها على يد الخليفة ابي جعفر المنصور . . ولما تدهورت امور الخلافة العباسية في عصرها المتأخر وتكالب عليها الغرباء والمعتدون ذهب بهاء بغداد عما كان عليه خصوصاً وقد طرقتها النوائب والاقدار المناخية والبيئية السيئة كالكوارث والآفات ومن ذلك غرقها العظيم الذي لم يحدث لها قبلاً، لذلك فقد ذكر المؤرخون هذا الفيضان الذي اغرقها زمن الخليفة القائم بأمر الله .

قال السيوطي :

وفي سنة ست وستين كان الغرق العظيم ببغداد وزادت دجلة ثلاثين ذراعاً ولم يقع مثل ذلك قط وهلكت الاموال والانفس والدواب وركبت الناس في السفن واقيمت الجمعة في الطيار على وجه الماء مرتين وقام الخليفة يتضرع الى الله وصارت بغداد ملقة واحدة وانهدم مائة الف دار او اكثر[2].

---

(١) تاريخ الخلفاء ٦٧٠.

(٢) تاريخ الخلفاء ٦٧٠.

المقتدى بامر الله(*)

هو اول من اوجد لقب «ظهير الدين»

كثرت الالقاب في العصر العباسي المتأخر وقد بدأ بها الخلفاء وأضفوها على انفسهم كالمعتصم بالله والواثق بالله والمعتمد على الله الى غير هذه الالقاب، وعند ظهور البويهيون والسلاجقة اضفى الخلفاء على الامراء والقواد منهم بعض الالقاب التي يرغبونها كعضد الدولة ومعز الدولة ونظام الملك الى غيرها من الالقاب، اما لقب (ظهير الدين) فهو اول لقب من الالقاب المضافة الى الدين التي لم تظهر الا في زمن الخليفة المقتدى بامر الله .

قال السيوطي :

وفي سنة ست وسبعين رخصت الاسعار بسائر البلاد وارتفع

(*) هو عبدالله بن محمد بن القائم بأمر الله بن القادر بالله بن المقتدر بالله العباسي الهاشمي القرشي، كنيته ابو القاسم ولقبه المقتدي بامر الله ، أمه أم ولد ارمنية اسمها ارجوان ادركت خلافة ولدها وخلافة ولده المستظهر وولد ولده المسترشد ايضاً، مات أبوه في حياة القائم بامر الله بويع له بالخلافة عند موت جده وله تسع عشرة سنة وثلاثة اشهر فظهرت في ايامه خيرات كثيرة وآثار حسنة في البلدان وكانت قواعد الخلافة في أيامه باهرة والقرة الحرمة بخلاف من تقدمه ، ومن محاسنه انه نفى المغنيات والخواطيء عن بغداد وأمر الا يدخل احد الحمام إلا بمئزر وخرب ابراج الحمام صيانة لحرم الناس وقد عمرت في ايامه محال كثيرة في بغداد، وكان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، ولكن مع كل هذه الصفات والسجايا فان أمر الخليفة ظل كحاله بيد السلاجقة الذين تمركزوا في الدولة قبل المقتدى، تولى المقتدى يوم الجمعة رابع عشر المحرم من سنة اربعمائة وسبع وثمانين هجرية وله من العمر ثمان وثلاثون سنة وثمان شهور وتسعة ايام وخلافته دامت تسع عشرة سنة وثمان شهور .

انظر :

البداية والنهاية ١٢/١٤٦، تاريخ الخلفاء ٦٧٣ .

الغلاء، وفيها ولي الخلافة ابا شجاع محمد بن الحسين الوزارة ولقبه (ظهير الدين) وأظن ذلك اول حدوث التلقيب بالاضافة الى الدين[1].

(١) تاريخ الخلفاء ٦٧٤.

المستظهر بالله(*)

هو اول خليفة عباسي يستولي في زمنه الفرنج على بيت المقدس

فتح المسلمون القدس الشريف واستولوا على بيت المقدس في زمن الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنهم) وظلت محفوظة مصانة بيد المسلمين اولى القبلتين وثالث الحرمين يزورها الحجاج المسلمون مع زيارتهم لبيت الله الحرام والمسجد النبوي الشريف ، ولما تداعى أمر الخلافة العباسية في عصرها المتأخر وصارت نهبة بيد كل من

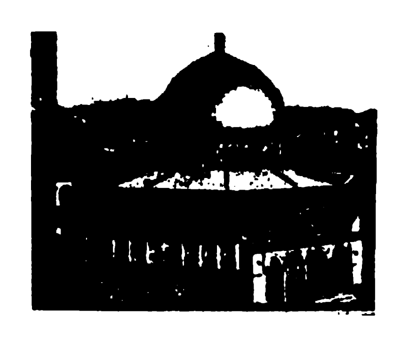
(*) هو احمد بن المقتدى بامر الله بن محمد بن القائم بامر الله العباسي الهاشمي القرشي، ولد في شوال سنة سبعين واربعمائة هجرية وبويع بالخلافة عند موت أبيه يوم الجمعة رابع عشر المحرم من سنة اربعمائة وسبع وثمانين هجرية وله من العمر ست عشرة سنة وشهران وأول من بايعه الوزير ابومنصور بن جهير ثم أخذ لـه البيعة من الملك ركن الدولة بركيارق بن ملكشاه ثم من بقية الامراء والرؤساء ، كان لين الجانب كريم الاخلاق يحب اصطناع الناس ويفعل الخير ويسارع في اعمال البر حسن الخط جيد التوقيعات لا يقاربه فيها أحد يتميز بفضل غزير وعلم واسع، سمحاً جواداً محباً للعلماء والصلحاء ولكن لم تصف له الخلافة بل كانت ايامه مضطربة كثيرة الحروب، وكان الفرنج يغيرون على البلدان والممالك الاسلامية مستغلين ضعف الخلافة آنذاك فاستطاعوا الاستيلاء على بعض الاماكن الاسلامية المقدسة، كما استمر أمر الباطنية واشتدت شوكتهم خاصة في العراق فعاثوا في الارض فساداً، ومما عرف عن المستظهر بالله انه كان حافظاً للقرآن فصيحاً بليغاً شاعراً وله شعر لطيف، وكانت وفاته في السادس عشر من ربيع الآخر وله من العمر احدى واربعون سنة وثلاثة اشهر وأحد عشر يوماً ودامت خلافته خمساً وعشرون سنة، ولما مات تولى غسله ابن عقيل شيخ الحنابلة وصلى عليه ولده ابومنصور الفضل ودفن في حجرة كان يسكنها.

انظر: البداية والنهاية ١٢/١٤٦ ، ١٨٢ ، تاريخ الخلفاء ٦٧٨، شذرات الذهب ٤/٣٣ .

هب ودب من الغرباء والاعداء كان لا بد ان تصاب المآثر الاسلامية المقدسة بغبار الدماء الذي عم ارجاء البلاد الاسلامية وكانت مدينة القدس الشريف وبيتها المقدس من البقاع التي اصابها العبث من ايدي الاعداء وهم الافرنج الذين كانوا ينظرون اليها بعين الحسرة والاسف لانها فقدت من ايديهم وكانوا يتألبون ويحشدون الحشود لأجل اغتصابها من يد المسلمين ، وحينما كانت دولة الاسلام بيد الخلفاء والحكام الغيارى الاشداء الذين دفعوا الغالي والنفيس في سبيل الحفاظ على راية الاسلام خفاقة في الآفاق فان الافرنج لم يستطيعوا التقرب من حمى الديار والممالك الاسلامية ولكن ما ان دب الخور والضعف في نفوس الخلفاء والحكام أواخر الخلافة العباسية وتجرأ الجبناء على اقتحام واختراق الحمى الذي لم يستطع اصحابه الدفاع عنه، فان السيوف الافرنجية المعادية والرماح الشعوبية فوقت فوق رؤوس الناس، فكان ان دارت الدائرة على المسلمين وفقدوا من البقاع المقدسة مدينة بيت المقدس.

وقد نقل السيوطي خبر اشتداد شوكة الافرنج واستلابهم لبيت المقدس، حيث قال في احداث سنة اربعمائة وتسعين هجرية ومابعدها:

وفيها جاءت الفرنج فأخذوا نيقية وهو اول بلد أخذوه ووصلوا الى كفر طاب واستباحوا تلك النواحي فكان هذا اول مظهر الفرنج بالشام، قدموا في بحر القسطنطينية في جمع عظيم وانزعجت الملوك والرعية وعظم الخطب فقيل: ان صاحب مصر لما رأى قوة السلجوقية واستيلائهم على الشام كاتب الفرنج يدعوهم الى المجيء الى الشام ليملكوها وكثر النفير على الفرنج من كل جهة، وفي سنة اثنتين وتسعين أخذت الفرنج بيت المقدس بعد حصار شهر ونصف وقتلوا به اكثر من سبعين الفاً منهم جماعة من العلماء والعباد وهدموا المشاهد وجمعوا اليهود في الكنيسة واحرقوها



مسجد قبة الصخرة في القدس الشريف



عليهم وورد المستنفرون الى بغداد فأوردوا كلاماً ابكى العيون واختلفت السلاطين فتمكنت الفرنج من الشام. فقال الشاعر ابوالمظفر الابيوردي:

مـزجنا دمـاء بالـدموع السـواجم
فلم تبق منـا عـرصـة للمـراحم

وشـر سـلاح المـرء دمـع يفيضـه
اذا الحرب شبت نارها بالصـوارم

فـأيها بني الاسـلام ان وراءكم
وقـائـع يلحقن الـذرى بـالمنـاسم

أنـائمـة في ظـل أمن وغـبـطة
وعـيش كنـوار الخـميـلة نـاعـم

وكيف تنـام العـين مـلء جفـونها
عـلى هبـوات ايقـظت كـل نـائم

واخوانكم بالشام يضحى مقيلهم
ظهور المذاكي او بـطون القشاعم

تسـومهم الـروم الهـوان وانتـم
تجـرون ذيل الخفض فعـل مسـالم

فكم من دماء قد ابيحت ومن دمىً
تـوارىٰ حيـاء حسنهـا بـالمعـاصم

بحيث السيوف البيض محمرة الظبا
وسمـر العـوالي داميـات اللهـازم

يـكـاد لهن المسـتجن بـطيبـة
ينادي باعلى الصوت يـا آل هاشم

أرى امتي لا يشرعون الى العدا رماحهم والدين واهي الدعائم
ويجتنبون النار خوفاً من الردى ولا يحسبون العار ضربة لازم
فليتهم اذ لم يذودوا حمية عن الدين ضنوا غيره بالمحارم
وان زهدوا في الاجر اذ حمى الوغى فهلا اتوه رغبة في الغنائم

وكان استيلاء الفرنج على بيت المقدس ضحى يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان من السنة المذكورة[1].

هو اول خليفة ينقل في زمانه المصحف العثماني من مدينة طبرية

كان مصحف الحافظ عثمان قد حفظت نسخته في مدينة طبرية داخل فلسطين من بلاد الشام، فلما استولى الفرنج على بيت المقدس واشتد خوف الناس منهم خيف كذلك على المصحف الشريف من ان تناله يد الاعداء فصمم العلماء والغيارى على نقله الى مكان أمين بعيد عن ايدي اعدائه . .

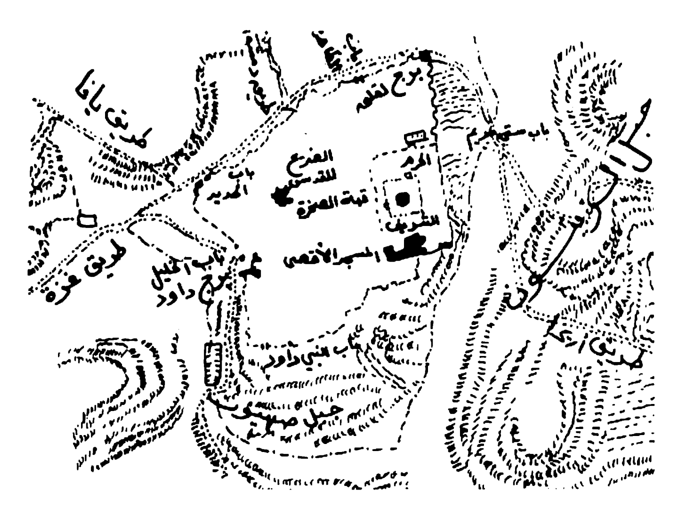
وقد روى السيوطي ذلك فقال في احداث سنة اثنتين وتسعين واربعمائة هجرية :

وفيها نقل المصحف العثماني من طبرية الى دمشق خوفاً عليه وخرج الناس لتلقيه فآووه في خزانة بمقصورة الجامع[2] .

---

(١) تاريخ الخلفاء ٦٧٩.

(٢) نفس المصدر ٦٨١.



خريطة توضيحية لبيت المقدس زمن الاحتلال الصليبي



المسترشـد باللـه(*)

هو اول خليفة فاق حسن خطه

من سبقه من الخلفاء

عرف عن الخليفة المسترشد بالله الخط الحسن في صورته واملائه عن بقية الخلفاء الذين سبقوه، فكان بهذه الميزة اول خليفة يتصف بانه أجود الخلفاء خطاً وكتابةً .

(*) وهو الفضل بن المستظهر بالله بن المقتدي بالله بن محمد ابن القائم بامر الله بن المقتدر العباسي الهاشمي القرشي، كنيته ابو منصور ولقبه المسترشد بالله ، أمه أم ولد تركية الاصل ولد يوم الاربعاء ثامن عشر من شعبان سنة ست وثمانين واربعمائة هجرية على ما قاله ابن السبكي في طبقات الشافعية، بويع له بالخلافة عند موت أبيه في ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وخمسمائة، وكان ذا همة عالية وشهامة زائدة واقدام ورأي وهيبة شديدة ضبط امور الخلافة ورتبها أحسن ترتيب ، وشيد اركان الشريعة وطرز اكمامها وباشر الحروب بنفسه، وسمع الحديث من علمائه، ورواه عنهم، قال فيه ابن السبكي: كان في اول أمره تنسك ولبس الصوف وانفرد في بيت للعبادة وخطب له أبوه بولاية العهد ونقش اسمه على السكة في شهر ربيع الاول سنة ثمان وثمانين، وكان مليح الخط . وأما شهامته وهيبته وشجاعته واقدامه فأمر اشهر من الشمس ولم تزل ايامه مكدرة بكثرة التشويش والمخالفين وكان يخرج بنفسه لدفع ذلك وعندما مات السلطان محمود بن محمد ملكشاه سنة خمس وعشرين وخمسمائة انفرد أخوه مسعود بن محمد بالسلطنة على بغداد وهجم على المسترشد بالله وأسره وحبسه هو وخواصه بقلعة قرب همذان فانتصر أهل بغداد للخليفة واضربوا عن الصلوات وعطلوا شؤون حياتهم وصادف ان نزلت بعض الآفات السماوية وقتذاك فارسل السلطان سنجر الى ابن اخيه مسعود يحذره غضب الله تعالى لحبسه خليفة المسلمين وأمره باطلاق سراحه فوراً وتقبيل الارض بين يديه فامتثل مسعود لذلك واعيد الخليفة معززاً مكرماً الى مقره وعاش الى سنة تسع وعشرين وخمسمائة حيث قتل على يد ادعياء الباطنية يوم الخميس سادس عشر ذي القعدة وله من العمر خمس واربعون سنة .

انظر : البداية والنهاية ١٢ /١٨٢ ، ٢٠٧ ، تاريخ الخلفاء ٦٨٧ ، شذرات الذهب ٤ /٨٦ .

أورد السيوطي ذلك قائلاً :

وكان مليح الخط ، ما كتب احد من الخلفاء قبله مثله ، يستدرك على كتابه ويصلح اغاليط في كتبهم[1] .

وقال ابن كثير:

وقد كان المسترشد شجاعاً مقداماً بعيد الهمة فصيحاً بليغاً عذب الكلام حسن الايراد مليح الخط كثير العبادة محبباً الى العامة والخاصة[2] .

هو اول خليفة عباسي
يقتل بيد الفرقة الباطنية

الباطنية فرقة أسسها الحسن بن علي الصباح الحميري المولود في حدود سنة اربعمائة وثلاثين هجرية بمدينة طوس في خراسان ، وقد درس هذا الرجل العلوم السحرية والنجوم والفلسفات وشق طريقه لدى دهماء الناس الذين آمنوا بدعوته لسذاجته عقولهم وبساطتهم واستطاع ان يبني له كتاباً دموياً قائماً على الكتمان والسرية له ولاتباعه ، ومن مقررات هذه الفرقة الخبيثة ان للقرآن وكذلك الشريعة ظاهراً وباطناً والباطن هو الاصل الصحيح الذي يجب اتباعه وهو غير معروف الا من قبل رئيس هذه الفرقة واتباعه . . اما الظاهر فلا أصل له ويجب اطراحه جانباً والأخذ بالباطن[3] .

وقد اشتد أمر هذه الدعوة في منطق القول وتعداه الى الفعل بحيث أخذ انصارها يقومون بالقمع والاضطهاد لكل من يناوئهم ولا يؤمن

---

(١) تاريخ الخلفاء ٦٨٨ .

(٢) البداية والنهاية ١٢/ ٢٠٨ .

(٣) الملل والنحل/ بهامش الفصل في الملل والاهواء والنحل ٢ / ٢٩ ، تراجم اسلامية ٣٨ .

بدعوتهم فعاثوا فساداً في الارض ولقي الناس منهم الويل والثبور لانهم كانوا لا يتورعون عن سفك دماء من لا يدخل في دعوتهم ويعتبرونه مارقاً عن الدين وانهم هم وحدهم الذين يمثلون الاسلام القويم.

وقد تفاقم شرهم منذ زمن الخليفة المستظهر بالله العباسي لضعف الخلافة آنذاك فارتكبوا الموبقات والفواحش التي يندى لها الجبين الانساني الشريف.

وذكر السيوطي اخبارهم في تاريخه قائلاً:

وفي سنة اثنتين وتسعين انتشرت دعوة الباطنية في اصبهان، وفي سنة اربع وتسعين كثر أمر الباطنية بالعراق وقتلهم الناس واشتد الخطب بهم حتى كان الامراء يلبسون الدروع تحت ثيابهم، وفي سنة اثنتين وخمسمائة عادت الباطنية فدخلوا شيزر على حين غفلة من اهلها فملكوها وملكوا القلعة واغلقوا الابواب وكان صاحبها خرج يتنزه فعاد وابادهم في الحال وقتل فيها شيخ الشافعية الروياني صاحب البحر وقد قتله الباطنية في بغداد[1].

ان كل هذه الاحداث جرت على يد الباطنية في زمن المستظهر بالله فلما جاء زمن الخليفة المسترشد بالله فعلوا ما هو انكى واشنع اذ قتلوا الخليفة نفسه فكان اول خليفة يقتل بأيدي اتباع هذه الفرقة، وقد روى السيوطي ذلك عند حديثه عن حادثة اعتقال وسجن الخليفة من قبل مسعود بن محمد ملكشاه الذي راسله عمه السلطان سنجر وأمره باطلاق سراح الخليفة واعادته الى موطنه مكرماً.

قال السيوطي يروي حادثة مقتل الخليفة المسترشد على يد الباطنية:

---

(١) تاريخ الخلفاء ٦٧٩، ٦٨١، ٦٨٣.

ثم ارسل السلطان سنجر رسولاً آخر ومعه عسكر يستحث مسعوداً على اعادة الخليفة الى مقر عزه فجاء في العسكر سبعة عشر من الباطنية فذكر ان مسعوداً ما علم بهم وقيل: بل علم بهم وقيل بل هو الذي دسهم فهجموا على الخليفة في خيمته ففتكوا به وقتلوا مع جماعة من اصحابه فلما شعر بهم العسكر الا وقد فرغوا من شغلهم فاخذوهم وقتلوهم الى لعنة الله ، وجلس السلطان للعزاء واظهر المساءة بذلك ووقع النحيب والبكاء وجاء الخبر الى بغداد فاشتد ذلك على الناس وخرجوا حفاة مخرقين الثياب والنساء ناشرات الشعور يلطمن ويقلن المراثي لأن المسترشد كان محبباً فيهم ببره ولما فيه من الشجاعة والعدل والرفق بهم، وكان قتل المسترشد رحمه الله بمراغة يوم الخميس سادس عشر ذي القعدة سنة تسع وعشرين.

ومن شعره لما أسر:

ولا عجباً للاسد ان ظفرت بها
كلاب الاعادي من فصيح واعجم

فحربة وحشي سقت حمزة الردى
وموت علي من حسام ابن ملجم

وله لما كسر وأشير عليه بالهزيمة فلم يفعل وثبت:

قالوا: تقيم وقد احا — ط بك العدو ولا تفر
فاجبتهم: المرء ما — لم يتعظ بالوعظ غر
لا نلت خيراً ما حييـ — ـت ولا عداني الدهر شر
ان كنت اعلم ان غيـ — ـر الله ينفع او يضر[1]

(١) تاريخ الخلفاء ٦٨٩.

المقتفي لامر الله(*)

هو اول خليفة يتخذ تابوتاً من العقيق

لم يعهد التاريخ في أحد الخلفاء الراشدين او الامويين او العباسيين انه اتخذ تابوتاً من الاحجار الكريمة ليدفن فيه، وانما كانوا يتخذونه من الخشب مع اختلاف في نوعيته وهذا ما اثبتته التنقيبات الآثارية في قبور الخلفاء، وقد اعتبر المقتفي لامر الله اول خليفة يحيد عن الخشب ليتخذ له تابوتاً من العقيق.

(*) هو محمد بن المستظهر بالله بن المقتدى بالله بن محمد بن القائم بامر الله بن المقتدر بالله العباسي الهاشمي القرشي، كنيته ابو عبدالله ولقبه المقتفي لأمر الله وسبب تلقيبه به انه رأى في منامه قبل ان يستخلف بستة ايام رسول الله (ﷺ) وهو يقول له: سيصل الامر اليك فاقتف لأمر الله، أمه حبشية صفراء اسمها نسيم ويقال لها دست السادة، كان آدم اللون، بوجهه أثر جدري مليح الشيبة عظيم الهيبة، بويع بالخلافة بعد خلع الراشد بيومين وله من العمر اربعون سنة وخطب له على المنابر يوم الجمعة لعشرين من ذي القعدة، وكان المقتفي من سروات الخلفاء عالماً اديباً شجاعاً حليماً دمث الاخلاق كامل السؤدد خليقاً للامامة قليل المثل في الائمة ولا يجري في دولته أمر وان صغر الا بتوقيعه، وكانت أيامه نضرة بالعدل زاهرة بفعل الخيرات وكان على قدم من العبادة قبل افضاء الامر اليه، وكان في اول أمره متشاغلاً بالدين ونسخ العلوم وقراءة القرآن ولم يرمع سماحته ولين جانبه ورأفته بعد المعتصم خليفة في شهامته ومصرامته وشجاعته مع ما خص به من زهده وورعه وعبادته ولم تزل جيوشه منصورة حيث يممت، وفي أيامه عادت بغداد والعراق الى يد الخلفاء ولم يبق له منازع وقبل ذلك من دولة المقتدر الى وقته كان الحكم للمتغلبين من الملوك وليس للخليفة معهم الا الاسم، سمع المقتدى الحديث من ابي القاسم بن بيان وروى عنه ابو منصور الجواليقي والوزير ابن هبيرة، وجدد المقتفي باباً للكعبة المشرفة تعظيماً لحرمتها، كانت وفاته ليلة الاحد ثاني ربيع الاول سنة خمسمائة وخمس وخمسين هجرية عن ست وستين سنة ودفن بدار الخلافة.

انظر: البداية والنهاية ١٢/ ٢١٠، ٢٤١، تاريخ الخلفاء ٦٩٦، شذرات الذهب ٤/ ١٧٢.

جاء في تاريخ السيوطي :
وقد جدد المقتفي باباً للكعبة واتخذ من العقيق تابوتاً لدفنه وكان محمود السيرة مشكور الدولة يرجع الى دين وعقل وفضل ورأي بسياسة[1] .

هو اول خليفة لم يظهر في زمنه هلال الفطر

من الشائع المألوف في الفلك ولدى الناس ان شهر رمضان تسع وعشرون يوماً فان لم يظهر هلال الفطر أتم الناس عدة الشهر وصاموا اليوم الثلاثين من الشهر، وعند ذاك يظهر هلال شوال وقت غروب الشمس من اليوم الثلاثين لأن الشهر انقضت عدته، لكن الذي حدث في زمن الخليفة المقتفي ان الناس اتموا صيام شهر رمضان ثلاثين يوماً ولم يظهر هلال الفطر رغم صحو الجو ونقائه من الغيوم، وهذا ما لم يحدث من قبل .

وقد وردت هذه الظاهرة في تاريخ السيوطي اذ قال في احداث سنة احدى وثلاثين وخمسمائة هجرية :

وفي هذه السنة رقب الهلال ليلة الثلاثين من شهر رمضان فلم ير، فاصبح أهل بغداد صائمين لتمام العدة فلما أمسوا راقبوا الهلال فما رأوه ايضاً وكانت السماء جلية صاحية ومثل هذا لم يسمع بمثله في التواريخ[2] .

وقد ذكر ابن كثير هذا الخبر في احداث السنة المذكورة فقال :

وفيها صام أهل بغداد رمضان ثلاثين يوماً ولم يروا الهلال ليلة احدى وثلاثين مع كون السماء صاحية .

قال ابن الجوزي : وهذا شيء لم يقع مثله[3] .

---

(١) تاريخ الخلفاء ٧٠١ .

(٢) تاريخ الخلفاء ٦٩٧ .

(٣) البداية والنهاية ١٢ / ٢١١ .

المستضيء بامر الله(*)

هو اول خليفة تعود الخطب له ولبني العباس بعد انقطاع طويل

دامت خلافة العباسيين حصينة قوية الشكيمة منذ بدايتها على يد الخليفة ابي العباس السفاح وظلت هكذا على يد الخلفاء الذين خلفوه الى ان حصل تدخل العناصر الغريبة والمماليك في امور الخلافة والحكم، فاضمحل شأن الخلفاء واهملت ذكراهم على المنابر عند الخطب ونودي باسماء البويهيين وغيرهم، وكان ابتداء هذا الاختلال بعد خلافة المتوكل

(*) هو الحسن بن المستنجد بالله بن المقتفي لامر الله بن المستظهر بالله بن المقتدى بن محمد بن القائم بن المقتدر العباسي الهاشمي القرشي، كنيته ابو محمد ولقبه المستضيء بامر الله، أمه أم ولد ارمنية اسمها غضة وقيل عصمت، ولد في شعبان سنة ست وثلاثين وخمسمائة، بويع بالخلافة يوم مات ابوه بكرة الاحد تاسع ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة هجرية وبايعه الناس ولم يل الخلافة احد اسمه الحسن بعد الحسن بن علي رضي الله عنهما غير هذا الخليفة، وكان يوم بيعته يوماً مشهوداً حيث نثر الذهب فيه على الخطباء والمؤذنين ومن حضر ذلك عند ذكر اسمه على المنبر، وفي خلافته نادى برفع المكوس ورد المظالم واظهر من العدل والكرم ما لم يره الناس في زمانهم من غيره وفرق مالاً عظيماً على الهاشميين والعلويين والعلماء والمدارس والربط، وكان دائم البذل للمال ليس له عنده وقع، وكان ذا حلم وأناة ورأفة، وفي خلافته انقضت دولة بني عبيد وخطب له بمصر وضربت السكة باسمه وضعف الرفض ببغداد وأمن الناس ودانت الملوك والسلاطين بطاعته وفي مدة خلافته اشتدت شوكة الزنكيين على يد نور الدين الزنكي والايوبيين على يد صلاح الدين الايوبي الذين كان لهم شأن عظيم في الحفاظ على مآثر الخلافة والدفاع عنها بوجه الصليبيين، دامت خلافة المستضيء بامر الله الى سنة خمسمائة وخمس وسبعين هجرية حيث توفي عند سلخ شوال وله من العمر تسع وثلاثون سنة وكانت مدة خلافته تسع سنين وثلاثة اشهر وسبعة عشر يوماً.

انظر: البداية والنهاية ١٢/٢٩٢، تاريخ الخلفاء ٧٠٧، شذرات الذهب ٤/٢٥٠.

على الله وظل الامر على هذا المنوال الى خلافة المستضيء بامر الله ، فانه عندما تولى الخلافة تمكن من الامور وسادت له البلدان وخطب له على المنابر واعيدت للخلافة مظاهرها التي فقدتها مايقرب من قرنين.

وقد اورد السيوطي في تاريخه ما يشير الى هذه الحقيقة فقال: قال ابن الجوزي :

وفي خلافته انقضت دولة بني عبيد وخطب له بمصر وضربت السكة باسمه وجاء البشير بذلك فعلقت الاسواق ببغداد وعملت القباب وصنفت كتاباً سميته (النصر على مصر).

وقال الذهبي :

في أيامه ضعف الرفض ببغداد ووهىٰ وأمن الناس ورزق سعادة عظيمة في خلافته، وخطب له باليمن وبرقة وتوزين ومصر الى اسوان ودانت الملوك بطاعته وذلك سنة سبع وستين .

وقال العماد الكاتب:

استفتح السلطان صلاح الدين بن ايوب سنة سبع بجامع مصر كل طاعة وسمع وهو اقامة الخطبة في الجمعة الاولى منها بمصر لبني العباس وعفت البدعة وصفت الشرعة واقيمت الخطبة العباسية في الجمعة الثانية بالقاهرة . . وقال العماد الكاتب في موضع آخر يصف احوال البلاد الاسلامية آنذاك: لم يبق بتلك البلاد منبر الا وقد اقيمت عليه الخطبة لمولانا الامام المستضيء بامر الله وتمهدت جوامع الجمع وتهدمت صوامع البدع وطالما مرت عليها الحقب الخوالي وبقيت مائتان وثمان سنين ممنوة بدعوة المبطلين مملوءة بحزب الشياطين فملكنا الله تلك البلاد ومكن لنا في الارض واقدرنا على ما كنا نؤمله من ازالة الالحاد والرفض وتقدمنا الى من إستنبناه ان يقيم الدعوة العباسية هنالك ويورد الادعياء ودعاة الالحاد بها



صورة البطل العربي المسلم صلاح الدين الايوبي
كما تخيلها أحد الرسامين



المهالك[1].

وقد ذكر ابن الاثير الجزري سبب ذلك فقال:

السبب في اقامة الخطبة العباسية بمصر ان صلاح الدين يوسف ابن ايوب لما ثبت قدمه وضعف أمر العاضد كتب اليه نور الدين محمود بن زنكي بأمره بذلك فاعتذر بالخوف من وثوب المصريين فلم يصغ الى قوله وأرسل اليه يلزمه بذلك واتفق ان العاضد مرض فاستشار صلاح الدين امرائه فمنهم من وافق ومنهم من خالف وكان قد دخل مصر رجل يعرف بالامير العالم فلما رأى ما هم فيه من الاحجام قال: انا ابتدئ بها فلما كان اول جمعة من المحرم صعد المنبر قبل الخطيب ودعا للمستضيء فلم ينكر ذلك احد فلما كان الجمعة الثانية أمر صلاح الدين الخطباء بقطع خطبة العاضد ففعل ذلك ولم ينتطح فيها عنزان والعاضد شديد المرض فتوفي في يوم عاشوراء[2].

هو اول خليفة بني في عهده السور الاعظم المحيط بالقاهرة

منذ افتتاح مصر من قبل المسلمين والروم عيونهم مفتوحة عليها وعلى غيرها من البلدان التي انضمت تحت ظل الراية العربية الاسلامية وعندما انشأت مدينة القاهرة خيف عليها من تسلل الاعداء ولذلك فقد بني لها في عهد المستضيء السور الكبير المحيط بها.

قال السيوطي:

وفي سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة أمر صلاح الدين ببناء السور

(١) تاريخ الخلفاء ٧٠٨.

(٢) الكامل في التاريخ ١١٢/٩.

الاعـظم المحيط بمصر والقـاهرة وجعـل على بنـائـه الامـير بهـاء الـدين قراقوش. .

قال ابن الاثير: دوره تسعـة وعشرون الف ذراع وثلثمـائة ذراع بالهاشمي[1] .

هو اول خليفة تبنى في عهده قلعة جبل المقطم

من الجبال الشاهقة الواسعة التي تحيط بمدينة القاهرة جبل المقطم الذي يعتبر بحق قلعة حصينة لمدينة القاهرة من الاعداء، وقد فطن الى هذا القائد صلاح الدين الذي قام بانشاء قلعة ضخمة على هـذا الجبل لأجل صد هجمات الغزاة والمعتدين، وكان انشاء هذه القلعـة في زمن الخليفة المستضيء.

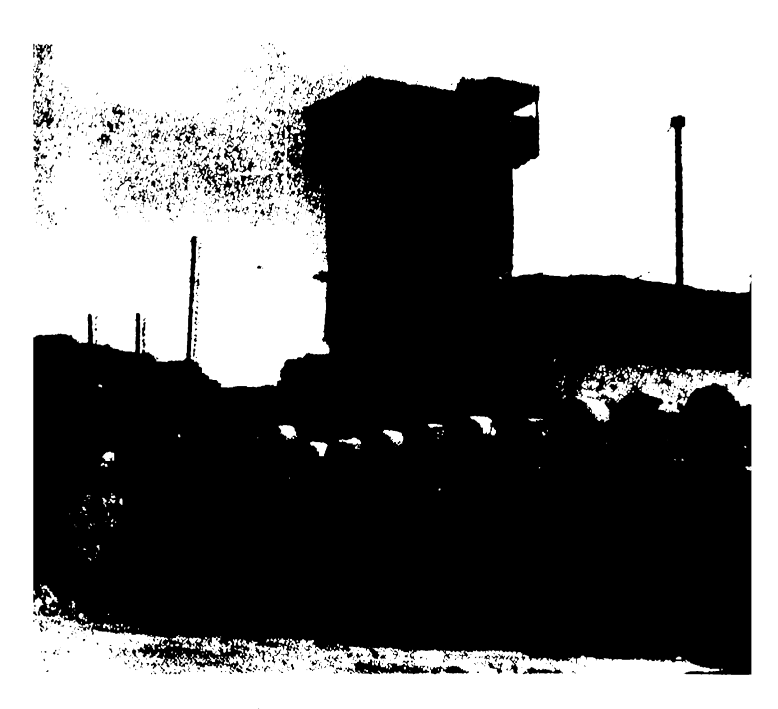
قال السيوطي في تاريخه:

وفيها أمر بانشاء قلعة بجبل المقطم وهي التي صارت دار السلطنة ولم تتم الا في ايام السلطان الملك الكامل ابن اخي صلاح الدين وهو اول من سكنها[2].

---

(١) تاريخ الخلفاء ٧١١.

(٢) نفس المصدر ٧١١.



سور القاهرة المبني ايام المستضيء بالله
أظهرته التنقيبات الاثرية رغم مرور السنين



الناصـــر لدين اللـــه(*)

هو اول خليفة عباسي كسى الكعبة المشرفة بالديباج الاخضر

(*) هو احمد بن المستضيء بامر الله بن المستنجد بن المقتفي بن المستظهر بن المقتدى بن محمد بن القائم بن المقتدر بالله العباسي الهاشمي القرشي ، كنيته ابو العباس ولقبه الناصر لدين الله ، أمه أم ولد تركية اسمها زمرد، ولد يوم الاثنين عاشر رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة هجرية، وبويع له عند موت أبيه المستضيء بامر الله في مستهل ذي القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة هجرية، وكان ابيض تركي الوجه اقنى الانف خفيف العارضين، وقد تولى عقد البيعة له ذو الرياستين مجد الدين ابو الفضل فخطب له على المنابر بمدينة السلام بغداد ونثرت الدنانير في الجوامع وقيل الشعر في ذلك، عاش الناصر لدين الله مدة خلافته في عز وجلال وقمع للاعداء واستظهار على الملوك ولم يجد ضيماً ولا خرج عليه خارجي الا قمعه ولا مخالف الا دفعه وكل من اضمر له سوءاً رماه الله بالخذلان، فكان شديد الاهتمام بمصالح الملك لا يخفى عليه شيء من احوال رعيته كبارهم وصغارهم واصحاب اخباره في اقطار البلاد يوصلون اليه احوال الملوك الظاهرة والباطنة وكانت له حيل لطيفة ومكائد خامضة وخدع لا يفطن لها احد يوقع الصداقة بين ملوك متعادين وهم لا يشعرون ويوقع العداوة بين ملوك متفقين وهم لا يفطنون، وكان اذا اطعم اشبع واذا ضرب اوجع وله مواطن يعطي فيها عطاء من لا يخاف الفقر، وقد ملأ القلوب هيبة وخيفة، فكان يرهبه أهل الهند ومصر كما يرهبه أهل بغداد فاحيا بهيبته الخلافة وكانت قد ماتت بموت المعتصم ثم ماتت بموته وكان الملوك والاكابر بمصر والشام اذا جرى ذكره في خلواتهم خفضوا اصواتهم هيبة واجلالاً . . وبذلك دانت له السلاطين ودخل في طاعته من كان من المخالفين وذلت له العتاة والطغاة وانقهرت بسيفه الجبابرة واندحض اعداؤه وكثر انصاره وفتح البلاد العديدة وملك من الممالك ما لم يملكه احد من خلفاء عصره وخطب له ببلاد الاندلس وبلاد الصين وفي آخر ليلة من شهر رمضان عام ستمائة واثنين وعشرين للهجرة توفي الخليفة الناصر لدين الله بعد خلافة دامت ستاً واربعين سنة وله من العمر سبعون سنة.

انظر: الكامل ٩/٣٦٠، شذرات الذهب ٥/٩٧، مضمار الحقائق ٤، تاريخ الخلفاء ٧١٣.

كان الخلفاء في كافة العصور يجزلون الصرف والنفقة على الكعبة المشرفة اجلالاً وتعظيماً لها وقد كسيت بانواع الديباج الابيض من قبل الخلفاء العباسيين السابقين، فلما تولى الناصرلدين الله الخلافة غير الكسوة من الديباج الابيض الى الديباج الاخضر.

قال السيوطي في تاريخه:

وكانت الكعبة تكسى الديباج الابيض من ايام المأمون الى الآن فكساها الناصر ديباجاً أخضر ثم كساها ديباجاً اسود فاستمرت الى الآن[1].

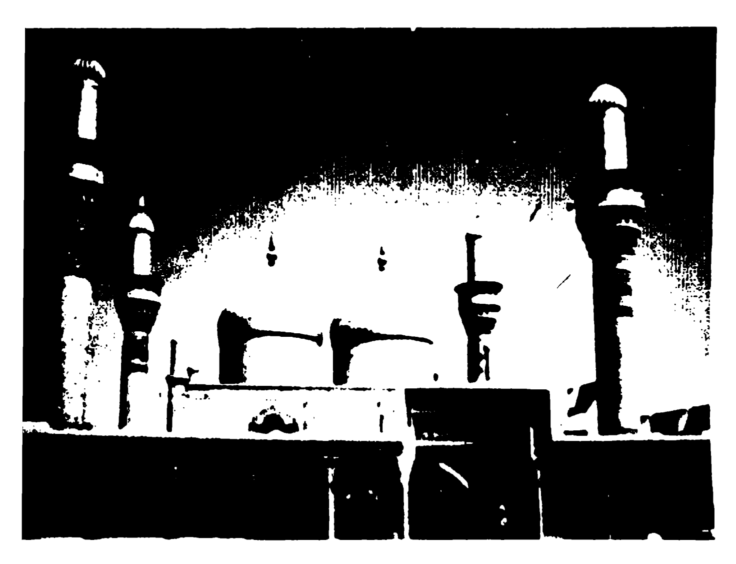
هو اول خليفة عباسي تخدمه الجن

من الامور التي عرفت عن الخليفة الناصرلدين الله انه كان يتكهن ببعض الحوادث التي تحدث في عصره لبعض الاشخاص مما جعل الناس ينظرون اليه نظر الشخص الذي يتنبأ، وكما هو معلوم ان مثل هذا الانسان يرهبه الناس، بل يحوكون حوله الاساطير ويسطرون له بعض المآثر التي ربما ليست له، وكل هذا لأن الناس يميلون الى رصد الغيبيات واستكناه المجهول، وقد ذكر المؤرخون ما يشير الى هذه الحقيقة لدى الخليفة الناصرلدين الله.

قال السيوطي في تاريخه:

قال الذهبي: وكانت له حيل لطيفة ومكائد غامضة وخدع لا يفطن لها احد، يوقع الصداقة بين ملوك متفقين وهم لا يفطنون، ولما دخل رسول صاحب مازندران بغداد كانت تأتيه ورقة كل صباح بما عمل في الليل فصار يبالغ في التكتم والورقة تأتيه بذلك فاختلى ليلة بأمرأة دخلت

(١) تاريخ الخلفاء ٧٢٥.



مشهد الامام موسى الكاظم في بغداد



من باب السر فصبحته الورقة بذلك وفيها: (كان عليكم دواج فيها صورة الفيلة)، فتحير وخرج من بغداد وهو لا يشك ان الخليفة يعلم الغيب.

وأتى رسول خوارزم شاه برسالة مخفية وكتاب مختوم فقيل له: ارجع فقد عرفنا ما جئت به فرجع وهو يظن انهم يعلمون الغيب.

ولأجل هذا وغيره فقد تصور الناس ان القوة الخارقة للخليفة الناصر في معرفته وعلم ما هو مغيب عنه انما كان بواسطة قوى أخر سخرت له، حتى قال الذهبي فيه: قيل ان الناصر كان مخدوماً من الجن[1].

هو اول خليفة يجعل مشهد الامام موسى الكاظم ملاذاً للناس

من المعروف والمقرر في الشريعة الاسلامية ان بيت الله الحرام في مكة المكرمة هو المأمن والملاذ وهو الحرم الآمن لمن دخله، وجرى على هذا الخلفاء والناس ولم يكن له بيت يضاهيه في حرمته وقدسيته.. ويبدو ان الخليفة الناصر عند توليه الخلافة اراد اضفاء الهيبة والجلال على بعض المراقد والاضرحة الخاصة بالائمة الاعلام من امتنا ولم يكن قصده - والله اعلم - مساواة تلك المراقد والاضرحة ببيت الله الحرام وهو ما نميل اليه ونرجحه لأن هذا لا يصدقه انسان مهما كانت قيمة الراقد في الضريح، وعليه فان الخليفة الناصر جعل مشهد الامام موسى الكاظم رحمه الله آمناً للناس من باب القدسية والاجلال والاحترام وقد نقل التاريخ هذا العمل للخليفة الناصر، فقد جاء في تاريخ الخلفاء:

وفي سنة ثمانية وخمسمائة للهجرة جعل الخليفة مشهد موسى الكاظم آمناً لمن لاذ به فالتجأ اليه خلق وحصل بذلك مفاسد[2].

---

(١) تاريخ الخلفاء ٧١٣.

(٢) تاريخ الخلفاء ٧١٩.

المستنصر بالله (*)

هو اول خليفة عباسي يبني مدرسة علمية على المذاهب الاربعة

وهي المدرسة المستنصرية، وقد ذكر المؤرخون تفصيل بنائها واحوالها آنذاك.

قال السيوطي في تاريخه:

قال ابن واصل: بنى المستنصر على دجلة من الجانب الشرقي مدرسة ما بني على وجه الارض احسن منها ولا اكثر منها وقوفاً وهي باربعة مدرسين على المذاهب الاربعة وعمل فيها مارستاناً ورتب فيه مطبخاً

(*) هو منصور بن محمد الظاهر بامر الله بن احمد الناصر لدين الله ابن المستضيء بامر الله بن المستنجد بن المقتفي بن المستظهر ابن المقتدى بن محمد بن القائم بن المقتدر بالله العباسي الهاشمي القرشي، لقبه المستنصر بالله، وكنيته ابوجعفر، أمه جارية تركية، ولد في شهر صفر سنة ثمان وثمانين وخمسمائة هجرية، وبويع بالخلافة بعد موت أبيه في رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة هجرية، وكان اشقر ضخماً قصيراً وخطه الشيب فخضب بالحناء ثم تركه، وقد نشر المستنصر بالله العدل في الرعايا وبنى المساجد والربط والمدارس والمارستانات وأقام منار الدين وقمع المتمردة ونشر السنن وكف الفتن وحمل الناس على أقوم سنن وقام بأمر الجهاد احسن قيام وجمع الجيوش لنصر الاسلام وحفظ الثغور وافتتح الحصون، وكان جده الناصر لدين الله يقربه ويسميه القاضي لهداه وعقله وانكاره ما يجده من المنكر، وقال فيه الحافظ المنذري: كان المستنصر راغباً في فعل الخير مجتهداً في تكثير البر وله في ذلك آثار جميلة وأنشأ المدرسة المستنصرية ورتب فيها الرواتب الحسنة لأهل العلم، وقد ضرب المستنصر في زمانه الدراهم الفضية وجعلها بدلاً عن قراضة الذهب فدعا له الناس بذلك، وفي زمانه ايضاً بنيت المدرسة الصالحية التي بين القصرين في مصر، وكذلك بنيت دار الحديث بالاشرفية في بلاد الشام، وكانت وفاة المستنصر بكرة الجمعة عاشر جمادى الآخرة سنة اربعين وستمائة للهجرة.

انظر: تاريخ الخلفاء ٦٣١، شذرات الذهب ٥/٢٠٧.



الجامعة المستنصرية التي شيدها الخليفة العباسي المستنصر بالله



للفقهاء ومزملة للماء البارد ورتب لبيوت الفقهاء الحصر والبسط والزيت والورق والحبر وغير ذلك وللفقيه بعد ذلك في الشهر ديناراً، ورتب لهم حماماً وهو أمر لم يسبق الى مثله واستخدم عساكر عظيمة لم يستخدم مثلها أبوه ولا جده وكان ذا همة عالية وشجاعة واقدام عظيم وقصدت التتار البلد فلقيهم عسكره فهزموا التتار هزيمة عظيمة وكان له أخ يقال له الخفاجي فيه شهامة زائدة، وكان يقول لئن وليت لأعبرن بالعسكر نهر جيحون وآخذ البلاد من ايدي التتار واستأصلهم، فلما مات المستنصر لم ير الدويدار ولا الشرابي تقليد الخفاجي خوفاً منه، وأقاما ابنه احمد للينه وضعف رأيه ليكون لهما الأمر ليقضي الله امراً كان مفعولا من هلاك المسلمين في مدته وتغلب التتار.

وفي شأن بناء المدرسة المستنصرية قال الذهبي:

وقد بلغ ارتفاع وقوف المستنصرية في العام نيفاً وسبعين الف مثقال وكان ابتداء عمارتها في سنة خمس وعشرين وستمائة هجرية وتمت في سنة احدى وثلاثين، ونقل اليها الكتب وهي مائة وستون حملاً من الكتب النفيسة وعدد فقهائها مائتان وثمانية واربعون فقيهاً من المذاهب الاربعة وأربعة مدرسين وشيخ حديث وشيخ نحو وشيخ طب وشيخ فرائض، ورتب فيها الخبز والطبيخ والحلاوة والفاكهة وجعل فيها ثلاثين يتيماً ووقف عليها ما لا يعبر عنه كثرة.

ثم سرد الذهبي القرى والرباع الموقوفة عليها وقال: وفتحت يوم الخميس في رجب وحضر القضاة والمدرسون والاعيان وسائر الدولة وكان يوماً مشهوداً[1]..

---

(١) تاريخ الخلفاء ٧٣٢.

هو اول خليفة عباسي يرتب
مراكز الشهود في دمشق

وردت هـذه الاولية للخليفـة المستنصربـالله في تـاريـخ الخلفـاء للسيوطي حيث قال:

وفي سنة خمس وثلاثين وستمائة ولى قضاء دمشق شمس الدين احمد الجوني وهو اول قاض رتب مراكز الشهود بالبلد، وكان قبل ذلك يذهب الناس الى بيوت العدول يشهدونهم[1].

---

(١) تاريخ الخلفاء ٧٣٤.

محمد العلقمي (*)

هو اول وزير يراسل التتار
ويطمعهم في احتلال العراق

فاض تاريخ امة العرب بالاسماء اللامعة للرجال العباقرة الافذاذ الذين بنوا مجدها وأخذوا بايدي ابنائها للوصول الى مواقع الذرى . . وكان الايمان برسالة السماء رائدهم والاعتقاد بانها خير الامم التي اخرجت للناس حاديهم فجاء التاريخ الطويل العريق لهذه الامة غرة بين التواريخ ، **وكان الواحد منها يعدل الفاً من غيرهم منطبقاً عليهم عجز بيت ابن دريد الازدي :**

والناس الف منهم كواحد

وواحد كالألف ان امر عنى

ومن هذا الاعتقاد وذلك الايمان احتلت امتنا العربية مركز الصدارة لأمم العالم اجمع وكانت أرضها مختارة من الله الحكيم الخبير لتكون مهبط

(*) هو مؤيدالدين محمد بن احمد المشهور بابن العلقمي، وزير المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين الذين سقطت بغداد في زمنه بيد التتار عام ستمائة وستة وخمسين هجرية، كان ابن العلقمي قد راسل التتار ورئيسهم هولاكو مراسلات سرية لم يعلم بها الخليفة وكان في تلك المراسلات يحبب لهولاكو غزو بغداد والقضاء على الخلافة لأجل ان يكون هو الخليفة او احد اشياعه وقد بذل في تنفيذ ذلك كل ما بوسعه حتى جرى في بغداد ما جرى من المآسي والهلاك على يد التتار الذين لم يوافقوا لابن العلقمي على ما أراد ، بل ظل عندهم مهاناً ممقوتاً لم تنفذ له ولا أمنية واحدة من امانيه التي أملها منهم، واخيراً تركوه يموت كمداً وحسرة ولسان حاله يردد ويقول: وجرى القضاء بعكس ما أملته .

انظر :

شذرات الذهب ٥/ ٢٧٢ ، تاريخ الخلفاء ٧٤١ وما بعدها .

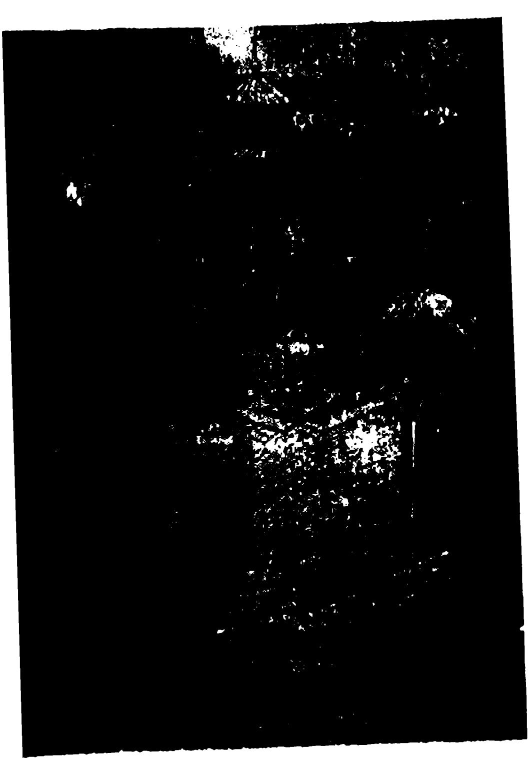
الرسالات ووحي السماء، وانها لو لم تكن قدر هذه المسؤولية وهذا التحمل لما اختارها الله تعالى لذلك، وقد وهم من ذهب برأيه الى ان العرب أمة همجية غير مؤهلة لشيء من اعباء الحياة، والذي يفند رأيهم ويسقط مقولتهم الاختيار الالهي لأن تكون كما ارادها الله تعالى، وقد شهدت أسفار الحروب والغزوات أنها أمة الحرب اذا دقت طبول الوغى يهجم المقاتل منها على اعدائه كالليث الكاسر فيمزقهم شر تمزيق وهو في داخله وبين جنباته يحمل روح الام الرحوم التي تطأ نفسها ولا تطأ اطفالها، فهم الى جانب اقدامهم وجرأتهم ومقارعتهم في الخطوب يحسبون للضعفاء من الرجال والنساء والولدان الف حساب، واكثر من هذا انهم يتعاملون مع النبات والحيوان معاملة الشفقة والرحمة، وكما هم هكذا في القتال والحروب تجدهم في السلم والعمران يداً واحدة لنشر الطمأنينة والعيش الرغيد على من يعولون ويحكمون وقد شهد بهذا التاريخ الغابر والحاضر ولا يعاند في هذا الا غبي جاهل او عدو ماكر يدوف السم في الدسم ومثل هذا لا نأبه له لأنه:

وليس يصح في الافهام شيء

اذا احتاج النهار الى دليل

وهكذا ظلت أمة العرب ولا زالت كما ذكرنا، فكان الامر ان لاذ بحماها الناس واستظل بافيائها الصغير والكبير وشهد بفضلها ليس المحب القريب فحسب ، وانما العدو والغريب، والفضل ماشهدت به الاعداء.

ولكن ولا نقول ويالاسف لأن الاسف لا يعيد التاريخ والحسرات والعبرات لا تغني من الاقدار والاحداث شيئاً، لقد ظهرت في بنية هذه الامة العريقة وهيكلها المتين شخصيات بل اجساد بين حقبة طويلة



صورة تخيلية لدخول هولاكو بغداد



واخرى من التاريخ أبت الا ان تنخر في كيان أمتنا الشريف وهي أشبه ما تكون بالحبيبات والدمامل التي تظهر في الجسم السليم ارادت ان تمحو آثار هذه الامة وتعفي على مآثرها ولكن هيهات هيهات ان تنال منها شيئاً، الا كما ينال الاصبع من ماء البحر، فقد ذهبت احقاد تلك العناصر ادراج الرياح اذ نادى عليها المنادي منذ أمد بعيد ولا زال صوته يرن في الآفاق:

يا ناطحاً جبلاً يوماً ليوهنه

اشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

أجل ايها الحاقدون البشعون الذين طوتهم الارض في ثراها والذين لازلتم تشمون عطر الاريحية من اجواء وجنائن أمتنا اشفقوا على رؤوسكم وامنحوا انفسكم الراحة والاطمئنان من تعبكم ونصبكم للكيد، ان امتنا الاصيلة العريقة لا تنال منها عوادي الزمن ولا تطالها شراذم الاقزام اينما كانوا وعاشوا، انها لا زالت والحمد لله بخير بفضل رجالها وأبنائها البررة الشجعان الذين يسهرون الليالي الطوال ويبذلون الغالي والنفيس في سبيل ديمومتها وسرمديتها واعلائها الى قمم المجد وهام الثريا.

لقد مرت على امتنا العربية العريقة فترة من اعتى الفترات التي عاشتها أمة على وجه الارض، حينما تغلغل العنصر الغريب في هيكل الحكم والخلافة العباسية قبل اكثر من الف عام، حينما انبث البويهيون والسلاجقة في قصور الخلافة وأخذوا ينصبون ويقيلون على راحتهم وهواهم ويعيثون في الارض فساداً فاهلكوا الحرث والنسل وكان هذا بمحض ارادة الخلفاء الضعفاء سامحهم الله الذين ركضوا وراء العاجل الفاني ونبذوا الخالد الباقي وراءهم ظهرياً، فكان ذلك في زمن الخليفة المستعصم بالله آخر خلفاء بني العباس في العراق، وفي غفوة من الزمن

وهجعة من اعين الضمير الانساني الحي حيث نزل في دست الحكم ذلك الخائن المارق الذي اصبح أمارة دالة على الخيانة ونكران الضمير، وقد حذا في مساره حذو ابي رغال قاتله الله وكأنه اراد لنفسه الدخول في التاريخ لمدخل ولكن من الباب الاسود الذي أوله زبالة وآخره كنيف أجيف حتى صارت رائحة خيانته تزكم أنوف الدهماء من الناس بله الغيارى الشرفاء، ذلكم هو الوزير محمد بن احمد العلقمي الذي احتال على الخليفة المستعصم بالله وقاده الى مهاوي الردى والويل والهلاك بعد ان اضمر باطناً يخالف ظاهره ولعب على حبل الخيانة والمروق عن الاصالة ومحاسبة الضمير. فقد أخذ هذا الوزير الملعون يراسل التتار الذين آلوا على انفسهم ان يدوسوا على كل ما هو انساني مقدس ويبعثوا تراثهم البهيمي الرذيل بواسطة ابن العلقمي وأمثاله المبثوثين في ثنايا الامم بين كل حقبة وحين، فكان هذا العلقمي - ونسبه دليل عليه - يمهد الامور لقدوم التتار ودخولهم بغداد ويزين ذلك لهم من جانب وللخليفة المستعصم بالله من جانب آخر وباعثه على هذا غاية في نفسه اراد تنفيذها وتحقيقها وقد ظن ان الغاية تبرر الوسيلة وكأنه سبق ميكافيلي بنظريته هذه وما درى ان العظائم كفؤها العظماء وانه منذ خلقت الخليقة الا وللفضيلة اسسها الشريفة وطرقها النبيلة المقدسة وليس للعاهر الا الحجر، وعندما تم له ما اراد من فتح الباب وادخال اولئك الاوباش الغشمة الا واهدوه نيشانه المنطقي القويم، فقد ركلوه بارجلهم وصفعوه باكفهم وبصقوا على صفحة وجهه بصقة ناطقة عالقة به على مر الاجيال والاباد لتخبر من يأتي بعده من الخونة الانذال ان لا عيش ولا حياة لمن يساوم على امته ويبيعها للاجنبي الدخيل، وقد يعجب المرء من هذا الجزاء ويندهش، فنقول له لا عجب

ولا اندهاش انما هو الكيل الحق فانه اعمل ايها الانسان ماشئت، فكما تدين تدان، وبالكيل الذي كلت به تكتال، وهي معادلة كما يقول اهل الرياضيات طرفها الايمن لا بد ان يساوي طرفها الايسر والا فلا نظرية ولا قانون في هذه الحياة، هذا هو منطق العقل ومن أراد غيره فليتحول من عالم الانسان الى عالم الحيوان، وان كان هناك عجب فانما يكون من اولئك البشر الذين اذا ذكر ابن العلقمي هذا لم تسود وجوههم من ذكره والتغني بامجاده فكم من كاتب ومفكر محسوب على التاريخ لا يندى جبينه خجلاً اذا ذكر هذا الوزير الخائن المارق، بل يأخذ بحساباته الهوجاء وتهويشه التاريخي الذي يضفي عليه، ظلماً، سمة المنهجية التاريخية والموضوعية وما أشبه من هذه الاسماء، أقول يأخذ مثل هذا الكاتب بالقاء التبعة واللوم على غير ابن العلقمي ويخرجه لنا معافى من كل سوء وكأنه لم يكن وزيراً مستشاراً مؤتمناً عليه النصح وتسديد الرأي في أقل الاحوال، فكيف به وقد غاص في جب الخيانةِ من رأسه الى مداسه!! انه تشادق في الالفاظ من امثال هؤلاء الكتاب ومحاولة لتعمية القلوب واسدال الستار على افعال هذا الوزير الشنيعة القبيحة وكأنهم يريدون الغاء التاريخ والاخبار التي اشرت بما لا يقبل الشك خيانته وتواطؤه مع الاجنبي الدخيل، وهي اخبار صريحة فصيحة الى جانب اثباتها لخيانته فانها اثبات لبعده عن عنصر العرب وغرابته عنهم وهذا هو الحق الذي لا مراء فيه .

ولنستمع الآن الى بعض النصوص التاريخية التي تثبت ما قلناه بشأن هذا الوزير العلقمي الخائن يرويها لنا السيوطي في تاريخه حيث قال:

ثم ركن المستعصم الى وزيره مؤيدالدين العلقمي فأهلك الحرث والنسل ولعب بالخليفة كيف اراد وباطن التتار وناصحهم واطمعهم في

المجيء الى العراق وأخذ بغداد وقطع الدولة العباسية وصار اذا جاء خبر منهم كتمه عن الخليفة ويطالع باخبار الخليفة التتار الى ان حصل ما حصل للمستعصم بالله[1].

ويقول السيوطي في موقع آخر عند كلامه عن احداث سنة خمس وخمسين وستمائة هجرية:

والتتار جائلون في البلاد وشرهم متزايد ونـارهم تستعر والخليفـة والناس في غفلة عما يراد بهم والوزير العلقمي حريص على ازالة الخلافة العباسية والرسل في السر بينه وبين التتار والمستعصم تائه في لذاته لا يطلع على الامور ولا له غرض في المصلحة، ثم ان الوزير كاتب التتار واطمعهم في البلاد وسهل عليهم ذلك وطلب ان يكون نائبهم فوعدوه بذلك وتأهبوا لقصد بغداد[2].

وفي مكاتبته لهولاكو قائد التتار يثبت ذلك ابن شاكر الكتبي في قوله:

وأخذ يكاتب هولاكو الى ان جر هولاكو وجراه على أخذ بغداد وقرر مع هولاكو اموراً انعكست عليه وكان كثيراً ما يقول:

«وجرى القضاء بعكس ما أملته»[3].

وعن مخادعة هذا الوزير لأهل بغداد ومصانعته للتتار وتحقيقه المشهد المأساوي الرهيب يقول ابن الكتبي في احداث سنة ستمائة وست وخمسين هجرية:

وأما هولاكو فانه وصل الى بغداد في ثاني عشر المحرم في جيش لا

---

(١) تاريخ الخلفاء ٧٣٧.

(٢) تاريخ الخلفاء ٧٤٠، عيون التواريخ ٢٠/١٣٢.

(٣) عيون التواريخ ٢٠/١٩٤، شذرات الذهب ٥/٢٧٢.

يحصى عدده فلما رأى ابواب بغداد مغلقة تيقن ضعف اهلها فنزل عليها فلما كان ثاني يوم نزل اليه الوزير مؤيدالدين بن العلقمي في جماعة من مماليكه واتباعه وكانوا ينهون أهل بغداد عن رمي النشاب ويقولون : سوف يقع الصلح ان شاء الله تعالى فلا تحاربوا، فاجتمع بالسلطان هولاكو وعاد الى الخليفة وقال له :

قد رسم السلطان انك تخرج اليه فاخرج اليه ولده الاوسط فلم يقع الاقتناع به فخرج اليه الخليفة والوزير ومعهم جمع كثير، فلما صار ظاهر السور أفردوه من اصحابه في خيمة صغيرة ومنعوا اصحابه من الوصول اليه ثم دخل الخليفة بغداد ومعه جماعة من أمراء المغول وخواجا نصيرالدين الطوسي فاخرج اليهم من الاموال والجواهر ثم عاد مع الجماعة الى ظاهر البلد فأمر هولاكو بقتله فقتل يوم الاربعاء رابع عشر صفر ولم يهرق دمه بل جعل في غرارة ورفس الى ان مات ودفن واعفي أثر قبره، ثم قتل ولده الاكبر ابوالعباس احمد، ثم قتل ابن الخليفة الاوسط، وأخذوا اعمام الخليفة وانسابه فكانوا يطلبون واحداً بعد واحد فيخرج باولاده وجواريه فيقتل، ثم وضع السيف في أهل بغداد اربعين يوماً فقتلوا الرجال والنساء والصبيان والاطفال حتى زاد عدد القتلى على ثمانمائة الف نفس عدا الفين من العلماء ومن هلك في الآبار وسراديب الموتى جوعاً وعطشاً ووقع الوباء فيمن تخلف من شم روائح القتلى وشرب الماء الممتزج بالجيف وكثرة الذباب فانه ملأ الفضاء[1] .

---

(١) عيون التواريخ ٢٠/١٣٣ .

المستنصر بالله احمد(*)

هو اول خليفة لبني العباس في مصر

مر بنا سابقاً ان التتار استباحوا بغداد وقتلوا ونهبوا وعاثوا في الارض فساداً واستطاعوا القضاء على الخلافة العباسية في العراق وذلك عندما قتلوا الخليفة المستعصم بالله آخر خلفاء بني العباس في بغداد، ثم انهم قضوا على عائلته وأقاربه ولم ينج منهم الا الذي هرب خارج العراق، ومن الذين هربوا احمد بن الظاهر بامر الله، حيث استطاع ان يفلت من قبضة التتار ويصل الى مصر، ويكون اول خليفة عباسي هناك.

وقد وردت في كتب التاريخ رواية هروبه وحصوله على الخلافة في مصر:

قال صاحب «عيون التواريخ» في احداث سنة ستمائة وتسع وخمسين:

(*) هو احمد بن الظاهر بامر الله ابي نصر محمد بن الناصر لدين الله احمد، كنيته ابو القاسم ولقبه المستنصر بالله وهو غير المستنصر بالله منصور خليفة العباسيين في بغداد أواخر الدولة العباسية، انما هو اول الخلفاء العباسيين في مصر، وقد كان محبوساً في بغداد فلما أخذها التتار هرب وصار الى عرب العراق، فلما تسلط الملك الظاهر بيبرس وفد عليه في رجب ومعه عشرة من بني مهارش فركب السلطان للقائه ومعه القضاة واعضاء الدولة فاشهدوا على نسبه وبايعوه بالخلافة في مصر وذلك في سنة ستمائة وتسع وخمسين هجرية، وقد فوض هذا الخليفة الامور الى الملك الظاهر بيبرس ثم سار الى بغداد لأجل اعادتها الى حضيرة الخلافة العباسية وذلك في نهاية السنة المذكورة آنفاً فدارت بينه وبين التتار الذين في العراق معركة اعدم فيها هذا الخليفة ولم تدم له الامور سوى ستة اشهر، وكان مقتله في الثالث من المحرم سنة ستمائة وستين للهجرة، ثم تولى الامور من بعده الحاكم بامر الله الذي كان قد بويع بالخلافة في حلب ايام حياة المستنصر بالله.

انظر: شذرات الذهب ٥/٢٩٧، تاريخ الخلفاء ٧٥٧، الاعلام ١/٢١١.

وهو ابو القاسم احمد بن الظاهر بامر الله بن الناصر لدين الله وكان محبوساً في بغداد مع جماعة من بني العباس، فلما ملكت التتار بغداد اطلقوهم فصار المستنصر الى عرب العراق واختلط بهم، فلما ملك الملك الظاهر وفد اليه مع جماعة من بني مهارش فركب السلطان للقائه ومعه الوزير بهاء الدين وقاضي القضاة تاج الدين والشهود والقراء والمؤذنون واليهود بالتوراة والنصارى بالانجيل ودخل من باب النصر وشق القاهرة وكان يوماً مشهوداً وجلس السلطان والخليفة في الايوان بقلعة الجبل وحضر الصاحب بهاء الدين وولده فخر الدين وقاضي القضاة تاج الدين والامراء والناس على طبقاتهم وقرىء نسب الخليفة على القاضي وشهد عنده بصحته فأسجل عليه بذلك وحكم به وبويع وركب من يومه وشق القاهرة في وجوه الدولة وهو الثامن والثلاثون من خلفاء بني العباس وكانت مبايعته في يوم الاثنين ثالث عشر رجب الفرد سنة تسع وخمسين وستمائة واول من بايعه قاضي قضاة الديار المصرية تاج الدين ابن بنت الاعز، ثم بايعه الملك الظاهر والشيخ عز الدين ابن عبد السلام والامراء والاعيان من اولي الحل والعقد، ثم ركب الخليفة والسلطان والوزير ووجوه الدولة الى الخيمة فالبس الخليفة السلطان الخلعة بيده وصعد فخر الدين ابن لقمان رئيس كتاب الانشاء منبراً نصب له فقرأ التقليد وهو من انشائه وخطه وركب السلطان بالخلعة والطوق ودخل من باب النصر وشق القاهرة وقد زينت له وحمل الصاحب بهاء الدين التقليد على رأسه راكباً والامراء يمشون بين يديه وكان يوماً يقصر اللسان عن وصفه[1].

---

(١) عيون التواريخ ٢٠/٢٥١.

الحاكم بأمر الله(*)

هو اول من ارسل جيشاً
لفتح بلاد النوبة بمصر

تقع بلاد النوبة جنوب بلاد مصر في القديم وحالياً هي ضمن جمهورية مصر العربية ، وقد ظلت حصينة تأتيها الغزوات والجيوش لأجل فتحها فلم تتمكن الا في زمن الحاكم بأمر الله ، فيكون هذا الحاكم اول من افتتحها .

قال السيوطي :

وفي سنة اربع وسبعين وستمائة وجه السلطان جيشاً الى النوبة ودنقلة فانتصروا وأسر ملك النوبة وأرسل به الى الملك الظاهر ووضعت

(*) هو احمد بن ابي علي الحسن بن ابي بكر بن علي القبي بن الخليفة المسترشد بالله بن المستظهر بالله العباسي ، كنيته ابو العباس ، ولقبه الحاكم بأمر الله ، وهو ثاني خلفاء العباسيين في مصر . كان قد اختفى وقت احتلال هولاكو لبغداد ثم خرج ومعه جماعة الى دمشق وابدى بسالة في فتح بعض البقاع وانتهى به المطاف الى مصر ، حيث تولى الخلافة بعد مقتل المستنصر بالله وتمت بيعته يوم الخميس ثامن المحرم سنة احدى وستين وستمائة هجرية وذلك بحضور الملك الظاهر بيبرس داخل برج القلعة الكبير ، غير انه كان كغيره من خلفاء بني العباس المتأخرين فأمور الدولة كانت بيد المماليك الذين يخلعون وينصبون من يريدونه ويضفون الالقاب على هواهم ، وفي زمن الحاكم بامر الله مات هولاكو سنة ستمائة وثلاث وستين وانتصر سلطان المسلمين ابوعبدالله ابن الاحمر على الفرنج في الاندلس وانتزع المسلمون طرابلس بالسيف من يد الروم ، وكذلك اسلم اكثر التتار بعد تأثرهم بمبادىء الاسلام الحنيف ، وممن مات من الاعلام في زمن الحاكم الشيخ العزبن عبدالسلام والشيخ محيي الدين النووي وابن خلكان وابن تيمية والمحب الطبري ، وكانت وفاة الحاكم بامر الله يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الاولى سنة احدى وسبعمائة للهجرة ودامت خلافته اربعين عاماً وكان قد عهد بها الى ابنه المستكفي سليمان .

انظر : تاريخ السيوطي ٧٦٠ ، الشذرات ٦/ ٧٠١ .

الجزية على أهل دنقلة ولله الحمد .

وقال الذهبي :

وأول ما غزيت النوبة في سنة احدى وثلاثين من الهجرة، غزاها عبدالله بن ابي سرح في خمسة آلاف فارس ولم يفتحها فهادنهم ورجع ثم غزيت في زمن هشام ولم تفتح ثم في زمن المنصور ثم غزاها الزنكي ثم كافور الاخشيدي ثم ناصر الدولة بن حمدان ثم توران شاه اخو السلطان صلاح الدين في سنة ثمانية وستين وخمسمائة ولم تفتح الا هذا العام، وقال في ذلك ابن عبدالظاهر :

هـذا هو الفتـح لا شيء سمعت بـه

في شاهد العـين لا ما في الاسـانيد[1]

هو اول خليفة عباسي في مصر

يدفن عند مرقد السيدة «نفيسة»

والنسيـدة نفيسـة هي المشهـورة بـأسم الست نفيســة بنت حسن بن زيد بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنها، دخلت مصر هي وزوجهـا اسحاق بن جعفـر الصادق رضي الله عنهم اجمعـين وتـوفيت في رمضان من سنة مائتين وثمان هجرية فدفنت بين القاهرة ومصر القديمة، ويقال ان الدعاء يستجاب عند قبرها وكانت من الصالحات أخـذ عنها الامام الشافعي العلم وعندما مات حملت جنازته اليها فصلت عليه[2] ،

---

(١) تاريخ الخلفاء ٧٦٣.

(٢) شذرات الذهب ٢/ ٢١.

وقد ظل مرقد الست نفيسة مزاراً للناس وتربتها يدفن عندها الامـوات ويعتبر الخليفة الحاكم بأمر الله اول خليفة عباسي بمصر يدفن بقربها .

قال السيوطي :

وفي سنة احدى وسبعمائة هجرية توفي الخليفة الحاكم الى رحمة الله ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الاولى وصلي عليه العصر بسوق الخيل تحت القلعة وحضر جنازته رجـال الدولـة والاعيان كلهم مشـاة ودفن بقرب السيدة نفيسة وهو اول من دفن منهم هناك واستمر مدفنهم الى الآن وكان قد عهد بالخلافة لولده ابي الربيع سليمان[1] .

---

(۱) تاريخ الخلفاء ٧٦٦.

ابراهيم بن الاغلب(*)

هو اول من اتخذ العبيد
في افريقية لحمل سلاحه

عرف عن ابراهيم بن الاغلب شجاعته وجرأته وقدرته على توطيد الامور في الشمال الافريقي وتمكنه من القضاء على الثورات التي كانت تقوم ضد العباسيين هناك، وقد عرف عنه ايضاً انه اول امير هناك يتخذ من العبيد حملة لسلاحه بين يديه .

فقد ذكر صاحب الاعلام :

وهو اول من اتخذ العبيد لحمل سلاحه واستكثر من طبقاتهم واستغنى بهم عن الرعية في بعض أموره[1].

(*) هو ابراهيم بن الاغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي، ثاني الاغالبة من ولاة افريقية لبني العباس، كانت ولايته عام مائة واربعين هجرية، كان ابوه الاغلب قد ولي افريقية سنة مائة وثمان واربعين هجرية بعهد من الخليفة ابي جعفر المنصور ثم قتل على أثر الفتن التي حدثت في شمال افريقية، ودفن هناك وسمي بالشهيد وكان ذلك في شعبان سنة مائة وخمسين هجرية، وفي زمن الخليفة هارون الرشيد ورد كتاب بتولية ابراهيم على شمال افريقة وذلك عام مائة واربعة وثمانين للهجرة فنهض بالامارة وضبط امورها وابتنى مدينة العباسية قرب القيروان، وانتقل اليها، وقد تغلب على الفتن والخارجين عليه ابان ولايته، وكان على علم بالادب والفقه، شاعراً وخطيباً شجاعاً، واستمرت ولايته اثنتي عشرة سنة واربعة اشهر، قال فيه ابن عذاري: لم يل افريقية احسن سيرة ولا احسن سياسة ولا أرأف برعية ولا أوفى بعهد ولا أرعى لحرمة منه، وتوفي سنة مائة وست وتسعين للهجرة.

انظر: الاعلام ١/٢٥، الكامل ٥/٢٦، ١٤١.

(١) الاعلام ١/٢٦ .

ابراهيم الاسفراييني(*)

هو اول من لقب من الفقهاء

كان ابو اسحق الاسفراييني من العلماء الاجلاء الذين نافحوا عن الملة الحنفية ومقرراتها النقية الصافية وكان يسير في نهجه هذا على نهج ابو الحسن الاشعري الذي دافع دفاعاً مستميتاً عن السنة المطهرة بوجه الاعتزال والمروق من الدين، فاستحق الاسفراييني ان يكون على رأس الاشعرية في زمن الخليفة العباسي القادربالله .

وقد لقب الاسفراييني بلقب (ركن الدين) في وقت لم تكن تعرف فيه الالقاب للفقهاء .

ورد في «الاعلام» للزركلي :

عالم بالفقه والاصول كان يلقب بركن الدين قال ابن تغرى بردى : وهو اول من لقب من الفقهاء(1) .

(*) هو ابو اسحاق الاسفراييني ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن مهران الاصولي المتكلم الشافعي احد الاعلام وصاحب التصانيف كان شيخ خراسان في زمانه ويقال انه بلغ رتبة الاجتهاد ومن مصنفاته «الجامع في اصول الدين» خمس مجلدات وتعليقه في اصول الفقه، بنيت له مدرسة لم يبن مثلها فجلس بها للتدريس وعليه تفقه القاضي ابوالطيب الطبري والقشيري والبيهقي، كانت وفاته بنيسابور يوم عاشوراء من سنة اربعمائة وثمان عشرة للهجرة ثم نقل الى بلده اسفراين ودفن في المشهد الخاص به، كان ابواسحاق الاسفراييني ثقة في رواية الحديث وله عدة مناظرات مع المعتزلة وقد أقر له العلماء بالتقدم، ذكره الحاكم ابوعبدالله صاحب المستدرك فقال: أخذ عنه الكلام والاصول عامة شيوخ نيسابور وأقر له بالعلم أهل العراق وخراسان وله التصانيف الجليلة منها كتابه الكبير الذي سماه «جامع الحلي في اصول الدين والرد على الملحدين» رأيته في خمسة مجلدات وغير ذلك من المصنفات .

انظر : وفيات الاعيان ١/٢٨، شذرات الذهب ٣/٢٠٩، الاعلام ١/٥٩ .

(1) الاعلام ١/٥٩ .

اسد بن عمرو البجلي (*)

هو اول من كتب كتب ابي حنيفة

ثبت لدى مؤرخي الحديث والفقه ان اسد بن عمرو كان ملازماً للامام ابي حنيفة النعمان بن ثابت ومن اصحابه الذين سمعوا عنه العلوم الشرعية كالحديث والفقه وغيرهما، وما تركه ابوحنيفة من الفقه كان لدى اصحابه الذين بادروا الى تدوينه وكتابته وأول من دون كتب الامام ابي حنيفة أسد بن عمرو البجلي.

قال صاحب «الاعلام»:

اسد بن عمرو بن عامر القشيري البجلي ابوالمنذر قاضي من أهل الكوفة من اصحاب الامام ابي حنيفة وهو اول من كتب كتب ابي حنيفة[1].

(*) هو اسد بن عمرو بن عامر بن عبدالله بن عمرو بن عامر بن اسلم بن صعب بن يشمر، كنيته ابوالمنذر البجلي الكوفي صاحب الامام ابي حنيفة النعمان بن ثابت، سمع من ابراهيم بن جرير وابي حنيفة ومطرق بن طريف وغيرهم، روى عنه احمد بن حنبل ومحمد بن بكار والحسن بن محمد الزعفراني وغيرهم، ولي القضاء ببغداد وكذلك قضاء واسط، كان ثقة في روايته للحديث والعلم، جاء من الكوفة وهو من اهلها الى بغداد، نعتوه بانه ينسب لأهل الرأي في فقهه وذلك لصحبته للامام ابي حنيفة، وليس ذلك بشيء، قال فيه يحيى بن معين: اسد بن عمرو أوثق من نوح بن دراج ولم يكن به بأس وقد سمع من ربيعة الرأي ومطرف ويريد بن ابي زياد ولما انكر بصره ترك القضاء، وقال ابوعبيد محمد بن علي الآجري: سألت اباداود عن اسد بن عمرو فقال: صاحب رأي وهو في نفسه ليس به بأس، قال الهيثم ابن عدي: وأسد بن عمرو توفي سنة ثمان وثمانين ومائة.

انظر: تاريخ بغداد ٧/١٦، الاعلام ١/٢٩١.

(١) الاعلام ١/٢٩١.

اسد بن الفرات(*)

هو اول من فتح جزيرة صقلية

كانت الجيوش الاسلامية في زمن الدولة العباسية تغير على بلاد الروم لأجل ضمها الى رقعة الدولة العربية الاسلامية واعلاء كلمة الله فيها، وفي خضم هذه الفتوحات كان زياد الله الاغلبي والياً للخلافة العباسية على تونس فجهز جيشاً غازياً لفتح جزيرة صقلية واختار لقيادته القاضي أسد بن الفرات لشجاعته وحنكته في الامور، فكان اول قائد يغزو جزيرة صقلية ويفتحها عنوة ويضمها الى بلاد المسلمين.

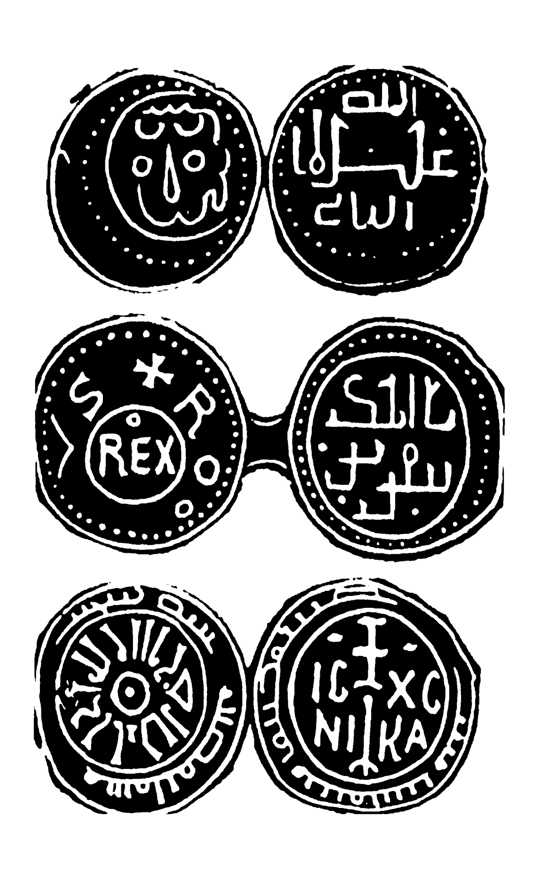
قال صاحب «الاعلام»:

قال ابن ناجي: وهو اول من فتح صقلية وتوفي من جراحات اصابته وهو محاصر سرقوسة براً وبحراً[1].

(*) هو اسد بن الفرات بن سنان مولى بني سليم، كنيته ابو عبدالله ولد عام مائة واثنين واربعين هجرية، كان فقيه المغرب وأحد اصحاب الامام مالك بن انس الاصبحي وله مدونات في الفقه تدعى المسائل الاسدية، أصله من خراسان وولادته كانت بحران وقيل بنجران ورحل ابوه الى القيروان في جيش الاشعث فأخذه معه وهو طفل فنشأ بها ثم بتونس، رحل الى المشرق في طلب الحديث والعلوم الشرعية وذلك سنة مائة واثنتين وسبعين للهجرة ثم عاد الى تونس ليتولى قضاء القيروان سنة مائتان واربع، وكان شجاعاً حازماً صاحب رأي في السياسة والحكم. استعمله زياد الله الاغلبي لقيادة الجيش الذي بعثه الى البحر المتوسط، فاقتحم الاهوال ودمر الاعداء واستطاع ان يفتح جزيرة صقلية وذلك عام مائتان واثني عشرة للهجرة، وكانت وفاته سنة مائتين وثلاث عشرة للهجرة.

انظر: شذرات الذهب ٢ /٢٨، الاعلام ١ /٢٩١، تاريخ قضاة الاندلس ٥٤.

(١) الاعلام ١ /٢٩١



نماذج من النقود التي سكها العرب
اثناء حكمهم جزيرة صقلية



وفي وصف الحملة التي قادها القاضي اسد بن الفرات يروي النباهي ذلك فيقول:

كان اسد بن الفرات بن سنان احد صدور الشجعان ولاه زيادة الله القضاء بافريقية وقدمه على غزو صقلية فخرج في عشرة آلاف رجل منهم الف فارس، فلما خرج الى سوسة ليتوجه منها الى صقلية خرج معه وجوه العلم يشيعونه وقد صهلت الخيل وضربت الطبول وخفقت البنود وقال: «لا اله الا الله وحده لا شريك له: يا معشر الناس، ما بلغت ما ترون الا بالاقلام فاجهدوا انفسكم فيها وثابروا على تدوين العلم تنالون به الدنيا والآخرة». قال عياض وقد سماه في «مداركه»: حكى سليمان بن فارس، ان اسداً القاضي لقي ملك صقلية في مائة الف وخمسين الفاً، قال الراوي: فرأيت اسداً وفي يده اللواء وهو يزمزم واقبل على قراءة «يس» ثم حرض الناس وحمل وحملوا معه فهزم جموع النصارى وتوفي رحمه الله في حصار سرقوسة من غزو صقلية وهو امير الجيش وقاضيه وذلك سنة مائتين وثلاث عشرة[1].

---

(١) تاريخ قضاة الاندلس ٥٤.

الاغلب بن سالم التميمي(*)

هو اول والي من الاغالبة على افريقية

زمن الدولـة العباسيـــة

كان الشمال الافريقي تابعاً للدولة الاموية يجعلون فيه من الولاة والامـراء من يريـدونه، فلما انقضت دولتهم وآلت الخـلافة الى الـدولة العباسية وضعوا الاغلب بن سالم التميمي والياً عليها فكان اول وال من الاغالبة في افريقية من قبل العباسيين، وقد صـرح صاحب «الاعـلام» قائلاً:

وهو جد الاغالبة ملوك افريقية وأول من وليهـا منهم[1]. وبصدد رحيله الى افريقية واستيلائه على ولايتها يروي لنا ابن الاثير الجزري قصة ذلك في احداث سنة مائة وثمان واربعين هجرية فيقول:

لمـا بلغ المنصور خـروج محمد بن الاشعث من افـريقية بعث الى

(*) هو الاغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي، من الامراء والقادة الشجعان، وهو جد الاغالبة الذين ملكوا افريقية في زمن العباسيين كان في بداية أمره مع ابي مسلم الخراساني حين قيامه باحياء الدعوة العباسية ثم رحل الى افريقية مع محمد بن الاشعث، وعند تولي ابي جعفر المنصور امور الخلافة العباسية ولاه امارة افريقية وذلك سنة مائة وثمان واربعين هجرية، فاقام الاغلب في مدينة القيروان بتونس ووطد الامور للعباسيين هناك ثم انصرف لقتال الصفرية وهم فرقة من الخوارج، فخرج أهل تـونس عن نصرة الاغلب وبـايعوا الحسـن بن حرب الكندي فدخل هذا بهم القيروان فعاد اليها الاغلب واحتدم القتال بينهما وطال امده الى ان اصيب الاغلب بسهم فقتله وكان قرب مدينة تونس وذلك سنة مائـة وخمسين للهجرة.

انظر: الاعلام ١/٣٣٩، الكامل ٥/٢٦.

(١) الاعلام ١/٣٣٩.

الاغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي عهداً بولاية افريقية ، وكان هذا الاغلب ممن قام مع ابي مسلم الخراساني وقدم افريقية مع محمد بن الاشعث فلما اتاه العهد قدم القيروان في جمادى الآخرة سنة ثمان واربعين ومائة واخرج جماعة من قواد المضرية وسكن الناس وخرج عليه ابو قرة في جمع كثير من البربر فسار اليه الاغلب يريد طنجة فاشتد ذلك على الجند وكرهوا المسير وتسللوا الى القيروان فلم يبق معه الا نفر يسير وكان الحسن بن حرب الكندي بمدينة تونس وكاتب الجند ودعاهم الى نفسه فاجابوه فسار حتى دخل القيروان من غير مانع وبلغ الاغلب الخبر فعاد مجداً فقال له بعض اصحابه ليس من الرأي ان تعدل الى لقاء العدو في هذه العدة القليلة ولكن الرأي ان تعدل الى قابس فان اكثر من معه يجيء اليك لانهم انما كرهوا المسير الى طنجة لأغير وتقوى بهم وتقاتل عدوك ففعل ذلك وكثر جمعه وسار الى الحسن بن حرب فاقتتلوا قتالاً شديداً

فانهزم الحسن وقتل من اصحابه جمع كثير ومضى الحسن الى تونس في جمادى الآخرة سنة خمسين ومائة ودخل الاغلب القيروان، وحشد الحسن وجمع فصار في عدة عظيمة فقصد الاغلب فخرج اليه الاغلب من القيروان فالتقوا واقتتلوا فاصاب الاغلب سهم فقتله وثبت اصحابه فتقدم عليهم المخارق بن غفار فحمل المخارق على الحسن ـ وكان في ميمنة الاغلب ـ فهزمه فمضى منهزماً الى تونس في شعبان سنة خمسين ومائة وولي المخارق افريقية في رمضان، ووجه الخيل في طلب الحسن فهرب الحسن من تونس الى كتامة فاقام شهرين ثم رجع الى تونس فخرج اليه من بها من الجند فقتلوه، وقد قيل: ان الحسن قتل بعد قتل الاغلب لأن اصحاب

الاغلب ثبتوا بعد قتله في المعركة فقتل الحسن بن حرب ايضاً وولى اصحابه منهزمين وصلب الحسن ودفن الاغلب وسمي الشهيد وكانت هذه الوقعة في شعبان سنة خمسين ومائة[1].

(1) الكامل ٥/٢٦.

عبدالملك بن جريج[*]

هو اول من صنف الكتب في الحجاز

والكتب هنا المقصود بها الصحف التي كانت تدون فيها العلوم، اذ لم تكن آنذاك المطابع والورق التي تعهدها في زماننا المعاصر، فكان ابن جريج اول من دون الكتب بهذا المفهوم الذي اثبته المؤرخون عن علماء ذلك الوقت.

قال ابن العماد الحنبلي في احداث سنة مائة وخمسين للهجرة:

وفيها توفي امام الحجاز ابو الوليد عبدالملك بن عبدالعزيز ابن جريج الرومي ثم المكي مولى بني امية عن اكثر من سبعين سنة أخذ عن عطاء وطبقته، وهو اول من صنف الكتب بالحجاز[1].

(*) هو عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج المكي، وجريج كان عبداً لأم حبيب بنت جبير وكانت تحت عبدالعزيز بن عبدالله بن خالد بن اسد فنسب الى ولائه، وله أخ يسمى محمد بن عبدالعزيز، وكان عبدالملك يكنى ابا الوليد وايضاً ابا خالد، كانت ولادته سنة ثمانين هجرية وهو عام الجحاف، والجحاف سيل كان بمكة، كان ابن جريج يخضب باللون الاحمر، سمع العلم والحديث عن طاووس ومجاهد وعمرو بن دينار وغيرهم، فكان امام الحجاز في زمانه بلا منازع، قال عن نفسه: كنت اتتبع الاشعار العربية والانساب حتى قيل لي لو لزمت عطاء فلزمته ثمانية عشر عاماً، وقال عبدالرزاق: ما رأيت احداً احسن صلاة من ابن جريج، وقد صحب معن بن زائدة الشيباني فترة في بلاد اليمن، وقدم الى بغداد ايام خلافة ابي جعفر المنصور العباسي، وقال فيه احمد بن حنبل: كان ابن جريج من اوعية العلم، وعن عطاء بن ابي رباح قال: شباب اهل الحجاز ابن جريج، وقال يحيى بن معين: ابن جريج ثقة في كل ما روي عنه من الكتاب، وكانت وفاة ابن جريج سنة مائة وخمسين للهجرة عن عمر ينوف على السبعين سنة.

انظر:

شذرات الذهب ١/٢٢٦، تاريخ بغداد ١٠/٤٠٠.

(١) شذرات الذهب ١/٢٢٦.

وقال الخطيب البغدادي في تاريخه :

ويقال انه اول من صنف الكتب .

ويذكر البغدادي في موقع آخر:

انبأنا محمد بن احمد بن رزق اخبرنا محمد بن احمد بن الحسين الصواف اخبرنا عبدالله بن احمد بن حنبل - اجازة - قال قلت لأبي: من اول من صنف الكتب؟ قال: ابن جريج وابن ابي عروبة[1] .

(١) تاريخ بغداد ١٠/٤٠٠، وفيات الاعيان ٣/١٦٣ .



الفيلسوف العربي المسلم ابن سينا
كما تخيله أحد الرسامين



ابن سـينا(*)

هو اول من اكتشف ووصف عضلات العين الداخلية

مما اشتهر به الفيلسوف العالم العربي المسلم ابن سينا دراساتـه في علوم الطب وتشريح الانسان وقد ترك مآثر كثيرة في هذا الباب لا زالت

(*) هو ابو علي بن سينا الرئيس الحسين بن عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا، من أبرز علماء العرب في الفلسفة والعلوم الطبيعية والطب، له من الذكاء الخارق والذهن الثاقب ما فاق به غيره وأصله من بلخ ومولده ببخارى نشأ وتربى على الثقافة العربية الاسلامية، حيث اتقن علوم القرآن الكريم والآداب العربية وحفظ الكثير من اصول الدين الاسلامي واتقن الحساب والجبر والمقابلة ثم قرأ كتاب ايساغوجي في المنطق واقليدس والمجسطي فاوضح الرموز وفك الاشكالات ودرس الفقه وناظر فيه ففتح الله عليه ابواب العلم ثم رغب بعد ذلك في علم الطب ومعالجة الانسان فتأمل الكثير من كتب هذا الباب حتى فاق الاوائل والاواخر في مدة وجيزة واصبح عديم القرين في زمانه وكان سنه آنذاك ست عشرة سنة وكان في مدة اشتغاله بالعلوم لم ينم ليلة واحدة بكاملها ولا اشتغل في النهار بشيء سوى المطالعة، فاذا استشكلت عليه مسألة توضأ وقصد المسجد وصلى ودعا الله عز وجل ان يسهلها عليه ويفتح له فيها، عالج الامير نوح الساماني صاحب خراسان من مرضه فشفي على يديه، وكانت عند ابن سينا دار كتب ليس لها مثيل ولم يستكمل ثمان عشرة سنة الا وقد حفظ ما فيها من العلوم باجمعها، وصنف من الكتب ما يضيق المعد عنها منها كتاب الشفاء في الحكمة والنجاة والاشارات وكتاب القانون في الطب الذي يعد من اشهر كتب الطب سابقاً ولاحقاً وله ما يقرب من مائة مصنف بين كتاب ورسالة، ومن شعره البديع في وصف النفس الانسانية قصيدة مطولة مشهورة بمطلعها الذي يقول فيه:

هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

وله فضائل كثيرة مشهورة، كانت ولادته في شهر صفر سنة ثلاثمائة وسبعين هجرية، ومات في همدان يوم الجمعة من شهر رمضان سنة اربعمائة وثمان وعشرين ودفن فيها.

انظر: الشذرات ٣/٢٣٥، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ٥٨، اخبار العلماء باخبار الحكماء ٢٦٨.

معروفة لدى جامعات الطب في العالم وكان في بحوثه تلك قد سبق غيره من الآتين بعده، من ذلك انه كان اول من شخص ووصف عضلات العين الداخلية للانسان بعد ان لم يكن احد قد عرفها في زمانه، وقد أشار المؤرخون الى هذه الاولية لابن سينا واثبتوها له في كتبهم[1].

اول من حاول التفرقة بين انواع اليرقان الناشيء في الانسان

ومرض اليرقان من الامراض التي يصاب به الانسان وخاصة عند الولادة وتظهر له اعراض واضحة على جسم الطفل الوليد مثال تلك الاعراض اصفرار في بياض العين، ومرض اليرقان له اسباب يعرفها اهل الاختصاص فمنه ما ينشأ بسبب الدم ومنه ما ينشأ بسبب سوء واضطراب احد مكونات جهاز الهضم عند الانسان، ويعتبر ابن سينا اول من حاول التفرقة بين انواع اليرقان واسبابه.

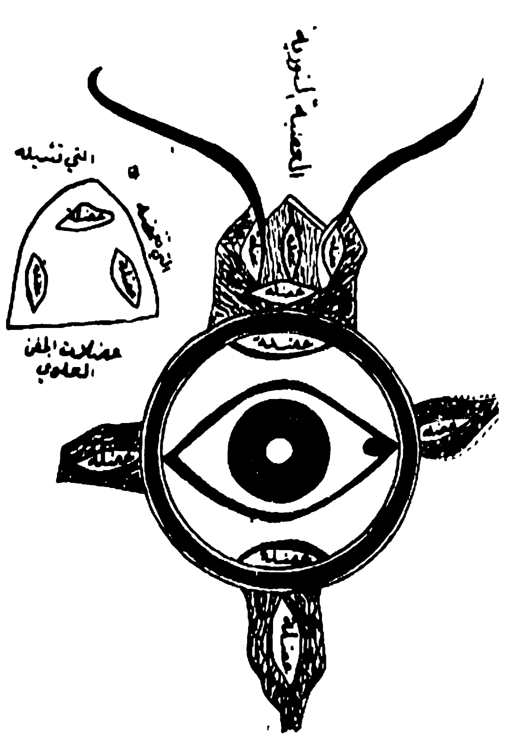
جاء في كتاب «دراسات في تاريخ العلوم عند العرب»:

ومن مآثره ايضاً انه اول من حاول التفرقة بين اليرقان الناشيء عن انحلال الكريات الدموية وبين الذي ينشأ من انسداد القنوات الصفراوية كما عرف الامراض التي تنتقل بواسطة مياه الشرب وقد عزاها الى حيوانات دقيقة لا ترى بالعين المجردة تدخل الى جسم الانسان عن طريق شرب الماء دون ان يشعر او يحس بها[2].

---

(١) دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ٦٣.

(٢) دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ٦٣.



- عضل العين الخارجية -

صورة تشريحية لعضلات العين كما وصفها ابن سينا



محمد بن زكريا الرازي(*)

هو اول من ابتكر خيوط الجراحة

المسماة بالقصاب

(*) هو محمد بن زكريا الرازي وكنيته ابو بكر، ولد ونشأ في الري ونزح الى بغداد ليدرس العلوم العقلية والنقلية فيها ويرتشف من الثقافة العربية الاسلامية فكان نابغة عصره في العلوم والمعارف اعتبر لدى المؤرخين طبيب المسلمين بلا منازع وأحد المشهورين في علم المنطق والهندسة وغيرهما من علوم الفلسفة، كان في ابتداء عمره يضرب العود ثم ترك ذلك وأقبل على دراسة العلوم الطبيعية والفلسفية، قال عنه ابن النديم: أوحد دهره وفريد عصره قد جمع المعرفة بعلوم القدماء لا سيما الطب وكان يتنقل في البلدان وبينه وبين منصور بن اسماعيل صداقة وله الف كتاب المنصوري، وكان شيخاً كبير الرأس مسفطه يجلس في مجلسه ودونه التلاميذ ودونهم تلاميذهم ودونهم تلاميذ آخرون وكان يجيء الرجل فيصف ما يجد لاول من يلقاه منهم فان كان عنده علم والا تعداه الى غيره فان اصابوا والا تكلم الرازي في ذلك وكان كريماً متفضلاً باراً بالناس حسن الرأفة بالفقراء والاعلاء حتى كان يجري عليهم الجرايات الواسعة ويمرضهم ولم يكن يفارق النسخ اما يسود او يبيض وكانت في بصره رطوبة لكثرة اكله الباقلاء وفي آخر عمره عمي، كان للرازي مؤلفات احصاها القفطي بما ينوف على المائة، وأشهرها كتاب الحاوي في الطب والمنصوري الذي جمع فيه بين العلم والطب والعمل، وكانت للرازي اقوال وارشادات لمن يمارس مهنة الطب لا يزال أثرها لحد الآن. . من ذلك قوله: «ان استطاع الحكيم ان يعالج بالاغذية دون الادوية فقد وافق السعادة»، وكذلك قوله: «الحقيقة في الطب غاية لا تدرك والعلاج بما تنصه الكتب دون اعمال الماهر الحكيم برأيه خطر»، كان الرازي قد انتخب رئيساً للبيمارستان «المستشفى» في بلاد الري، ثم استدعاه عضد الدولة في زمن بني العباس لانشاء بيمارستان ببغداد فابتكر طريقة بديعة لاختيار الموقع وذلك بان علق في كل ناحية من جانبي بغداد شقة لحم ثم اعتبر مكان القطعة التي لم تتغير رائحة اللحم فيها او يتتن بسرعة هو المكان الملائم لموقع المستشفى وكانت حياة الرازي بحراً زاخراً بالمبتكرات والمؤلفات العلمية في شتى صنوف المعارف الى ان وافاه الاجل في سنة ثلاثمائة واحدى عشر للهجرة.

انظر: شذرات الذهب ٢/٢٦٣، اخبار العلماء باخبار الحكماء ١٧٨، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ٤٥ .

لم يتقدم علم الجراحة عند العرب تقدماً ملحوظاً بسبب بطء سير علم التشريح لذلك بقي علم الجراحة لفترة من الزمن من اختصاص الحجامين والحلاقين الذين كانوا يقومون بالعمليات الجراحية البسيطة كالكي والفصد والبتر تحت اشراف وارشاد الاطباء، ولم يبتدىء العرب بالاشتغال بعلم الجراحة والاهتمام به الا في عصر متأخر، وكان ابو بكر الرازي من اوائل الاطباء الذين اهتموا بهذا الفن الطبي الخطير، لكنه لم يقم باجراء العمليات الجراحية بنفسه بل كان يذكرها فقط وكان غيره يقوم بها، وكان الرازي قد ترك لهذا العلم الجليل مأثرة من مآثره الخالدة التي سبق بها غيره من اطباء عصره ، الا وهي الخيوط التي تستعمل في العمليات الجراحية وهي خيوط الجراحة التي تسمى «القصاب»[1].

هو اول من انشا مقالات خاصة في امراض الاطفال

كان الاطباء العرب على معرفة كبيرة في طب الاطفال اضافة الى معرفتهم الطبية الاخرى، وقد ظهر اطباء عديدون اشتغلوا في هذا النوع من الطب وألفوا فيه المؤلفات الخاصة بالمولودين الجدد من الاطفال، ومنهم من بحث في شروط المرضعة واصناف الحليب ومنهم من بحث في علل الاطفال ومعالجتهم، ويعتبر الطبيب ابو بكر الرازي اول من كتب المؤلفات والمقالات في طب الاطفال. وقد تميز بدقة ملاحظاته في الممارسات والمشاهدات السريرية، حيث كان يركز على الدلالات والفروق بين الامراض التي تصيب الاطفال وذلك بما كان يمتلك من قوة الحكم اثناء التشخيص.

---

(١) دراسات في تاريخ العلوم ٤٩، ٦٩.



الطبيب المشهور ابو بكر الرازي يقوم
بفحص عين احد مرضاه



واذا كانت اوروبا تفخر بان اول مؤلف في طب الاطفال كان من قبل جامعة (بادوا) بعد اختراع الطباعة عام ١٤٧٢م فان معظم محتويات هذا المؤلف الصغير مقتبس من الاطباء العرب، كما اعترف بذلك «سنجر» في كتابه «مختصر تاريخ الطب»[1].

---

(١) دراسات في تاريخ العلوم ٧١.

اسحاق بن حنين(*)

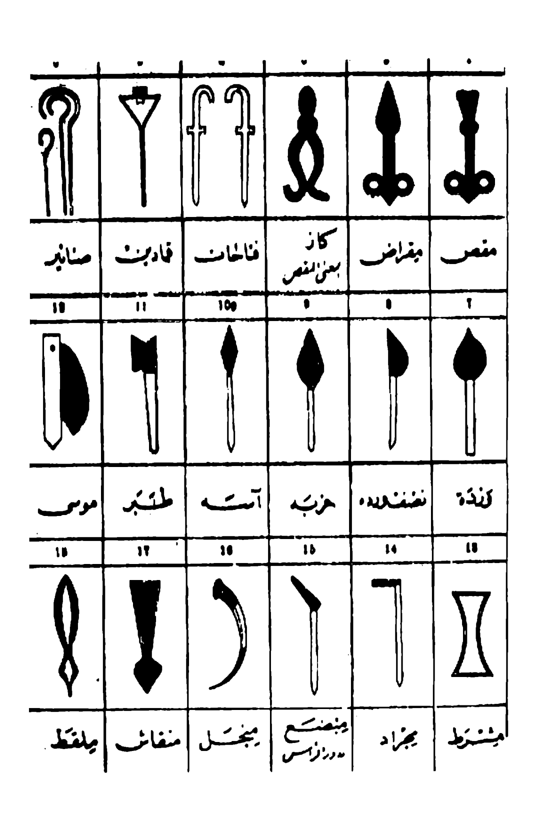
هو اول من كتب كتاباً في طب العيون

عرف ابن حنين طبيباً ومترجماً للخلفاء العباسيين، حيث عاشت الخلافة عصرها الذهبي ابان خلافة الرشيد وولده المأمون، فكان هذا النابغة اوحد عصره في تأليف اول كتاب يبحث في طب العيون، كما ذكرت المستشرقة الالمانية سجريد هونكه حيث قالت:

لقد بلغ العرب في فرع طب العيون شأواً عظيماً تفوقوا فيه على اليونان وساعدهم في هذا اكتشافاتهم الناجحة في علم البصريات الذي يعد علماً عربياً دون أية مبالغة، وأول كتاب في هذا الموضوع كان كتاب

(*) هو اسحق بن حنين بن اسحق بن ابي زيد العبادي، كنيته ابو يعقوب، وهو من عائلة آل حنين التي كان لها دور عظيم في مجالات الترجمة والتأليف في زمن الدولة العباسية، حيث اعتبرت بحق دائرة معارف مكتظة المعلومات والخبرات في نقل علوم الطب والحكمة الى اللغة العربية، وكان اسحاق في منزلة والده في الفضل وصحة النقل من اللغة اليونانية والسريانية وكان فصيحاً بليغاً خدم الخلفاء العباسيين خدمة جليلة وانقطع في آخر ايامه الى القاسم بن عبيدالله وظل مختصاً به مقدماً عنده يفشي اليه اسراره، واضافة الى ترجمته للكتب كانت له مؤلفات في الطب منها كتاب الادوية المفردة وكتاب تاريخ الاطباء، واكثر ما ترجمه اسحاق كان من كتب الفلسفة وكلام الفيلسوف اليوناني ارسطو طاليس فيها وقد فاقت هذه الكتب ما ترجمه من كتب الطب، وكان في نهاية عمره قد اصيب بمرض الفالج فمات به في شهر ربيع الاول سنة ثمان وتسعين ومائتين هجرية.

انظر: وفيات الاعيان ١/٢٠٥، اخبار العلماء باخبار الحكماء ٥٧، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ٢٣، دائرة المعارف الاسلامية.



صورة توضيحية جامعة للآلات الجراحية التي كان يستعملها اطباء العيون العرب في علم الكحالة (طب العيون)



اسحق بن حنين «العشر مقالات عن العين»، وقد بقي مع مؤلفات علي بن عيسى وعمار من الموصل المرجع الاول لطب العيون في اوروبة حتى القرن الثامن عشر[1].

---

(1) شمس العرب تسطع على الغرب ٢٧٩ .

عباس بن فرناس(*)

هو اول من فكر وحاول الطيران

بطائرة صنعها بنفسه

وهب الله تعالى الانسان العقل ليفكر به ويدبر به شؤون حياته في هذا الكون الرحيب، ومنذ خلق الانسان وهو يفكر مع ابناء جنسه لخلق

(*) هو عباس بن فرناس بن ورداس، كنيته ابو القاسم، اصله من كورة تاكرنا (رنده) بجنوب الاندلس في شرق المثلث الاسباني كانت ولادته حوالي عام مائة وتسعين هجرية، ونشأ في قرطبة حيث نبغ في عصر الخليفة الاموي الاندلسي الحكم بن هشام وعاصر من بعده ولده عبدالرحمن بن الحكم ثم حفيده محمد بن عبدالرحمن وحظي لدى هؤلاء الامراء الثلاثة والحفهم بمدائحه وادهشهم باختراعاته، ينتمي ابن فرناس الى اسرة من البربر الذين اعتنقوا الاسلام واسهموا في فتوحات الشمال الافريقي وحماية الاندلس من الافرنج ايام الخلافة الاموية، امتاز هذا الفذ بصفات عديدة قلما تجتمع في شخصية علمية اخرى، فهو فيلسوف وعالم رياضي وطبيعي وكيميائي وفلكي من الطراز الاول وهو موسيقي بارع وأديب شاعر ذو خيال وأفق علمي واسع، ولم يقتصر على معالجة البحوث العلمية التي كانت سائدة في عصره وانما جنح الى انواع فريدة لم يفكر فيها انسان قبله، وقد انتهت تجاربه في ميدان الكيمياء الصناعية الى اختراع صنع الزجاج من الرمال والحجارة فكان لهذا الابتكار العلمي دوي عظيم طير شهرته في آفاق الاندلس الرحيب، ولم يكتف بهذا بل اهتدى الى اختراع عدد من الآلات الفلكية الدقيقة منها آلة لمقياس الزمن سماها «الميقاتة» ومنها آلة تمثل حركة الكواكب السماوية سماها «ذات الحلق»، ومن معاصريه الشاعر الاندلسي مؤمن بن سعيد والمؤرخ الاديب عمر بن عبد ربه الاندلسي صاحب المؤلف المشهور «العقد الفريد»، ورغم كل هذه الحياة المشرقة لهذا العبقري، فقد رمي آخر عمره بالزندقة وحوكم محاكمة مأساوية شهيرة قضى فيها القاضي النزيه سليمان بن اسود الغافقي باطلاق سراحه وبراءته مما رمي به من التهم فعاش ابن فرناس الى حين وفاته عام مائتين وستين للهجرة.

انظر: تراجم اسلامية ٢٦٦، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ٢٨٩ .

طرق السعادة على الارض وما فوقها، فكان نظره يمتد احياناً الى اختراق الحجب واكتشاف المجهول، ومن المجاهيل التي امتدت فيها خطوات الانسان هذا الفضاء الواسع الشاسع الابعاد، فقد فكر منذ أقدم العصور في غزوه واستكناه جوهره ومحتواه وكان العالم العربي المسلم عباس بن فرناس من الاوائل السباقين الى ذلك، فقد هداه تفكيره العلمي الى صنع طائرة يطير فيها لاستكشاف المجهول، وقد أشار المؤرخون الى ذلك وحفظت كتب التاريخ محاولته تلك على انها اول محاولة للطيران.

جاء في كتاب «تراجم اسلامية»:

على ان أشهر ما اقترن باسم ابن فرناس هي محاولته اختراع آلة يستطيع الانسان ان يطير بها في الجو، وقد انتهى بالفعل الى القيام بتجربته الخطيرة على مشهد من اهل قرطبة فكسىٰ نفسه الريش على سرق الحرير ومد لنفسه جناحين على وزن وتقدير قدره ثم صعد الى ربوة عالية بناحية الرصافة واندفع منها في الهواء طائراً فحلق فيه حتى وقع في مكان مطاره على مسافة بعيدة، واشتهر ابن فرناس بهذه التجربة المدهشة التي ملأت مشاهديه من أهل قرطبة روعة واعجاباً وكان ذكره في كل مكان حتى قال فيه الشاعر مؤمن بن سعيد اكبر شعراء العصر:

يطم على العنقاء في طيرانها

اذا ما كسىٰ جثمانه ريش قشعم[1]

وقد اثبت الباحثون ان هذا العمل من ابن فرناس يعد اولية لم يسبقه اليها احد، وهذ ماقالته المستشرقة الالمانية «سجريدهونكه»:

قليلون هم الناس الذين يعلمون ما قام به العرب في حقل

(١) تراجم اسلامية ٢٦٨، دراسات في تاريخ العلوم ٢٨٩.

استخدام الهواء والسيطرة عليه، ففي عام ٨٨٠م بنى الطبيب ابن فرناس في اسبانية اول طائرة صنعها من القماش والريش ثم صعد بها مرتفعاً وترك نفسه للهواء يحمله فطار قليلاً ووفق الى بعض تجارب الانزلاق بها ثم وقع ارضاً فتحطم وتحطم معه حلم الانسانية القديم وحلم «ايكاروس» بالتحليق في الاجواء[1].

هو اول من صنع الميقاتة في الاندلس

كانت الاندلس منذ افتتاحها على يد العرب المسلمين حلقة وصل بين تراث الغرب وتراث العرب، وقد وجد فيها العقل العربي الفياض مسرحاً لنبوغه وعبقريته في العلوم المختلفة، وكان العبقري عباس بن فرناس واحداً من تلك العقول الفذة الفريدة، فقد استطاع في سلسلة مبتكراته العلمية ان يبتكر آلة لقياس الزمن وسجل له هذا الاختراع في الاندلس سبقاً علمياً رائداً في مضمار الفلك.

جاء في كتاب (تراجم اسلامية) في معرض تعداد مبتكرات ابن فرناس:

والثانية هي آلة لمقياس الزمن سماها ابن فرناس «الميقاتة» ورفعها الى الامير محمد بن عبدالرحمن (٢٣٨ ـ ٢٧٣هـ) وقد نقش عليها الابيات الآتية:

الا انني للدين خير ادارة
اذا غاب عنكم وقت كل صلاة
ولم تر شمس النهار ولم تنسر كواكب ليل حالك الظلمات
بيمن امام المسلمين محمد تجلت عن الاوقات كل صلاة[1]

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب ١٣٤ .

هو اول من ابتكر الآلة الفلكية المسماة «ذات الحلق»

اشتغل العلماء العرب بالعلوم الفلكية وابدعوا في صنع الآلات والاجهزة التي تعينهم على القياسات والارصاد الفلكية الدقيقة، وقد كللت جهودهم في هذا المجال بنجاح منقطع النظير بهر الاوربيين الذين جاؤا بعد ازمانهم، ومن الآلات الفلكية آلة (ذات الحلق) التي يعتبر ابن فرناس اول مكتشف لها وهي عبارة عن آلة ذات عدة حلقات متداخلة في وسطها كرة معلقة تمثل حركة الكواكب السماوية .

جاء في كتاب (تراجم اسلامية) في معرض الكلام عن ابتكارات ابن فرناس :

الاولى: واسمها (ذات الحلق)، وقد رفعها ابن فرناس الى الامير عبدالرحمن بن الحكم (٢٠٦ ـ ٢٣٨هـ) مرفقة بهذه الابيات التي تعرب عن وظيفتها وفائدتها :

قد تم ما حملتني من آلة
اعيا الفلاسفة الجهابذ دوني
لو كان بطليموس الهم صنعة
لم يشتغل بجداول القانون
فاذا رأته الشمس في آفاقها
بعثت اليه بنورها الموزون
ومنازل القمر التي حجبت معاً
دون العيون بكل طالع حين
يبدون فيها بالنهار كما بدت
بالليل في ظلماتهن الجون[1]

(١) تراجم اسلامية/٢٦٧ .

ابو القاسم الزهراوي(*)

هو اول من اشار الى الاصابة بمرض الهيموفيليا «نزف الدم الوراثي»

يعتبر مرض الهيموفيليا من الامراض الوبيلة الخطيرة التي يصاب بها الانسان، والمعروف عن هذا المرض طبياً انه ينقل من المرأة الى الرجل فيصاب به ولا تصاب به المرأة، فاذا ما خدش جسم الرجل او جرح فان

(*) هو خلف بن عباس الزهراوي الاندلسي، كنيته ابو القاسم، ولد بالزهراء من نواحي قرطبة في الاندلس وعاصر الخليفة الاموي عبدالرحمن الثالث، كان من اهل الفضل والدين والعلم وعلمه الذي لم يسبق فيه علم الطب وله فيه كتاب كثير الفائدة محذوف الفضول سماه «كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف»، وقد ذكره ابن حزم واثنى عليه وقال: ولئن قلنا انه لم يؤلف في الطب اجمع منه للقول والعمل في الطبائع لنصدقن، وقد قسم الزهراوي كتابه المشهور هذا الى ثلاثة اقسام، الاول للطب الداخلي، والثاني تناول فيه الاقراباذين (تحضير الادوية) والكيمياء، والثالث خصصه لفن الجراحة، وتمت ترجمة هذا الكتاب الى اللغة اللاتينية في مدينة البندقية عام ١٤٩٥م وامتاز بكثرة رسومه للآلات الجراحية آنذاك، قال المستشرق (الدوميلي): (انه اشهر اطباء الاندلس في ذلك العصر بل من اعظم اطباء المسلمين ايضاً وربما كان الزهراوي اعظم الجراحين العرب على وجه الخصوص)، وكان من عادة الزهراوي ان ينقع آلاته الجراحية في الصفراء لتطهيرها قبل اجراء العمليات الجراحية، وقد ثبت ان هذه المادة توقف تكاثر البكتريا وبهذا استحق ان يطلق عليه لقب (ابو الجراحة)، وقد اعتمدت اوروبا في العصور الوسطى كتبه ترتشف منها ما تريد، حيث كان له اضافة للكتاب السابق كتاب كبير مشهور اسمه (الزهراوي)، اضافة الى مقالات أخر في ابواب الطب، وتدل كتب الزهراوي الطبية على انه مارس التشريح بنفسه واجرى العديد من العمليات الجراحية وكانت وفاة الزهراوي عام اربعمائة وسبعة وعشرين للهجرة.

انظر: الصلة ١/١٦٥، جلوة المقتبس ٢٠٨، تاريخ علوم الطبيعة ١١٨، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ٥٦.



صورة قديمة توضح القيام بالعملية الجراحية
في جسم الانسان من قبل احد الاطباء



دمه يستمر بالنزف دون انقطاع الى حين وفاته وهذا المرض من الأمراض الوراثية التي تنتقل من الام دون الاب الى الولد، وقد اجريت الكثير من البحوث الطبية التي لا زالت مستمرة لاجل الحيلولة عليه، فلم تفلح لحد الآن لأن الاستعدادات الوراثية هي المهيمنة على نقله.

وأول من أشار الى تلك الاستعدادات الوراثية الموجودة في جسم الانسان هو الطبيب العربي المسلم ابو القاسم الزهراوي.

جاء في كتاب «تاريخ علوم الطبيعة»:

ويعتبر الزهراوي اول من اشار الى الاستعداد الخاص عند بعض الناس للنزيف (الهيموفيليا)[1].

هو اول من ربط الشرايين اثناء العمليات الجراحية

لقد ابدع الاطباء والحكماء العرب في اجراء العمليات الجراحية والتطبيب وأشهر هؤلاء ابن سينا وابن زهر والرازي، وكان قد تصدرهم جميعاً الطبيب ابو القاسم الزهراوي الذي اصبح رائداً في علم الجراحة وفنونها، ومن مآثره الجراحية عملية شق القصبة الهوائية وايقاف نزيف الدم بربط الشرايين الكبيرة وهو تحقيق علمي كبير ادعى تحقيقه لأول مرة الجراح الفرنسي (امبروازپاري) عام ١٥٥٢م في حين ان الزهراوي قد حققه قبله بستمائة سنة، وتعلم الآخرون من الزهراوي كيفية خياطة الجروح بشكل داخلي لا يترك شيئاً ظاهراً منها والتدريز في جراحات البطن وكيفية الخياطة بأبرتين وخيط واحد مثبت بهما واستعمال الخيوط المتخذة من امعاء القطط في جراحات الامعاء[2].

---

(١) تاريخ علوم الطبيعة ١١٨، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ٥٧.

(٢) دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ٧٠.

حفص بن سليمان الخلال(*)

هو اول وزير في الدولة العباسية

كان ابو سلمة الخلال قد ساهم مساهمة فعالة وقوية في اقامة الخلافة العباسية، فلما استولى السفاح على الخلافة استوزره وكان اول وزير في دولة بني العباس ثم قتله بعد ذلك، وقد ورد في كتب التاريخ تفصيل ذلك.

قال ابن خلكان:

وابو سلمة اول من وقع عليه اسم الوزير وشهر بالوزارة في دولة بني العباس ولم يكن من قبله يعرف بهذا النعت لا في دولة بني امية ولا في غيرها من الدول(1).

وقال ابن كثير:

وهو اول من سمي بالوزير، وقد حكى ابن خلكان عن ابن قتيبة

(*) هو حفص بن سليمان الخلال الهمداني المشهور بأبي سلمة الخلال، مولى السبيع، وزير ابي العباس السفاح اول الخلفاء العباسيين، كان ذا هيئة فاضلاً حسن المفاكهة وكان السفاح يأنس به ويحب مسامرته لطيب محاضرته، قيل له وزير آل محمد وعرف بالخلال لسكناه بدرب الخلالين بالكوفة، كان ابو سلمة الخلال ممتعاً في حديثه اديباً عالماً بالسياسة والتدبير وذا يسار يعالج الصرف بالكوفة انفق الاموال الكثيرة في اقامة دولة بني العباس وصار الى خراسان لأجل الدعوة لآل العباس وكان ابو مسلم الخراساني يومئذ تابعاً له في هذا الامر، وفي بداية الدعوة دعا الخلال لبيعة ابراهيم الامام اخي السفاح فلما قتله مروان بن محمد آخر الخلفاء الامويين في حران انقلب الخلال للدعوة الى السفاح، وبعد اربعة اشهر من تولي السفاح الخلافة حرض عليه ابا مسلم الخراساني فقتله، وكان ذلك في رجب سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

انظر: وفيات الاعيان ٢/١٩٥، البداية والنهاية ١٠/٥٦.

(1) وفيات الاعيان ٢/١٩٥.

ان اشتقـاق الوزيـر من الوزر وهـو الحمل، كـان السلطان حمله اثقالاً لاستناده الى رأيه كما يلجأ الخائف الى جبل يعتصم به[1].

وذكر ابن عبد ربه ذلك ايضاً عند كلامه عن ابي العباس السفاح حيث قال:

ووزر له ابو سلمة حفص بن سليمان الخلال وهو اول من لقب بالوزير، فقتله ابو العباس واستوزر بعده خالد بن برمك الى آخر ايـامه وكان حاجبه ابو غسان صالح بن الهيثم[2].

---

(١) البداية والنهاية ١٠/٥٦.

(٢) العقد الفريد ٥/٣٣٦.

جابر بن حيان(*)

هو اول من بشر بالمنهج التجريبي

في العلوم التطبيقية

(*) هو جابر بن حيان بن عبدالله الكوفي الصوفي، كنيته ابو موسى، ويقال له احياناً الطوسي واحياناً الطرسوسي وهو من الصابئة في بداية أمره ولذلك لقب ايضاً بالحراني، ودخل في الاسلام واظهر غيرة على دينه الجديد اما لقبه الصوفي فيرجع الى زمن متأخر، وهو غير جابر بن افلح المكنى بأبي محمد الفلكي الذي ظهر في القرون الوسطى، وغير جابر بن حيان الازدي الكوفي تلميذ الامام جعفر الصادق، كان جابر بن حيان متقدماً في العلوم الطبيعية بارعاً في صناعة الكيمياء وله فيها تآليف كثيرة ومصنفات مشهورة وكان مع هذا مشرفاً على كثير من علوم الفلسفة ومتقلداً للعلم المعروف بعلم الباطن وهو مذهب الصوفية، ذكر محمد بن سعيد السرقسطي المعروف بابن المشاط الاصطرلابي الاندلسي انه رأى لجابر بن حيان بمدينة مصر تأليفاً في عمل الاصطرلاب يتضمن الف مسألة لا نظير له، وقد اختلف المؤرخون في الفترة التي عاش فيها جابر بن حيان وأرجح الاقوال في ذلك انه عاصر الخليفة هارون الرشيد، حيث كانت لديه علاقة بالبرامكة الذين عاشوا وقتذاك، ولجابر بن حيان مؤلفات ينوف عددها على الخمسين مؤلفاً في مختلف العلوم واكثرها في صنعة الكيمياء وكان ينتهج طريقة خاصة في كتاباته، حيث كان يطيل الشرح احياناً ويوجزه احياناً اخرى، وقد درس كل ما خلفه الاقدمون فلم ير ما يشفي غليله من علم الكيمياء الا نظرية ارسطو في تكوين الفلزات وكذلك لم يعجبه المنهج الذي ساروا عليه فاشتق لنفسه منهجاً تجريبياً بحتاً صار هدياً للعلماء الذين جاؤا بعده وقد اعطى تقريراته في هذا المنهج التي كان اهمها اعتماد التجربة في استقصاء الحقائق العلمية واستنباطها، وعند جابر العلم يسبق العمل ومن ثم تأتي التجارب للاثبات، وفرق جابر بين العالم والجاهل، ورسم كذلك حدود المنهج الرياضي، وحضر الكثير من المواد الكيمياوية كنترات الفضة المتبلورة وحامض الآزوتيك، وهكذا ظل هذا العلم شامخاً ودائرة معارف يستقي منها العلماء لحين وفاته عام مائتين هجرية.

انظر: دائرة المعارف الاسلامية ٦/٢٢٦، اخبار العلماء باخبار الحكماء ١١١، الاعلام ٢/٩١.



الكيمياوي جابر بن حيان وهو منهمك بتحضير
بعض العقاقير كما اظهرته إحدى المخطوطات



اعتبر جابر بن حيان اول من وضع الاسس الاولى للمنهج التجريبي الذي سارت عليه اوروبا وظل علماؤها ينهجونه في علومهم التجريبية، وقد ثبتت هذه الاولية في التاريخ للعالم العربي المسلم جابر بن حيان .

جاء في (دراسات في تاريخ العلوم عند العرب):

اما من الناحية العملية فيكفي جابراً فخراً انه اول من بشر بالمنهج التجريبي اذ ان التجربة تصدرت منهجه العلمي، وقد وضع جابر بن حيان خطوات منهجه التجريبي بما اتفق عليه من جاء بعده من العلماء الطبيعيين، وكان قد لخصها في ثلاث خطوات رئيسية هي :

الخطوة الاولى :

ان يستوحي العالم من مشاهداته فرضاً يفرضه ليفسر الظاهرة المراد تفسيرها .

والخطوة الثانية :

ان يستنبط من هذا الفرض نتائج تترتب عليه من الوجهة النظرية الصرفة .

والخطوة الثالثة :

ان يعود بهذه النتائج الى الطبيعة ليرى هل تصدق او لا تصدق على مشاهداته الجديدة فان صدقت تحول الفرض الى قانون علمي يركن الى صوابه في التنبوء بما عساه ان يحدث في الطبيعة لو ان ظروفاً بعينها تواترت[1].

---

(١) دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ٢٦٦ .

هو اول من اكتشف ملح كلوروز الفضة

يعتبر ملح كلوروز الفضة مركباً كيمياوياً ناتجاً عن تفـاعل محلول ملح كلوريد الصوديوم (ملح الطعـام) مع محلول ملح نتـرات الفضة، ويمكن تحضيره مختبرياً من قبل اهل الكيمياء، وقد ظل هذا الملح مجهولاً الى زمن العالم العربي المسلم جابر بن حيان، حيث حضر الكثير من المواد والمركبات الكيمياوية في مجال عمله فهداه تفكيره وتجريبه الى اكتشاف هذا الملح واعتبر اول من حصل عليه.

جاء في كتاب «دراسات في تاريخ العلوم عند العرب»:

وحضر كثيراً من المواد الكيمياوية المعروفة كنترات الفضة المتبلورة وحـامض الآزوتيك وهـو اول من لاحظ ما يحـدث من راسب كلوروز الفضة عند اضافة محلول ملح الطعام الى محلول نترات الفضة[1].

---

(١) دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ٢٦٣.

جـوذر الصقـلي (*)

هو اول من لقب بلقب «مولى امير المؤمنين»

في مصــــر

لم يعهد الخلفاء العباسيون تلقيب الموالي الذين كانوا تحت ايديهم وانما كانوا يضفون الالقاب على من يولونهم العهد او يضعونهم في مواطن الامارة والقيادة، اما لقب (مولى امير المؤمنين) فقد اطلق اول ما اطلق على جوذر الصقلي، وكما روى الزركلي حيث ذكر قصة تلقيبه بهذا اللقب:

عند وفاة القائم بأمر الله سنة ثلاثمائة واربع وثلاثين وثـورة مخلد بن كيداد على اشدها، فاخفى المنصور ابن القائم وفاة ابيه وخرج لحرب ابن كيداد واستخلف جوذر على دار الملك وسائر البلاد وسلمه مفاتيح الخزائن ثم كان يرسل الكتب من القيروان وعليها عنوان القائم (ابيـه) ليوهم الناس بانه لا يزال حياً وتصل الكتب الى جوذر فيتصرف بها، ولما عاد المنصور الى المهدية وقد اخمد فتنـة مخلد بن كيدّاد، اعلن وفـاة ابيه

---

* هو جوذر الصقلي الملقب بالاستاذ، من رجال الدولة الفاطمية، كان في صباه عبداً من مجموعة مماليك مؤسسها عبيدالله المهدي واهداه الى ولي العهد ابي القاسم القائم بأمر الله وتقدم عند القائم حتى استخلفه وهو لا يزال ولياً للعهد على قصره سنة ثلاثمائة للهجرة، وجعله بعد ولايته الخلافة صاحب بيت ماله والموكل بخزائن الكساء والسفير بينه وبين الناس، وحينما توفي القائم بأمر الله سنة ثلاثمائة واربع وثلاثين اخفى المنصور موته واستخلف جوذر على دار المملكة وخرج للقضاء على ثورة بن كيداد فتمكن من ذلك وعاد ليرفع جوذر الى مكانة عالية، فحظي هذا بحريته ورفعته عند المنصور وظل الى زمن المعز لدين الله وسافر معه ومات في الطريق وذلك عام ثلاثمائة واثنين وستين هجرية.

انظر: الاعلام ٢/ ١٤١.

واعتق جوذر من الرق ولقبه بـ (مولى امير المؤمنين) وهو اول من كان له هذا اللقب وأمره ان يجعل مكاتباته لسائر الناس بصيغة : (من جوذر مولى امير المؤمنين الى فلان)، والا يكنىٰ في رسائله احداً ولا يقدم على اسمه اسماً الا الخليفة وولي عهده المعز لدين الله[1].

---

(1) الاعلام ٢ / ١٤٢.

داود بن علي العباسي(*)

هو اول وال على المدينة المنورة

في زمن العباسيين

عندما قامت الدولة العباسية واستتب الامر للخليفة الاول ابي العباس السفاح كان داود بن علي عم الخليفة من كبار القائمين بالدعوة لبني العباس، فاستعان به السفاح وجعله والياً على الكوفة سنة مائة واثنتين وثلاثين للهجرة وذلك في بداية خلافة السفاح حيث خرج الى الجمعة على برذون اشهب قريب من الارض بين عمه داود بن علي وأخيه ابي جعفر فأتى المسجد فصعد المنبر وتكلم، فصعد داود بن علي فقام على عتبتين من المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال: أيها الناس انه والله ما علا منبركم هذا

(*) هو داود بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي، كنيته ابو سليمان وهو عم الخليفة العباسي الاول ابي العباس السفاح، كانت ولادته سنة احدى وثمانين للهجرة، وكان فصيحاً مفوهاً روى الاحاديث النبوية الشريفة، وقد قام بدور كبير في ارساء دعائم الدولة العباسية، حيث دعا لبني العباس منطلقاً بذلك من مدينته الحميمة من ارض البلقاء في الاردن، ولما انتصر العباسيون على بني امية واستقرت الخلافة لأبي العباس السفاح صعد داود بن علي منبر الكوفة وخطب بالناس ووعدهم ومناهم، وقد ولاه ابن اخيه السفاح ولاية الكوفة والطائف والمدينة واقام الحج للناس في مكة المكرمة، ذكر ابن قتيبة ان داود كان قد تزوج أم موسى بنت علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب، فلما ماتت تزوج اختها أم حسن بعدها، وقد انتدب لتأديب اولاده ابا معاوية النحوي المحدث، ادرك داود ابن علي من خلافة العباسيين ثمانية اشهر فقط ومات سنة ثلاث وثلاثين ومائة هجرية.

انظر: المعارف ٢١٦، ٣٧٤، ٥٤٩، الشذرات ١/١٩١، الاعلام ٣/٨، تاريخ خليفة بن خياط ٢/٦٢٤.

خليفة بعد علي بن ابي طالب غير ابن اخي هذا فوعد الناس ومناهم[1].

وبعد ان اقام داود على ولاية الكوفة مدة من الزمن عزله السفاح عنها وولاه امارة المدينة ومكة واليمن واليمامة والطائف، فانصرف داود الى الحجاز واقام في المدينة فعاجلته منيته وهو اول من ولي المدينة من بني العباس[2].

(١) تاريخ خليفة بن خياط ٢ / ٦٢٤.

(٢) الاعلام ٣ /٨.

الحسن بن الهيثم (*)

هو اول من اجرى تجربة التصوير بآلة

(*) هو الحسن بن الحسن بن الهيثم البصري، كنيته ابو علي، ولد سنة ثلاثمائة واربع وخمسين هجرية في مدينة البصرة ونشأ بها ودرس العلوم المعروفة في عصره وهي الفلسفة والطبيعيات والرياضيات والطب، ثم هاجر الى مصر في عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، كانت طريقة ابن الهيثم في البحث العلمي قريبة جداً من طريقة البحث العلمي الحديث، فقد اعتمد الملاحظة الدقيقة والتجربة والقياس ولم يسلم ببساطة بآراء من سبقوه بل نظر اليها نظرة نقدية فاحصة معبراً في كل ذلك عن ايمان عميق بالعلم، وقد قال عن نفسه: «اني لم أزل منذ عهد الصبا متروياً في اعتقادات الناس وتمسك كل فرقة منهم بما تعتمده متشككاً في جميعه موقناً ان الحق واحد فرأيت اني لا أصل الى الحق الا من آراء يكون عنصرها الامور الحسية وصورتها الامور العقلية»، واشتهر ابن الهيثم بسبقه لفرنسيس بيكون الاوروبي الذي يعتبر مؤسس الطريقة الحديثة في البحث العلمي، وقد درس ابن الهيثم الضوء لا سيما البصريات الهندسية والف في ذلك كتابه (المناظر) وبهذا المؤلف بدأ علم الضوء يأخذ شكله الجديد، وشرح ابن الهيثم طريقة الرؤية وخالف بها بطليموس الذي كان يقول ان الرؤية تحصل من خلال سقوط الضوء من العين على الجسم المرئي فكان الرأي المعاكس الجديد الذي قاله ابن الهيثم هو الصواب، حيث اثبت ان الرؤية تحصل من خلال سقوط الضوء من الجسم المرئي على العين، ثم وصف ابن الهيثم تركيب العين وتشريحها وقال بان الصورة التي تكونها العين للاشياء تنطبع على الشبكية، وأجرى ابن الهيثم التجارب الضوئية العديدة ودرس ظاهرة انكسار الضوء الساقط كما درس احوال المرايا المستوية والكروية، ثم انه عند رحيله الى مصر درس فكرة حصر مياه نهر النيل وانشاء قناة توصل البحر الابيض بالبحر الاحمر، وتلهف الخليفة الحاكم بأمر الله بانشاء ذلك السد الذي مناه به ابن الهيثم على نهر النيل لكن الفكرة باءت بالفشل فرماه الخليفة بالخيانة وتظاهر ابن الهيثم بالجنون وفقدان العقل الى ان توفي الحاكم بأمر الله فعاد ابن الهيثم الى طبيعته السوية الاولى، وكانت لابن الهيثم مؤلفات وتصانيف عديدة تفوق الحصر والعد، واخيراً توفي سنة اربعمائة وثلاثين هجرية.

انظر: اخبار العلماء باخبار الحكماء ١١٤، تاريخ علوم الطبيعة ١٠٨، دراسات في تاريخ العلوم ٩٧.

اشتهر العالم العربي المسلم الحسن بن الهيثم بانه عالم فذ من علماء الضوء ونبغت عبقريته الفريدة في كثير من الابتكارات والاستكشافات الطبيعية التي اعتبرت في زمانه سبقاً علمياً رائداً ليفخر به العرب، ومن بعض انجازاته الفكرية التي درسها ظاهرة الظل وشبه الظل، حيث اجرى تجارب على الحجرة المظلمة المحتوية على ثقب في احد جدرانها ودرس سير الضوء فيها ولاحظ في تجربته هذه كيفية تكون الصورة على الجدار المقابل للثقب، واتخذ من ظاهرة الظلال دليلاً على ان الضوء يسير بخطوط مستقيمة وانه ينبعث من جميع اجزاء الجسم المضيء، ان ابن الهيثم دراسته هذه يعتبر اول من فكر بتكوين الصورة من خلال آلة كانت ال الاولى لابتكار آلة التصوير الحديثة، قالت المستشرقة الالمانية «سجريد هونكه»:

وكان ابن الهيثم اول من اجرى تجارب بواسطة نوع من (الألة ـ الثقب) التي هي في الواقع صورة اولى لآلة التصوير فيما بعد والتي برهنت له تمدد اشعة الضوء بخط مستقيم كما انه لم يصادق عينيه حين رأى صورة العالم مقلوبة رأساً على عقب لدى انعكاسها[1].

---

(١) تاريخ علوم الطبيعة ١٠٩، شمس العرب تسطع على الغرب ١٤٩.



العالم العربي الحسن بن الهيثم



ابو الوفاء البوزجاني (*)

هو اول من ادخل نسبة الظل المثلثية في الرياضيات واستعمالها

تعتبر نسبة الظل المثلثية من النسب الرياضية التي تستعمل في حل الكثير من المسائل الهندسية وخاصة فيما يتعلق باستخراج ميل المستقيم، وكذلك تستخدم في الحصول على النسب المثلثية الاخرى كالقاطع والقاطع تمام وغيرهما، ويرمز لهذه النسبة المثلثية برمز (ظا)، والمعروف ان النسب المثلثية لها أثر كبير يعرفه اهل الاختصاص في استعمالها لاستخراج

(*) هو محمد بن محمد بن يحيى بن اسماعيل بن العباس. كنيته ابو الوفاء البوزجاني، ولد بالبوزجان من بلاد نيسابور سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، يوم الاربعاء مستهل شهر رمضان، وفي العشرين من عمره نزح الى العراق ودرس في بغداد وأخذ العلوم عن عباقرتها من العلماء، وعمل في مرصدها الفلكي آنذاك، نبغ ابو الوفاء البوزجاني في علوم الرياضيات والحساب والمثلثات وجاء بالغرائب والاعاجيب فيها، وكان انتقاله الى بغداد سنة ثلاثمائة وثمان واربعين، فقرأ على يد ابي يحيى الباوردي وابي العلاء بن كرنيب فاحتوش من العلوم والمعارف ما أهله للتدريس واعطاء العلوم، فقرأ على يديه خاله المعروف بأبي عبدالله محمد بن عنبسة، وكذلك عمه المعروف بابن عمرو المغازلي، وصنف البوزجاني كتباً وتصانيف عديدة في حقل اختصاصه مفيدة للناس وطلاب العلم، وقد وضع الجدول السنيي في حساب الزوايا وعمل به ووضع رسالة في الرسم الهندسي وكيفية استعمالات آلات الرسم، واشهر كتبه التي الفها: الحساب وكتاب شرح كتاب الخوارزمي في الجبر والمقابلة، وكذلك برهن على نظرية الجيوب في المثلثات الكروية، وظل البوزجاني على حياته العلمية هذه مقيماً في بغداد حتى وفاته في ثالث رجب سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة هجرية.

انظر: اخبار العلماء باخبار الحكماء ١١٨، تاريخ علوم الطبيعة ٩٨، دراسات في تاريخ العلوم ٩٣.

الزوايا المثلثية وكذلك لايجاد مساحات المثلثات المستوية القائمة منها والمائلة، والنسب المثلثية المعروفة هي الجيب ورمزها (جا) والجيب تمام ورمزها (جتا) والظل ـ وهي التي نحن بصددها ـ ورمزها (ظل) والظل تمام ورمزها (قا) والقاطع تمام ورمزها (قتا).

ولكل زاوية من الزوايا الهندسية نسبها المثلثية وقيم هذه النسب الخاصة بها، وقد اهتدى علماء الرياضيات العرب الى كيفية استخراج هذه النسب وقيمها وكيفية استخدامها تطبيقياً في استخراج المساحات ومن هؤلاء العلماء ابو الوفاء البوزجاني الذي اعتبر بحق اول من جعل الظل نسبة مثلثية يمكن الاستفادة منها في علم الرياضيات.

ورد في كتاب (تاريخ علوم الطبيعة):

يعتبر ابو الوفاء البوزجاني اول من ادخل الظل كاحدى النسب المثلثية في الرياضيات واستعملها في حلول المسائل الرياضية وأدخل القاطع والقاطع تمام وحسب جدولاً للجيوب على تواصل (١٥) ... بدقته اذ كان صحيحاً لثمانية ارقام عشرية وبرهن على نظرية الجيوب في المثلثات الكروية ودرس المعادلات التكعيبية ومعادلات الدرجة الرابعة[1]

هو اول من عمم قانون الجيوب على المثلثات

من المثلثات ما هو قائم ومنها ما هو غير قائم «مائل»، ومن خلال استعمال نسبة الجيب المثلثية يمكن استخراج المساحات، واول من استعمل قانون الجيوب وعممه على انواع المثلثات هو العالم العربي ابو الوفاء البوزجاني.

جاء في كتاب «دراسات في تاريخ العلوم عند العرب» في ترجمة هذا

---

(١) تاريخ علوم الطبيعة ٩٨.

العالم.

فقد ابتكر طريقة لانشاء جداول للجيوب في المثلثات المستوية واعطاء جيب نصف الدرجة صحيحاً لثماني منازل عشرية، كما وضع جداول لنسبة الظل واستعمل القاطع وقاطع التمام، والمرجح ان حبش الحاسب والبتاني قد استعملا هذه الطريقة قبله الا ان ابا الوفاء اول من عمم قانون الجيوب على المثلث الكروي القائم وغير القائم وقد استعاض عن نظرية (منالاوس) بعلاقات بين النسب المثلثية[1].

(١) دراسات في تاريخ العلوم ١٧٠.

العلامة ابن خلدون(*)

هو اول من كتب في فلسفة التاريخ

لا يخفى على الانسان ان لكل علم فلسفته الخاصة به التي تبدأ من حيث ينتهي ذلك العلم ويتوقف بحيث يصبح عاجزاً عن الاجابة عن صعابه ومشكلاته، فعلم الكيمياء له فلسفة وعلم الطب له فلسفة وهكذا بقية العلوم الاخرى، ويعتبر علم التاريخ من العلوم الجليلة الخطيرة التي يجب على كل دارس ان يتبحر فيه ويمحص الحقائق، وكيف لا يكون هذا العلم كذلك وهو الذي ترتفع به الامة او تنحط بين الامم؟! فالتاريخ هو

(*) هو ولي الدين ابو زيد عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن عبدالرحيم الحضرمي الاشبيلي المالكي المعروف بابن خلدون، ولد يوم الاربعاء اول شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة بمدينة تونس ونشأ بها وطلب العلم وسمع من الوادي آشي وغيره وقرأ القرآن على عبدالله بن سعد بن نزال وأخذ العربية عن ابيه وأبي عبدالله السايري وغيرهما وأخذ الفقه عن قاضي الجماعة بن عبدالسلام وغيره، فبرع في العلوم وتقدم في الفنون ومهر في الادب والكتابة وولي كتابة السر بمدينة فاس لأبي عنان ولأخيه ابي سالم ورحل الى غرناطة سنة تسع وستين وكان ولي بتونس كتابة العلامة ثم ولي الكتابة بفاس ثم اعتقل سنة ثمان وخمسين وسبعمائة نحو عامين ودخل بجاية فراسله صاحبها فدبر اموره ثم رحل بعد ان مات الى تلمسان باستدعاء صاحبها فلم يقم بها فعاد الى فاس فقبض عليه ثم خلص الى مراكش وتنقلت به الاحوال الى ان عاد الى تونس سنة ثمانين فاكرمه سلطانها فسعوا به عن السلطان شأنه شأن الاعلام الذين يكونون عرضة لسهام الجهال فوجد غفلة من المطاردين وفر الى الشرق وذلك في شعبان سنة اربع وثمانين ثم ولي قضاء المالكية بالقاهرة ثم عزل وولي مشيخة البيبرسية ثم عزل عنها ثم ولي القضاء مراراً آخرها في رمضان من نفس السنة السابقة فباشره ثمانية ايام فادركه اجله، وكان ابن خلدون ممن رافق العسكر الى تيمورلنك فاجتمع به فاعجبه كلامه وبلاغته وحسن ترسله الى ان خلصه الله من يده فصنف مؤلفه المشهور «التاريخ الكبير» في سبعة مجلدات ضخمة اظهر فيه فضائله وأبان فيه عن براعته وكان لا يتزيا بزي القضاء، قال فيه



عالم الاجتماع العربي المسلم المؤرخ ابن خلدون



اخبار الاحداث الخاصة بالامة واخبار رجالها الذين صنعوا تلك الاحداث، وحينما يريد الاعداء الحاقدون هدم كيان أمة ما فانهم يعمدون الى الطعن في رجالها وتشويه صورهم امام الاجيال اللاحقة كي يرى الشباب والناشئة اجدادهم قطعة سوداء مظلمة لا يستحقون الذكر والافتخار بهم، وهذا الذي نذكره حقيقة لا يتنازع فيها اثنان.

وان الذي ينظر الى تاريخ امتنا العربية المجيدة يدرك مدى الجهود التي قام بها ابطال الفكر التاريخي كأبن خلدون واقرانه في الدفاع المستميت عن هذا التاريخ كما يدرك ايضاً تلك المعاول التي ارادت الكيد لرجالات امتنا النبلاء وكم سهرت الليالي في سبيل الحط من شأنهم ولكن والحمد لله باءت كل جهودهم الحاقدة بالفشل الذريع والبوار السريع لأن امتنا العربية الاسلامية اكبر واعلى من احقادهم وهي مشرفة من لدن عزيز

لسان الدين بن الخطيب في تاريخ غرناطة: رجل فاضل جم الفضائل رفيع القدر أصيل المجد وقور المجلس عالي الهمة قوي الجأش متقدم في فنون عقلية ونقلية كثير الحفظ صحيح التصور بارع الخط حسن العشرة فخر من مفاخر العرب، كان ابن خلدون في مقدمته المشهورة اشهر من علم على رأسه نار وقد كتب في المنطق فكان يرى ان المنطق الشكلي وحده لا يؤدي الى اكتشاف اسرار الطبيعة ولذلك دعا الى النهج العلمي والاستفادة من تجارب الآخرين وخبراتهم بل من تجارب الانسانية كلها، وذهب الى ان فائدة المنطق ليست الكشف عن معرفة جديدة بل في توجيهنا كي نتوصل الى استنتاجات صحيحة مما جاءنا عن طريق التجربة، وظل ابن خلدون علماً شامخاً وعبقرياً عربياً فذاً وقدوة في كتاباته في التاريخ والفلسفة لكل من جاء بعده من الاوربيين، وكانت وفاته فجأة وهو متول للقضاء يوم الاربعاء لاربع بقين من شهر رمضان سنة ثمان وثمانمائة هجرية ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر وله ست وسبعون سنة وخمسة وعشرون يوماً.

انظر: شذرات الذهب ٧/٧٦، تاريخ علوم الطبيعة ١٣٣ .

حكيم اذ كانت خير أمة اخرجت للناس ولولا ما فيها من نوازع الخير والمعروف والاحسان وشمائل الصبر والشجاعة لما اختارها الله لحمل الرسالة الاسلامية السمحة خاتمة الرسالات ولما شرف بقاعها وجعلها مهبط الوحي السماوي والديانات.

وقد نظر عالمنا العربي المسلم الى كل هذا وذاك فكان اعظم من كتب في التاريخ واول من اوجد فلسفة له يحذو حذوها المؤرخون ويسترشد بهديها الفلاسفة في هذا العلم الجليل، وقد ثبت تاريخياً ان ابن خلدون سبق غيره من علماء الغرب الذين يتباهون بانهم كتبوا في فلسفة التاريخ والحقيقة ان كل فلاسفة الغرب في التاريخ عالة عليه.

جاء في كتاب «تاريخ علوم الطبيعة»:

يعتبر ابن خلدون اول من كتب في فلسفة التاريخ والمؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع ويشهد على ذلك كتابه الذي عرف بمقدمة ابن خلدون، وهي في الواقع من اوائل المحاولات لدراسة التاريخ دراسة علمية قائمة على البحث في العوامل الموضوعية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المؤدية لتقدم المجتمع البشري، وكان ابن خلدون يرى ان حوادث التاريخ مقيدة بقوانين وان للظواهر الاجتماعية اسباباً يمكن ان تدرس وتكتشف وان هذه الاسباب هي في الاساس اجتماعية او ما سماه طبيعة العمران، وذهب الى ان الانسان قادر على اكتشاف قوانين الطبيعة والمجتمع بقوة عقله كما انه يستطيع ان يستخدم تلك القوانين في جلب المنافع ودفع المضار في حياته الشخصية وفي حياة المجتمع[1].

---

(١) تاريخ علوم الطبيعة ١٣٤ .

زيري بن مناد الصنهاجي(*)

هو اول من ملك من الصنهاجيين بالمغرب الاوسط

ينتسب الامير زيرى الى قبيلة صنهاجة، وهي قبيلة مشهورة من حمير في بلاد المغرب، وقد شارك رجالها في السياسة وادارة دفة الحكم هناك وكان اول من شارك في ذلك الامير زيرى، وهو الذي بنىٰ مدينة أشير وحصنها في ايام خروج ابي يزيد مخلد النحاري حينما خرج على القائم بن المهدي وعلى ولده المنصور اسماعيل وملكها وملك ما حولها، وقد اعطاه المنصور المذكور تاهرت واعمالها.

هذا ما أثبته ابن خلكان في وفياته هم الامير زيري واعتبره اول من ملك من الصنهاجيين في بلاد المغرب. وكذلك ورد في اعلام الزركلي وشذرات ابن العماد الحنبلي ما يؤيد هذه الحقيقة[1].

(*) هو الامير زيري بن مناد الحميري الصنهاجي جد المعز بن باديس، كان حسن السيرة تام الشجاعة صارماً جريئاً وكانت بينه وبين جعفر بن علي الاندلسي ضغائن واحقاد افضت الى الحرب فلما تصافا لها انجلىٰ الموقف عن قتل زيري وذلك في شهر رمضان سنة ستين وثلاثمائة للهجرة، وذكر انه كبا به فرسه فسقط على الارض فقتل وكانت مدة ملكه ستاً وعشرين سنة وهو صاحب مدينة تاهرت، وقد بنى الامير زيري مدينة أشير واليه تنسب .

انظر : الشذرات ٣/٢٩، وفيات الاعيان ٢/٣٢٣، الاعلام ٣/١٠٣.

(١) وفيات الاعيان ٢/٣٤٣، شذرات الذهب ٣/٢٩، الاعلام ٣/١٠٣.

ابـو نـــؤاس الشاعـر(*)

هو اول من نهج بالشعر الى الطريقة الحضرية
واخرجه من اللهجة البدوية

أثرت حياة البـداوة التي عاشهـا الشعراء العـرب على نتـاجاتهم الشعرية واساليبهم الادبية وصورهم التي كانوا يرسمونها في قصائـدهم وليس هذا بغريب عليهم كبشر فان الانسان ابن بيئته، لـذلك وجـدنا اشعار الجاهليين تختلف عن الاسلاميين الذين عاشوا في صدر الاسلام والدولة الاموية، والشعراء الذين جاءوا بعد هؤلاء واولئك وعاشوا زمن الدولة العباسية اختلف شعرهم عمن قبلهم، فبينما كان الشاعر الجاهلي يتغزل ويبدأ غزله بالبكاء على الاطلال والدمن والآثار وجـدنا الشـاعر

(*) هو ابو علي الحسن بن هاني بن عبدالاول بن الصباح المعروف بأبي نؤاس الحكمي الشاعر المشهور، ولد بالبصرة ونشأ بها ثم خرج الى الكوفة مع والبة بن الحباب ثم صار الى بغداد، وأمه اهوازية اسمها جلبان، كان ابوه من جند مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية ومن اهل دمشق، ذكر انه عند ولادته اسلمته امه الى بعض العطارين فرآه ابو اسامة والبة بن الحباب، فاستحلاه فقال له: اني ارى فيك مخايل ارى لك ان لا تضيعها وستقول الشعر ناصحبني اخرجك فصار ابو نؤاس معه وقدم به بغداد فكان اول ما قاله من الشعر وهو صبي ابياته المشهورة التي مطلعها:

حـامـل الهـوى تـعـب   يـسـتـخـفـه الـطرب

ويعتبر ابو نؤاس من الطبقة الاولى من المولدين وشعره عشرة انواع وقد اجاد في جمعها حتى ان جماعة من الفضلاء اعتنوا بشعره منهم: ابـو بكر الصـولي وعلي بن حـمزة وابراهيم بن احمد الطبري المعروف بتوزون، وحينما سئل ابو نؤاس عن نسبه قال: اغناني ادبي عن نسبي، وقد كان قوي البديهة والارتجال، قال المأمون يوماً: لو وصفت الـدنيا نفسها لما وصفت بمثل قول ابي نؤاس:

العباسي يبدأ قصيدته بغير ذلك، وبينما كانت القصيدة الجاهلية تحتاج الى معجم لفك معمياتها اللغوية وتقعرات مفرداتها، وجاءت القصيدة العباسية اوضح واسرع فهماً لدى السامع او القارىء وذلك لبساطة لغتها ومحاكاة صورها الشعرية لحياة اكثر الناس، وبينما كان التغزل بالبدويات هو المألوف الشائع لدى الشعراء الجاهليين صار هذا التغزل شاذاً عند الشعراء المتأخرين.

فالبيئة التي عاشها الشعراء في زمن العباسيين هي غير تلك التي عاشوها قبل الاسلام، وشاعرنا ابو نؤاس عاش زمن خلافة

الا كل حي هالك وابن هالك
وذو نسب في الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو في ثياب صديق

[illegible] ابو نؤاس علوم العربية من ابي عبيدة فقيل له: ما تقول في الاصمعي؟ [illegible] قيل فما تقول في خلف الاحمر؟ قال: جمع العلم وفهمه، قيل: فما تقول في ابي عبيدة؟ قال: ذاك اديم طوى على علم، وذكر المؤرخون عن ابي نؤاس انه كان [illegible] في اخر حياته. ودعا الله تعالى بابيات شعرية مشهورة بالغفران [illegible] الابيات:

[illegible] عظمت ذنوبي كثرة
فلقد علمت بان عفوك اعظم

[illegible] ان ابا نؤاس ولد سنة خمس واربعين ومائة للهجرة وتوفي [illegible] ببغداد ودفن في مقابر الشونيزي، وانما قيل له ابو نؤاس [illegible] على عاتقه.

[illegible] تاريخ بغداد ٧/٤٣٦.

هارون الرشيد وولده المأمون، حيث بلغت فيه الحضارة العربية مبلغاً كبيراً وانقلبت الخيام الى قصور فارهة والصحارى الى حدائق غناء ولا أدل على تغير المنحنى الذي صار عليه الشعراء شعره الذي يصف به حسناء رآها في مأتم حيث يقول:

يا قمراً ابصرت في مأتم
يندب شجواً بين اتراب
أبرزه المأتم لي كارهاً
برغم دايات وحجاب
يبكي فيذرى الدر من عينه
ويلطم الورد بعناب
لا زال موتاً دأب أحبابه
ولم تزل رؤيته دأبي[1]

وكذلك من شعره الذي نزع به نزوعاً حضرياً وصفه للدنيا بقوله:

وما الناس الا هالك وابن هالك
وذو نسب في الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو في ثياب **صديق**[2]

(١) تاريخ بغداد ٤٣٨/٧.

(٢) تاريخ بغداد ٤٤٣/٧.

شــرح المفردات

الدوانيق/٧: جمع دانق ـ بفتح النون ـ هو عملة عربية كانت متداولة ايام الدولة العباسية. ومقدار الدانق سدس الدرهم، ومنه سمي الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور بالدوانيقي لأنه كان يستقصي أقل عملة نقدية فلا يضيعها خارج بيت المال .

أقنىٰ الأنف/٧: أي في أنفه إحديداب . ويقال: رجل أقنىٰ الأنف ، وامرأة قنواء .

الزيج/١١: مصطلح يستعمل في علم الفلك. والزيج الفلكي هو الدائرة الفلكية لأحد الكواكب السماوية أي المدار الذي يدور فيه ذلك الكوكب، ويطلق عليه ايضاً لفظ: البرج .

استكناه/١٣: البحث عن ماهية الشيء وكنهه.

بيمارستان/١٤: لفظة غير عربية وتعني المستشفى.

الغث والسمين/١٨: بمعنى الرديء والجيد.

إستسنّها/٢٠: جعلها سنة وعادة متبعة من بعده.

مكتل/٢٢: هو وعاء شبيه بالزنبيل يسع خمسة عشر صاعاً. والصاع من المكاييل العربية القديمة وهو ما يعادل اربعة امداد. والمد ـ بضم الميم ـ مكيال يعدل رطلاً وثلث الرطل عند اهل الحجاز، ويعدل رطلين عند اهل العراق. والرطل ـ بفتح الراء وكسرها ـ يعادل نصف مَن والمن مكيال معروف حالياً .

صمصامة عمرو/٢٢: الصَّمصام هو السيف الصارم الذي لا ينثني، وكذلك الصمصامة. ومنه صمصامة عمرو وهو سيف الفارس المشهور عمرو بن معد يكرب الزبيدي .

الزعاف/٢٢: صفة للسم القاتل.

الفِرِنْد/٢٢: السيف.

الضريبة/٢٢: الطبيعة، السيف.

شابت/٢٢ : بمعنى خلطت. من الفعل شاب يشوب.

القِسِيّ الموترة/٢٢ : جمع قوس. وموترة أي معها أوتارها.

مُنَضَّدة/٢٤ : مصفوفة ومرتبة ترتيباً منسقاً.

الرخ/٣١ : لفظة تستعمل في لعبة الشطرنج بمعنى القلعة. وهي من الآلات القوية في اللعب.

البيدق/٣١ : لفظة يستعملها الشطرنجيون بمعنى الجندي. وهو أقل الآلات الشطرنجية تأثيراً.

البوار/٣٢ : الهلاك والدمار.

الصولجان/٣٤ : كلمة فارسية معربة تعني المحجن. وهو أشبه بالعصا المعقوفة من احد رأسيها.

شروى نقير/٣٥ : النقير تعني النقرة الصغيرة الضئيلة التي في ظهر النواة او البذرة. والعبارة هنا مجازية تستعمل للدلالة على الجزء الصغير الحقير.

طمر/٣٦ : هو الثوب الخَلَق القديم، والجمع اطمار.

كور/٣٦ : رحل الدابة بما فيه. والجمع : أكوار وكيران.

أهرت/٤٨ : الهَرت بمعنى الطعن والطيخ والتمزيق الشديد. والأهرت هو الذي يتصف بهذه الصفات.

الشدق/٤٨ : جانب الفم او الفك. والجمع : أشداق.

الخميسين/٧٧ : مثنى خميس. وهو الجيش العرمرم الكبير.

تخرصاً/٧٨ : التّخرُّص معناه الكذب. وأصله من الفعل خَرَصَ أي كذب.

سُكرُجّة/٨٧ : لفظة معربة تعني نوع من انواع الآنية التي يوضع فيها الطعام.

دِلاص/١٠١ : مفردها : دليص، ودرع دلاص بمعنى ملساء لينة براقة.

المسدي/١٠١ : السُّدىٰ واللُّحمة خيطان يتعاقبان ويشتبكان فيما بينهما عند نسج قطعة القماش او النسيج. والمسدّي هو القائم على ربط السُّدىٰ باللحمة.

الشاذروان/١٠٢ : لفظة معربة بمعنى نافورة الماء التي توضع وسط الحديقة .

الأقرباذين/١٠٢ : لفظة طبية قديمة تعني الكتاب الذي يشتمل على عمليات تحضير الأدوية وكيفية استعمالها لدى الاطباء .

الخوانيق/١٠٥ : ما كان يستعمل قديماً لأجل الخنق والاماتة .

القلانس/١٠٦ : مفردها قَلَنْسُوَة وقُلَنْسِيَة . وهي غطاء يلبس على الرأس قد يكون طويلاً او قصيراً .

الايام البيض/١١١ : هي الايام الوسطى من الشهر القمري الهجري التي يكمل البدر في لياليها فيكون أبيض اللون فضياً اول ظهوره. وهذه الايام تكون لياليها بيض. وهي اليوم الثالث عشر واليوم الرابع عشر واليوم الخامس عشر. وقد سن النبي محمد(ﷺ) صيامها وسميت بهذا الاسم لذلك السبب .

القيان/١١٣ : مفردها: قَيْنَة. وهي الأَمَةُ (المرأة غير الحرة) مغنية كانت او غير مغنية .

قَعود هزيل/١٣٠ : القَعود هو البعير من الابل. وهو البكر حين يركب أي يمكن ظهره من الركوب. وأقله سنتان الى ان يُثني فاذا اثنىٰ سمي جملاً .

وقيل: القعود من الابل هو الذي يقتعده الراعي في كل حاجة .

المسوح/١٣٤ : مفرده: المِسْح وهو الثوب الغليظ من الشعر الذي يلبسه الرهبان والزهاد. ويجمع ايضاً على: أمساح .

الطيار/١٤٦ : هي بمثابة السفينة العائمة في النهر او ما يدعىٰ في زماننا باسم (الطّبكه) التي توضع في النهر لحمل اكبر عدد من الناس. وقديماً كانوا يستخدمونها في الاحوال الطارئة كالفيضان حيث يلوذ الناس اليها لأداء الصلوات والدعاء .

ملقة/١٤٦ : المَلَقَةُ هي الصفاة (الصخرة) الملساء.

السواجم/١٥٣ : صفة للعيون التي تسح بالدمع وتسيل.

المناسم/١٥٣ : جمع كلمة: مَنسِم. ومعناها خُف البعير.

نُوّار/١٥٣ : الشجيرة المنيرة الجميلة. او النور المنبعث من الشجرة المسماة نُوّارة.

هَبَوات/١٥٣ : جمع هَبوَة. وهي الغُبرة او العجاجة.

المذاكي/١٥٣ : هي الخيل التي أتىٰ عليها بعد قروحها سنة او سنتان.

القشاعم/١٥٣ : جمع قَشعم وهو النسر، او الرجل المسن.

الظُبا/١٥٣ : مفردها ظُبَةٌ وهي حد السيف او الرمح او ما اشبه.

اللهازم/١٥٤ : جمع لَهزَمة. واللهزمتان هما عرقان او غدتان ناتئتان تحت الأذنين.

يُشرعون/١٥٤ : يقال: يُشرعون اسلحتهم نحو العدا، أي: يوجهونها الى الاعداء.

ضربة لازم/١٥٤ : أي واجبة محتمة.

دهماء الناس/١٥٨ : عامة الناس.

غرارة/١٨٩ : الغِرارة وجمعها غرائر. هي ما يوضع فيها التبن وتحمل على الدابة وتسمىٰ في لهجتنا الدارجة باسم (الشّليف).

يزمزم/٢٠١ : الزمزمة تعني صوت الرعد. وتعني ايضاً كلام المجوس الخافت عند جلوسهم للطعام. وهي عادة من عاداتهم.

يطم/٢٢٣ : من طَمَّ يَطُمُّ بمعنى دفن الشيء وسَواه بالارض. وكل شيء كثر وعلا حتى غلب على غيره يقال له: طَمٌّ.

العنقاء/٢٢٣ : بمعنى الداهية. والأصل: العنقاء طائر خرافي عظيم الهيئة مجهولها كانت العرب تضرب به المثل فقالوا: المستحيلات ثلاثة: الغول والعنقاء والخل الوفي.

الجَوْن/٢٢٥ : الأبيض. وتعني ايضاً الاسود. وهي كلمة تعتبر من الاضداد في اللغة

العربية أي تحمل معنيين متضادين. والجمع: جُون.

برذون أشهب/٢٣٩: البرذون بمعنى الدابة التي تركب. والاشهب هو اللون الابيض المخلوط بالسواد القليل.

ذؤابتان/٢٥٥: مفردها ذؤابة. وهي خصلة الشعر الطويلة المتدلية على الكتف.

تنوسان/٢٥٥: من الفعل ناسَ يَنوسُ أي تحرك وتذبذب.

أتراب/٢٥٦: جمع تِرْب بمعنى القرين بِسنِكَ الذي ولد معك فعمره قريب من عمرك.

دايات/٢٥٦: جمع داية. وهي لفظة معربة معناها الخادمة او الوصيفة.

عناب/٢٥٦: العُنّاب هو نوع من انواع الثمر الجميل. وقيل هو الورد الاحمر اللون الذي يبهر الناظرين.

فهرس الاعلام

حرف البـــاء

حـرف التـاء

حـرف الثـاء

حـرف الحـاء

حـرف الخـاء

حــرف الجيم

حــرف الــدال

حــرف الــذال

حــرف الــراء

حــرف الــزاي

حـــرف السين

حـــرف الشين

حـرف الصـاد

حـرف الطـاء

حـرف الظـاء

حـرف العين

حــرف الفــاء

حــرف القــاف

حــرف الكــاف

حــرف الــلام

حــرف الميــم

حــرف النــون

حــرف الهــاء

حرف الواو

حرف الياء

فهرس البقاع والوقائع

فهرس الموضوعات

فهرس المصادر والمراجع المعتمدة

١) القرآن الكريم.

٢) اخبار العلماء باخبار الحكماء/ جمال الدين ابو الحسن علي بن القاضي الاشرف يوسف القفطي ت ٦٤٦هـ . دار الآثار/بيروت .

٣) الاخبار الموفقيات/ أبو عبدالله الزبير بن بكار الاسدي ت ٢٥٠هـ/تحـ: د. سامي مكي العاني/مطبعة العاني - بغداد - ١٩٧٢

٤) الأخبار الطوال/ ابو حنيفة احمد بن داود الدينوري ت ٢٨٢هـ/ تحـ: عبدالمنعم عامر، د. جمال الدين الشيال/ دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - ط١/ ١٩٦٠ .

٥) أصول الفقه/ محمد الخضري بك/ المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة - ط٦/١٩٦٩ .

٦) انموذج القتال في نقل العوال// شهاب الدين احمد بن يحيى المغربي المعروف بابن أبي حجلة التلمساني ت ٧٧٦هـ/تحـ: زهير احمد القيسي - دار الرشيد للنشر - بغداد/ ١٩٨٠ .

٧) أمثال العرب/ ابو العباس المفضل بن محمد الضبي ت نحو ١٧٨هـ/ تحـ: د. إحسان عباس - دار الرائد العربي - بيروت - ط١ / ١٩٨١ .

٨) اخبار الراضي والمتقي من كتاب الأوراق/ ابو بكر محمد بن يحيى الصولي ت ٣٣٥هـ/تحـ: ج. هيورث. دن/ دار المسيرة - بيروت - ط٢ / ١٩٧٩

٩) اخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول محمد عبدالمعطي بن ابي الفتح الاسحاقي المنوفي - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر - ط١/١٣١١هـ .

١٠) **أدب الدنيا والدين**/ ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ت ٤٥٠هـ/تحـ: مصطفى السقا ـ مطبعة اوفسيت الميناء ـ بغداد/١٩٨٣ .

١١) **اخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**/ ابو الوليد محمد بن عبدالله بن احمد الأزرقي/ تحـ: رشدي الصالح ملحس ـ دار الاندلس/١٣٨٥هـ .

١٢) **إغاثة الأمة بكشف الغمة**/ تقي الدين ابو العباس احمد بن علي المقريزي ت ٨٤٥هـ/ مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة .

١٣) **الاصابة في تمييز الصحابة**/ ابن حجر العسقلاني شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي بن محمد، ت٨٥٢هـ/دار العلوم الحديثة ـ ط١ /١٣٢٨هـ .

١٤) **الاستيعاب في معرفة الاصحاب**/ ابو عمر يوسف بن عبدالله بن عبد البر القرطبي، ت٤٦٣هـ/مطبوع بهامش الاصابة في تمييز الصحابة/ دار العلوم الحديثة ـ ط١ /١٣٢٨هـ .

١٥) **الأموال**/ ابو عبيد القاسم بن سلام ت ٢٢٤هـ/ تحـ: خليل هراس ـ مكتبة الكليات الأزهرية بمصر ـ ط١ /١٩٦٨ .

١٦) **اخبار عمر واخبار عبدالله بن عمر**/ علي الطنطاوي، ناجي الطنطاوي/ دار الفكر ـ ط٣/١٩٧٣ .

١٧) **أسد الغابة في معرفة الصحابة**/ عزالدين علي بن محمد بن الأثير الجزري، ت ٦٣٠هـ/ القاهرة/١٩٧٠ .

١٨) **اخبار النحويين البصريين**/ أبو سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي، ت٣٦٨هـ/ تحـ: كرنكو/ المطبعة الكاثوليكية/ بيروت ١٩٣٦ .

١٩) **الاتقان في علوم القرآن**/ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، ت ٩١١هـ/ المكتبة الثقافية/ بيروت .

٢٠) اعلام تميم/ حسين حسن/ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ ط١/ ١٩٨٠ .

٢١) الاعلام/خيرالدين الزركلي/ بيروت ـ ط٢ / ١٩٥٤ .

٢٢) بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس/ احمد بن يحيىٰ بن احمد بن عميرة الضبي، ت ٥٩٩هـ/دار الكاتب العربي/١٩٦٧ .

٢٣) البداية والنهاية/ اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ت ٧٧٤هـ/دار الفكر ـ بيروت/١٩٧٨ .

٢٤) تاريخ آداب اللغة العربية/جرجي زيدان ـ مطبعة الهلال ـ القاهرة/١٩١٢ .

٢٥) تاريخ قضاة الاندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)/ ابو الحسن بن عبدالله بن الحسن النباهي الاندلسي، ت نحو ٧٩٥هـ/ المكتب التجاري للطباعة/بيروت .

٢٦) تاريخ علوم الطبيعة/ د. محمد عبداللطيف مطلب/ دار الحرية للطباعة ـ بغداد/١٩٧٨ .

٢٧) التاريخ العام لليمن/ محمد يحيى حداد/ شركة دار التنوير للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ط١/١٩٦٨ .

٢٨) تاريخ الخلفاء/ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، ت ٩١١هـ/تحـ: محمد ابوالفضل ابراهيم/ دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ القاهرة/١٩٧٥ .

٢٩) تاريخ حضارة وادي الرافدين/ د. احمد سوسة/ دار الحرية للطباعة ـ بغداد/١٩٨٣ .

٣٠) تاريخ بغداد/ ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي، ت ٤٦٣هـ/ دار الكتاب العربي/بيروت

٣١) **التاريخ الكبير**/ محمد بن اسماعيل الجعفي البخاري، ت ٢٥٦هـ/ حيدر آباد/١٩٥٩ .

٣٢) **تاريخ الرسل والملوك**/ محمد بن جرير الطبري، ت ٣١٠هـ/مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر ـ ط٢ /١٩٨٧ .

٣٣) **تاريخ خليفة بن خياط**/ خليفة بن خياط العصفري، ت ٢٤٠هـ/تحـ: سهيل زكار ـ دمشق/١٩٦٧ .

٣٤) **التفسير الكبير** (مفاتح الغيب)/ فخرالدبن ابو عبدالله محمد بن عمر بن حسين الرازي، ت ٦٠٦هـ/دار الكتب العلمية ـ طهران/الطبعة الثانية .

٣٥) **تراجم اسلامية شرقية وأندلسية**/ محمد عبدالله عنان/ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ ط٢ / ١٩٧٠ .

٣٦) **تحفة الزمن في تاريخ اليمن**/ بدر الدين ابو عبدالله بن الأهدل اليمني، ت ٨٥٥هـ/ تحـ: عبدالله محمد الحبشي / شركة دار التنوير للطباعة والنشر ـ ط١ /١٩٨٦ .

٣٧) **الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور**/ جورج كونتينو ـ ترجمة وتعليق: طه التكريتي، برهان عبد التكريتي ـ دار الرشيد للنشر ـ بغداد/١٩٧٩ .

٣٨) **حياة الحيوان الكبرى**/كمال الدين الدميري، ت ٨٠٨هـ/دار الفكر ـ بيروت .

٣٩) **حضارة العراق**/ نخبة من الباحثين ـ دار الحرية للطباعة ـ بغداد/١٩٨٥ .

٤٠) **حلية الأولياء**/ ابو نعيم احمد بن عبدالله الاصفهاني، ت ٤٣٠هـ/ المكتبة السلفية بمصر .

٤٢) **حياة الصحابة**/ محمد يوسف الكاندهلوي/ دار القلم ـ دمشق ـ ط١/١٩٦٩ .

٤٣) **خزانة الادب ولب لباب لسان العرب**/ عبدالقادر بن عمر البغدادي، ت ١٠٩٣هـ/ تحـ: عبدالسلام محمد هارون ـ دار الكاتب العربي ـ القاهرة/١٩٦٨ .

٤٤) **الخراج**/ابو يوسف القاضي/المكتبة التونسية .

٤٥) **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس**/ أبو عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله الازدي الحميدي ، ت ٤٨٨هـ/الدار المصرية للتأليف والترجمة/١٩٦٦ .

٤٦) **جامع الترمذي بشرح الأحوذي**/ ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ت ٢٧٩هـ/دار الكتاب العربي/بيروت .

٤٧) **دراسات في تاريخ العلوم عند العرب**/ حكمت نجيب عبدالرحمن/ مطبعة جامعة الموصل/١٩٧٧ .

٤٨) **دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية**/ د. عرفان عبدالحميد/ مطبعة أسعد ـ بغداد/١٩٧٧ .

٤٩) **دراسات في النظم العربية الاسلامية**/ د. توفيق سلطان اليوزبكي/ مطابع مؤسسة دار الكتب ـ جامعة الموصل/١٩٧٧ .

٥٠) **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار**/ ابو القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري، ت ٥٣٨هـ/ تحـ: د. سليم النعيمي/مطبعة العاني ـ بغداد/١٩٨٠ .

٥١) **الرياض النضرة في مناقب العشرة**/ ابو جعفر احمد الشهير بالمحب الطبري/ مكتبة الجندي ـ القاهرة/١٩٦٩ .

٥٢) **رجال حول الرسول**/ خالد محمد خالد ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت/ ط٢/١٩٧٣ .

٥٣) **الروضة الندية شرح الدرر البهية**/ ابو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسيني القنوجي/ دار الندوة الجديدة ـ بيروت ـ ط١/١٩٨٤ .

٥٤) **سنن الدارقطني**/ علي بن عمر الدارقطني، ت ٣٨٥/عالم الكتب/بيروت .

٥٥) **السيرة النبوية**/ ابو محمد عبدالملك بن هشام، ت ٢١٨هـ/تحـ: محمد محيي الدين عبدالحميد/ دار الفكر/١٩٣٧ .

٥٦) **سين وجيم**/ شريف العلمي/ شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـ بيروت ـ ط١٤/١٩٨٧ .

٥٧) **شرح المعلقات السبع**/ ابو عبدالله الحسين بن احمد الزوزني، ت ٤٨٦هـ/ دار القاموس الحديث/بيروت .

٥٨) **شمس العرب تسطع على الغرب**/ سجريد هونكه ـ ترجمة: فاروق بيضون ، كمال دسوقي ، مراجعة: مارون عيسى الخوري/ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ـ ط٤/١٩٨٠ .

٥٩) **شذرات الذهب في اخبار من ذهب**/ ابو الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي، ت ١٠٨٩هـ/ دار المسيرة ـ بيروت ـ ط ٢/١٩٧٩ .

٦٠) **شرح الاشعار الستة الجاهلية**/ ابو بكر عاصم بن ايوب البطليوسي/ تحـ: ناصيف سليمان عواد ـ دار الحرية للطباعة ـ بغداد/١٩٧٩ .

٦١) **الشعر والشعراء**/ ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، ت ٢٧٦هـ/ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط١/١٢٨٢هـ .

٦٢) **صحيح البخاري**/ ابو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخاري الجعفي ، ت ٢٥٦هـ/دار إحياء التراث العربي ـ مطبعة مصطفى

البابي الحلبي ـ القاهرة/١٩٥٨ .
٦٣) **صحيح مسلم بشرح النووي**/ مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ت ٢٦١هـ/ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط٢/١٩٧٢ .
٦٤) **الصلة**/ ابو القاسم خلف بن عبدالملك بن بشكوال، ت ٥٧٨هـ/ الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ القاهرة/١٩٦٦ .
٦٥) **صدام حسين (المختارات)**/ فدار الشؤون الثقافية/آفاق عربية ـ بغداد/١٩٨٠ .
٦٦) **صبح الاعشى**/ احمد بن علي القلقشندي، ت ٨٢١هـ/ مصورة عن الطبعة الاميرية .
٦٧) **طبقات الشعراء**/ محمد بن سلام الجمحي ، ت ٢٣١هـ/دار النهضة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت/١٩٦٨ .
٦٨) **الطريق الى المدائن**/احمد عادل كمال/ دار النفائس ـ بيروت ـ ط١/١٩٧٢ .
٦٩) **الطبقات الكبرى (طبقات ابن سعد)**/ ابو عبدالله محمد بن سعد بن منيع البصري، ت ٢٣٠هـ/ دار صادر/بيروت .
٧٠) **علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح)**/ أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن الشهرزوري، ت ٦٤٣هـ/ تحـ: نور الدين عتر ـ المكتبة العلمية ـ المدينة المنورة ـ ط٢/١٩٧٢ .
٧١) **عيون الاخبار**/ ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت ٢٧٦هـ/ دار الكتب المصرية ـ القاهرة/١٩٢٥ .
٧٢) **العقد الفريد**/ احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي، ت ٣٢٨هـ/ تحـ:

محمد سعيد العريان ـ دار الفكر/ ١٩٤٠ .
٧٣) **علوم البابليين/** مرغريت روثن ـ تعريب: د. يوسف حبي ـ دار الرشيد للنشر ـ بغداد/ ١٩٨٠ .
٧٤) **عيون التواريخ/** محمد بن شاكر الكتبي/ تحـ: د. فيصل السامر، نبيلة عبدالمنعم داود ـ دار الرشيد للنشر ـ بغداد/ ١٩٨٠ .
٧٥) **العرب قبل الاسلام**/جرجي زيدان ـ دار الهلال/القاهرة.
٧٦) **العراق في التاريخ/** وزارة الاعلام العراقية ـ دار الحرية للطباعة ـ بغداد/١٩٨٣ .
٧٧) **الفهرست/** ابن النديم ابوالفرج محمد بن أبي يعقوب اسحاق المعروف بالوراق، ت ٣٨٠هـ/ تحـ: رضا تجدد ـ طهران/١٩٧١ .
٧٨) **فتوح البلدان/** ابو الحسن احمد بن يحيى البلاذري، ت ٢٧٩هـ/ تحـ: رضوان محمد رضوان ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت/١٩٧٨ .
٧٩) **فضائل الصحابة/** ابو عبدالله احمد بن محمد بن حنبل، ت ٢٤١هـ/تحـ: وصي الله بن محمد عباس ـ مؤسسة الرسالة ـ ط١/١٩٨٣ .
٨٠) **القاموس المحيط/** مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ـ المؤسسة العربية للطباعة والنشر/بيروت .
٨١) **قضاة قرطبة/** ابو عبدالله محمد بن حارث بن أسد القيرواني، ت ٣٦١هـ/ الدار المصرية للتأليف والترجمة/١٩٦٦ .
٨٢) **قصة الحضارة/** ول. ديورانت ـ ترجمة: فؤاد اندراوس ـ دار الفكر ـ بيروت/١٩٨٨ .
٨٣) **الكامل في اللغة والادب/** ابو العباس محمد بن يزيد المبرد، ت ٢٨٥هـ/ مكتبة المعارف ـ بيروت/١٣٨٦هـ .

٨٤) الكامل في التاريخ / ابو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن الاثير الجزري الملقب بعزالدين، ت ٦٣٠هـ/ تحـ: نخبة من العلماء - دار الكتاب العربي - بيروت - ط٢ / ١٩٦٧ .
٨٥) مروج الذهب ومعادن الجوهر / ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، ت ٣٤٦هـ/ تحـ: يوسف اسعد داغر - دار الاندلس للطباعة - بيروت - ط٤ / ١٩٨١ .
٨٦) المستطرف في كل فن مستظرف / شهاب الدين محمد بن احمد الأبشيهي، ت ٨٥٠هـ/ دار إحياء التراث العربي - بيروت/١٩٥٢ .
٨٧) المقتبس من أنباء اهل الاندلس / ابن حيان القرطبي الاندلسي، ت ٤٢٢هـ/ تحـ: د. محمود علي مكي - دار الكتاب العربي - بيروت/١٩٧٣ .
٨٨) مضمار الحقائق وسر الخلائق / محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي، ت ٦١٧هـ/ تحـ: د. حسن حبشي - عالم الكتب - القاهرة/١٩٦٨ .
٨٩) مجمع البيان في تفسير القرآن / ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، ت ٥٤٨هـ/ دار إحياء التراث العربي/بيروت .
٩٠) المعارف / ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت ٢٧٦هـ/ تحـ: د. ثروت عكاشة - دار المعارف بمصر - ط٢ / ١٩٦٩ .
٩١) الميراث المقارن / الشيخ محمد عبدالرحيم الكشكي / دارالنذير - بغداد - ط٣/١٩٦٩ .
٩٢) المستدرك على الصحيحين / الحاكم النيسابوري ابو عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بابن البَيِّع، ت ٤٠٥هـ/ دار الكتاب العربي/بيروت .

٩٣) **ملوك حمير وأقيال اليمن**/ نشوان بن سعيد الحميـري، ت ٥٧٣هـ/ تحـ: اسماعيل بن احمد الجرافي، علي بن اسماعيل المؤيد ـ دار العودة ـ بيروت ـ ط٢/١٩٧٨ .

٩٤) **مباحث في علوم القـرآن**/ د. صبحي الصـالـح ـ دار العلم للمـلايـين ـ بيروت ـ ط٤/١٩٦٥ .

٩٥) **مناهل العرفان في علوم القرآن**/ محمد عبدالعظيم الـزرقاني ـ دار إحيـاء الكتب العربية .

٩٦) **مجمع الامثال**/ ابو الفضل احمد بن محمد الميداني، ت ٥١٨هـ/تحـ: محمد محيي الدين عبدالحميد ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط٣/١٩٧٢ .

٩٧) **مختار الصحاح**/ محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، ت ٦٦٦هـ/ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ظ١/١٩٦٧ .

٩٨) **المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام**/جواد علي ـ دار الفكر ـ بيروت) .

٩٩) **مآثر الانافة في معالم الخلافة**/ احمد بن عـلي القلقشندي، ت ٨٢١هـ/ تحـ: عبدالستار احمد فراج ـ عالم الكتب/بيروت .

١٠٠) **موسوعة فقه عثمـان بن عفان**/ د. محمـد رداس قلعجي/ جامعـة أم القرى ـ مكة المكرمة ـ ط١/١٩٨٣ .

١٠١) **نيل الأوطار من احاديث سيد الاخيار**/ محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ت ١٢٥٥هـ/ دار الجيل ـ بيروت/١٩٧٣ .

١٠٢) **النـظم الاسـلاميـة**/د. صبحي الصـالـح ـ دار العلم للمـلايـين ـ ط٤/١٩٧٨.

١٠٣) **نهايـة الأرب في فنون الأدب**/ شهـاب الـدين احمـد بن عبـدالـوهـاب النويري، ت ٧٣٢هـ/ مطابع كوستاتسوماس وشركاه/القاهرة .

١٠٤) **الوسائل الى مسامرة الاوائل**/ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، ت ٩١١هـ/ تحـ: د. أسعد طلس ـ مطبعة النجاح ـ بغداد/ ١٩٥٠ .

١٠٥) **وفيات الاعيان**/ ابن خلكان شمس الدين احمد بن محمد، ت ٦٨١هـ/ تحـ: د. إحسان عباس ـ دار صادر/بيروت .

١٠٦) **اليمن ماضيها وحاضرها**/ د. احمد فخري ـ مراجعة: د. عبدالحليم نور الدين ـ المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع ـ صنعاء ـ ط٢/١٩٨٨ .

١٠٧) **اليمن عبر التاريخ**/ احمد حسين شرف الدين ـ مطبعة السنة المحمدية ـ القاهرة ـ ط٢/١٩٦٤ .

١٠٨) **دائرة المعارف الاسلامية**/ احمد الشنتناوي ، ابراهيم زكي خورشيد، عبدالحميد يونس ـ دار الفكر/بيروت .

١٠٩) **تاريخ غزوات العرب**/شكيب ارسلان ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت/١٣٥٢هـ .

١١٠) **الرسالة**/محمد بن ادريس الشافعي ـ دار القلم، بيروت.



المؤلف

ـ طاهر جليل حبوش من مواليد تكريت/محلة القلعة عام ١٩٤٩ من أب وأم عراقيين.

ـ انهى دراسته الجامعية في كلية الشرطة عام ١٩٧٠ وتخرج منها برتبة ملازم وارتقى الى رتبة عميد حالياً.

ـ حصل على شهادة البكلوريوس في القانون من جامعة بغداد/كلية القانون.

ـ عمل في وزارة الخارجية العراقية من عام ١٩٧٥ الى عام ١٩٧٩ بين الممثلية العراقية الدائمة لجامعة الدول العربية في القاهرة والممثلية العراقية الدائمة للامم المتحدة في جنيف.

ـ مارس التأليف ونشر البحوث التي منها:

١) كتاب (دراسة تحليلية عن الجريمة السياسية وتطورها التاريخي) جزء واحد.

٢) بحث القي في مؤتمر وزراء الداخلية العرب في القاهرة حول حماية المطارات.

٣) دراسة بعنوان (معركة الفاو).

٤) عدة مقالات نشرت في الصحف العراقية.

٥) كتاب (أوائل العرب عبر العصور والحقب) ـ اربعة اجزاء.

ـ لا يزال مستمراً في بحوثه وتآليفه لرفد الساحة الثقافية.